صفة النبي صلى الله عليه وسلم

- رَبيعة بن أبي عبد الرحمن عن أنس بن مالك قال: كان

رسولُ اللهّ صلى الله عليه وسلم أبيضَ مُشرباً حُمرة ضَخم الرأس أزجَّ الحاجبين عظيمَ

العينين أدعجَ أهدبَ شثْن الكّفين والقدمين.

إذا مشى تكفّأ كأنما ينحطّ من صَبَب ويَمْشي في

صُعد كأنما يتقلّع من صَخر.

إذا التفت التفت جميعا.

ليس بالجَعْد القَطَط ولا السَّبْط.

ذا وَفْرة

إلى شحمة أُذنيه.

ليس بالطَّويل البائن ولا بالقصير المُتطامن.

عَرْفه أطيبُ من المسك الأَذْفر.

لم

تَلد النساءُ قبله ولا بعده مثلَه.

بين كَتفيةَ خاتَمُ النبوّة كبَيضة الحمَامة.

لا يَضْحك إلا تَبسُّماً.

في

عَنْفقته شعرات بيض لا تكاد تبين.

وقال أنس بن مالك: لم يبلغ الشيبُ الذي كان برسول اللهّ

صلى الله عليه وسلم عشرين شِعرة.

وقيل له: يا رسول اللّه عجّل عليك الشيّب.

قال:

شَيَّبتني هودٌ وأخواتُها.

هيئة النبي وقعدته

صلى الله عليه وسلم - كان صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض ويجلس على

الأرض

ويمشي في الأسواق ويلبس العَبَاءة ويُجالس المساكين ويَقْعد القُرفصاء ويتوسّد يدَه ويلْعق

أصابعَه ولا يأكل مُتَّكئا ولم يُرقطُّ ضاحكاً مِلْء فيه.

وكان يقول: إنما أنا عبد آكلُ كما يأكل

شرف بيت النبي صلى الله عليه وسلم - قال النبي صلى الله عليه وسلم: أنا سيّد البَشر ولا

فَخْر وأنا أفصحُ العرب وأنا أوّل مَن يَقرع بابَ الحنة وأنا أول من يَنشقّ عنه التراب.

دعا لي

إبراهيم وبشرّ بي عيسى ورأت أمي حين وَضعتني نُورًا أضاء لها ما بين المَشرق والمغرب.

وقال صلى الله عليه وسلم: إنّ اللّه خَلق الخَلْق فجعلني في خير خَلْقه وجعلهم فِرَقاً فجعلني في

خَيرهم فِرْقة وجعلهم قبائل فجعلني في خير قبيلة وجعلهم بُيوتا فجعلني في خَير بيت فأنا

خيرُكم بيتاً وخيرُكم نَسبا.

وقال صلى الله عليه وسلم.

أنا ابن الفواطم والعَواتك من سُليم

واستُرضعتُ في بني سعد بن بكر.

وقال: نَزل القرآن بأعرب اللّغات فلكل العرب فيه لغة ولبني

سَعد بن بكر سبعُ لغات.

وبنو سعد ابن بكر بن هوازن أفصحُ العرب فهم من الأعجاز وهي

قبائلُ من مُضر متفرقة وكانت ظِئْرَ النبيّ صلى الله عليه وسلم التي أرضعتْه حليمةُ بنت أبي

ذُؤيب من بني ناصرة بن قصيّة بن نصر بن سَعد بن بكر بن هوازن.

وإخوته في الرّضاعة:

عبد اللهّ بن الحارث وأنيسة بنت الحارث وخِذامة بنت الحارث وهي التي أتى بها النبيّ صلى

الله عليه وسلم في أَسْرى حُنين فَبسط لها رداءه ووهب لها أَسرى قومها.

والعواتك من سُليم

ثلاث: عاتكة بنت مُرّة ابن هلال ولدت هاشماَ وعبدَ شمس ونوفلاً وعاتكة بنت الأوقص بن

هلال ولدت وَهْب بن عبد مناف بن زهرة وعاتكة بنت هِلِال بن فالج.

وقال عليّ للأَشعث

إذ خَطب إليه: أَغرّك ابن أبي قُحافة إذ زَوَّجك أمّ فَروَة وإنها لم تكن من الفواطم من قُريش ولا

العواتك من سُلَيم.

أبو النبي

صلى الله عليه وسلم - عبدُ اللّه بن عبد المُطّلب ولم يكن له ولدُ غيرَه صلى الله

عليه وسلم وتُوفي وهو في بَطن أمه.

فلما وُلد كَفله جدُّه عبدُ المَطلب إلى أن توفِّي

فكَفله عمُّه أبو طالب وكان أخا عبد اللهّ لأمه وأبيه فمن ذلك كان أشفقَ أعمام النبيّ

صلى الله عليه وسلم وأَوْلاهم به.

وأمّا أعمام النبيّ صلى الله عليه وسلم وعَمّاته فإنّ

عبد المطلب بن هاشم كان له من الولد لصُلبه عشرة من الذُّكور وستّة من الإناث.

وأسماء بنيه: عبدُ اللهّ والد النبيّ عليه الصلاة والسلام والزبير وأبو طالب واسمه

عبدُ مَناف والعبّاس وضِرار وحَمزة والمُقوِّم وأبو لهَب واسمه عبد العُزّى

والحارث والغَيداق واسمه حجل وقال نَوفل.

وأسماء بناته عمّات النبيّ صلى الله

عليه وسلم: عاتكة والبَيضاء وهي أم حكيم و بَرة وأميمة وأروى وصَفيّة.

ولد النبي

صلى الله عليه وسلم - وُلد له من خَديجة: القاسمُ والطيب وفاطمةُ وزَينب ورُقَية

أزواجه

صلى الله عليه وسلم - أولهن خديجةُ بنت خُويلد بن أسد بن عَبْد العُزى ولم يتزوج عليها

حتى ماتت.

ثم تزوّج سَوْدة بنت زَمْعة وكانت تحت السكران بن عمرو وهو من مهاجرة

الحَبشة فمات ولم يُعقب فتزوجها النبيُّ صلى الله عليه وسلم بعده.

ثم تزوّج عائشةَ بنت أبي

بكر بِكراً ولم يتزوّج بِكرًا غيرها وهي ابنة ستّ وابتنى عليها ابنة تسع وتُوفي عنها وهي ابنة

ثمانِ عشرةَ سنة وعاشت بعده إلى أيام معاوية وماتت سنة ثمان وخمسين وقد قاربت

السبعين ودُفنت ليلاً بالبقيع وأوصت إلى عبد اللّه بن الزَّبير.

وتزوَّج حفصةَ بنت عمرَ بن

الخطاب وكانت تحت خُنيس بن حُذافة السَّهمي وكان رسولُ اللهّ صلى الله عليه وسلم

أرسله إلى كِسرى ولا عَقِب له.

ثم تزوج زينَبَ بنت خُزيمة من بني عامر بن صعصعة وكانت

تحت عُبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب أول شهيد كان ببدر.

ثم تزوّج زينب بنت جَحش

الأسدية وهي بنت عمة النبيّ صلى الله عليه وسلم وهي أوّل مَن مات من أزواجه في خلافة

عُمر.

ثم تزوّج أم حَبيبة واسمعها رَمْلة بنت أبي سُفيان وهي أختُ معاوية وكانت تحت

عُبيد الله بن جَحش الأسدي فتنصر ومات بأرض الحبشة.

وتزوّج أم سَلمة بنت أبي أمية بن

المُغيرة المخزوميّ وكانت تحت أبي سَلمة فتُوفي عنها وله منها أولاد وبقيت إلى سن تسع

وخمسين.

وتزوَّج ميمونة بنت الحارث من بني عامر بن صَعصعة وكانت تحت أبي رُهم

العامرِيّ.

وتزوّج صفية بنت حُييِّ بن أخطب النَّضرية وكانت تحت رجل من يهود خيبر يقال

له كِنانة فضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عُنقه وسَبى أهله.

وتزوّج جُويرية بنت

الحارث وكانت من سَبي بني المُصطلق.

وتزوْج خَولة بنت حَكيم وهي التي وَهبت نفسها للنبيّ

صلى الله عليه وسلم.

وتزوّج امرأة يقال لها عمْرة فطلقها ولم يَبْن بها وِذلك أن أباها قال له:

وأزيدك أنّها لم تمرض قطْ.

فقال: ما لهذه عند اللّه من خير

فطلقها.

وتزوّج امرأة يقال لها: أميمة بنت النعمان فطلقها قبل أن يَطأها.

وخَطب امرأة من

بني مُرة بن عَوْف فردّه أبوها وقال: إنّ بها بَرَصا.

فلما رجع إليها وجدها بَرْصاء.

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وخدامه

- كُتّاب الوحي لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم: زيْد بن

ثابت ومُعاوية بن أبي سُفيان وحَنْظلة بن الربيع الأسديّ وعبدُ اللّه بن سعد بن أبي سرح

ارتد ولحق بمكة مُشركا.

وحاجبُه: أبو أنسة مولاه وخادمه: أنس بن مالك الأنصاريّ ويكنى

أبا حَمزة.

وخازنُه على خاتَمه: مُعيقيب بن أبي فاطمة.

ومؤذّناه: بلال وابن أم مَكتوم.

وحُرّاسه: سعدُ بن زَيد الأنصاري والزُّبير بن العوام وسَعد بن أبي وقّاص.

وخاتَمه فِضّة

وفصّه حبشيّ مكتوب عليه: محمد رسول اللّه في ثلاثة أسطر: محمد سطر ورسول سطر

واللهّ سطر.

وفي حديث أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم: وبه تَختّم أبو بكر

وعُمر وتَختّم به عثمانُ ستةَ أشهر ثم سقط منه في بئر ذي أرْوَان فطُلب فلم يوجد.

وفاة النبي

صلى الله عليه وسلم - توفي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثلاثَ عشرة ليلةً خلت من ربيع

الأول

وحُفر له تحت فِراشه في بيت عائشة.

وصلى عليه المسلمون جميعاً بلا إمام الرجالُ ثم النساء

ثم الصِّبيان ودُفن ليلةَ الأربعاء في جوف الليل ودَخل القبرَ عليٌ والفَضل وقُثَم ابنا العبّاس

وشُقْران مولاه ويقال: أسامة بن زيد وهم تولّوا غسلَه وتَكفينه وأمره كلَّه وكفن في ثلاثة أثواب

بيض سَحُولية ليس فيها قميصٌ ولا عِمامة.

واختلف في سِنَه.

فقال عبد اللهّ ابن عبَّاس

وعائشةُ وجريرُ بن عبد اللهّ ومعاوية: توفي وهو ابن ستين سنة.

وقال عُروة بن الزُبير وقَتادة:

نسب أبي بكر الصديق وصفته

رضي اللّه عنه

هو عبد اللّه بن أبي قُحافة واسم أبي قحافة عثمان بن عمرو بن كَعب بن سَعد بن تَيم بن

مُرة وأمه أمُّ الخَير بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سَعد بن تيم بن مُرة.

وكاتبُه: عثمان بن عفَّان.

وحاجبُه: رشيدٌ مولاه.

وقيل: كتب له زيدُ بن ثابت أيضاً.

وعلى

أمره كلّه وعلى القضاء عمرُ بن الخطّاب وعلى بيت المال أبو عُبيدة بن الجَرّاح ثم وجّهه إلى

الشام.

ومُؤذّنه: سعدُ القَرَظ مولى عمار بن ياسر.

قيل لعائشة: صِفي لنا أباك.

قالت: كان أبيَض نحيفَ الجسم خفيفَ العارضين أحنى لا

يستمسك إزاره مَعروق الوجه غائر العينين ناتىء الجبهة عاري الأشاجع أقرع.

وكان عمر

بن الخطاب أصلع.

وكان أبو بكر يَخْضب بالحنّاء والكَتَم.

وقال أبو جعفر الأنصاريّ: رأيتُ أبا

بكر كأنّ لِحْيته ورأسَه جَمر الغَضىَ.

وقال أنس بن مالك قَدِم رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم

المدينةَ وليس في أصحابه أَشمطُ غَيْر أبي بكر.

فغّلفها بالحِنّاء والكَتَم.

وتوفيَ مساء ليلة الثلاثاء لثمانِ ليالٍ بَقين من جُمادى الآخرة سنةَ ثلاثَ عشرةَ من التاريخ.

خلافة أبي بكر رضي الله عنه - شُعبة عن سَعد بن إبراهيم عن عُروة عن عائشة: إنّ النبيّ

صلى الله عليه وسلم قال في مَرضه: مُروا أبا بكر فَلْيصلِّ بالناس.

فقلتُ: يا رسولَ اللّه إنَّ أبا

بكر إذا قام في مَقامك لم يُسمِع الناسَ من البُكاء فَمُر عُمرَ فليصلِّ بالناس.

قال: مُروا أبا بكر

فَلْيصلِّ بالناس: قالت عائشة: فقلتُ لِحَفصة: قُولي له: إنَ أبا بكر إذا قام في مَقامك لم يُسمِع

الناس من البكاء فمُر عُمر ففعلت حفصة.

فقال رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم: مه! إنكن

صواحبُ يوسف مُروا أبا بكر فَلْيصل بالناس.

أبو جَعدة عن الزُّبير قال: قالت حفصة: يا رسولَ اللّه إنك مَرِضتَ فقدَّمت أبا بكر.

قال:

لستُ الذي قدمتُه ولكنّ اللّه قَدّمه.

أبو سَلمة عن إسماعيل بن مُسلم عن أنس قال.

صلَّى أبو بكر بالنّاس ورسولُ اللّه صلى الله

عليه وسلم مريض ستةَ أيام.

النضرُ بن إسحاق عن الحَسن قال: قيل لعليّ: علامَ بايعتَ أبا بكر فقال: إنَّ رسول اللّه صلى

الله عليه وسلم لم يَمُت فَجْأة كان يَأْتيه بلالُ في كل يوم في مَرضه يُؤذّنه بالصلاة فيأمر أبا بكر

فيصلِّي بالناس وقد تَركني وهو يَرى مكاني فلما قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رَضي

المسلمون لدنياهم مَن رَضيه رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم لدينهم فبايعوه وبايعتُه.

ومن حديث الشَّعبيّ قال: أَوَّل مَن قَدِم مكةَ بوفاة رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم وخلافة أبي

بكر عبدُ ربّه بن قيس بن السائب المَخزوميّ فقال له أبو قُحافة: مَن ولي الأمر بعده قال: أبو

بكر ابنك.

قال: فرضي بذلك بنو عبد مَناف قال: نعم.

قال: لا مانعَ لما أَعطى الله ولا

مُعطيَ لما مَنع اللّه.

جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال: تُوفي رسولُ اللهّ صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان

غائب في مَسعاة أخرجه فيها رسولُ اللهّ صلى الله عليه وسلم فلما انصرف لقي رجلاً في

بعض طر مُقبلاً من المدينة فقال له مات محمد قال: نعم.

قال: فمن قام مَقامه قال: بكر.

قال أبو سفيان: فما فعل المُستضعفان عليّ والعبّاس قال: جالسين.

قال: أما واللهّ لئن بقِيت

لهما لأرفعنّ من أعقابهما ثم قال: إني أرى غَيرةً لا يُطفئها إلا دم.

فلما قدم المدينةَ جعل يطوف

في أزقّتها ويقول:

بني هاشم لا تَطمع الناسُ فيكم ولا سيما تَيمُ بن مُرة أو عَدِي

فما الأمرُ إلا فيكمُ وإليكمُ وليس لها إلا أبو حَسن عَلى

فقال عمر لأبي بكر: إنّ هذا قد قَدم وهو فاعل شرًّا وقد كان النبيّ صلى الله عليه وسلم

يستألفه على الإسلام فدَع له ما بيده من الصَّدقة فَفَعل.

فرضي أبو سفيان وبايعه.

سقيفة بني ساعدة

أحمد بن الحارث عن أبي الحَسن عن أبي مَعشر عن المَقْبريّ: أن المهاجرين بينما هم في حُجرة

رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم وقد قَبضه اللهّ إليه إذ جاء مَعْن بن عديّ وعُويم ساعدة

فقالا لأبي بكر: بابً فِتْنة إن يُغلقه اللهّ بك هذا سعدُ بن عُبادة والأنصار يُريدون أن يُبايعوه.

فَمضى أبو بكر وعمر وأبو عُبيدة حتى جاءوا سَقيفة بني ساعدة وسَعد على طِنّفس مُتكئاً

على وِسادة وبه الحَمّى فقال له أبو بكر: ماذا ترى أبا ثابت قال: أنا رجلٌ منكم.

فقال

حُباب بن المُنذر: منّا أمير ومنكم أمير فإنّ عمل المُهاجريّ في الأنصاري شيئاً ردّ عليه وإن

عمل الأنصاريُّ في المهاجري شيئاً رد عليه وإن لم تَفعلوا فأنا جذيلها المُحكّك وعُذَيقها

المُرجّب لَنُعيدنَّها جَذَعة.

قال عمر: فأردتُ أن أتكلم وكنتُ زَوّرت كلاماً في نفسي.

فقال أبو بكر: على رِسْلك يا

عمر فما ترَك كلمةً كنتُ زوَّرتها في نَفسي إلا تكلّم بها وقال: نحن المهاجرون أول الناس

إسلاماً وأكرمُهم أحساباً وأوسَطُهم داراً وأحسنُهم وُجوهاً وأمسُّهم برسول اللّه صلى الله

عليه وسلم رَحِماً وأنتم إخوانُنا في الإسلام وشُركاؤنا في الدَين نَصرتم وواسيتم فجزاكم اللهّ

خيراً فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لا تَدين العربُ إلا لهذا الحيّ من قُريش فلا تَنْفَسوا على

إخوانكم المهاجرين ما فضّلهم اللّه به فقد قال رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم: الأئمة من

قُريش.

وقد رضيت لكم أحدَ هذين الرجلين - يعنى عمرَ ابن الخطاب وأبا عُبيدة بن الجَراح -

فقال عمر: يكون هذا وِأنتَ حيّ! ما كان أحد لِيُؤخّرك عن مَقامك الذي أقامك فيه رسولُ اللّه

صلى الله عليه وسلم ثُم ضرب على يده فبايعه وبايعه الناس وازدحموا على أبي بكر.

فقالت

الأنصار: قتلتم سعداً.

فقال عمر: اقتُلوه قَتله الله فإنه صاحبُ فتنة.

فبايع الناسُ أبا بكر

وأتوا به المسجدَ يُبايعونه فسمع العبّاسُ وعليٌّ التَكبيرَ في المسجد ولم يَفرُغوا من غَسل رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقال عليّ: ما هذا قال العّباس: ما رُئِي مثلُ هذا قطّ أما قلتُ

لك!

ومن حديث النَّعمان بن بَشير الأنصاري: لما ثَقل رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم تكلّم الناس

مَن يقوم بالأمر بعده فقال قوم: أبو بكر وقال قومٌ: أبي بن كعب.

قال النُّعمان بن بَشير: فأتيتُا

أبيّا فقلت: يا أبيّ إن الناسَ قد ذكروا أنَ رسول صلى الله عليه وسلم يستخلف أبا بكر أو

إياك فانطلق حتى نَنظر في هذا الأمر.

فقال: إنَّ عندي في هذا الأمر من رسول اللّه صلى الله

عليه وسلم شيئاً ما أنا بذاكره حتى يَقبِضه اللّه إليه ثم انطلق.

وخرجت معه حتى دخلنا على

النبيّ صلى الله عليه وسلم بعد الصُّبح وهو يَحسو حَسْوا في قَصعة مَشْعوبة.

فلما فرغ أقبل

على أبيّ فقال: هذا ما قلتُ لك.

قال: فأوص بنا.

فخرج يخطّ برجليه حتى صار على المِنبر

ثم قال: يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تَزيدون وأصبحت الأنصارُ كما هي لا تزيد ألا وإن

الناس يَكْثرون وتَقِلّ الأنصار حتى يكونوا كالمِلْح في الطعام فمن وَلى من أمرهم شيئاً فَلْيَقبَل من

مُحسنهم ولْيعفُ عن مُسيئهم ثم دخل.

فلما توفي قيل لي: هاتيك الأنصارُ مع سعد بن عُبادة

يقولون: نحن الأولى بالأمر والمهاجرون يقولون: لنا الأمر دونكم.

فأتيت أبيّا فقرعتُ بابه فخرج

إليّ مُلتحفا فقلت: ألا أراك إلا قاعداً ببيتك مُغلقاً عليك بابَك وهؤلاء قومُك من بني ساعدة

يُنازعون المُهاجرين فأخرج إلى قومك.

فخَرج فقال: إنكم واللّه ما أنتم من هذا الأمر في شيء

إنه لهم دونكم يليها من المُهاجرين رجلان ثم يُقتل الثالث ويُنزع الأمرُ فيكون هاهنا وأشار

إلى الشام وإن هذا الكلام لمبلول بريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أغلق بابَه ودخل.

ومن حديث حذيفة قال: كنَا جلوساً عند رسول اللّه عظيم فقال: إني لا أدري ما بقائي

فيكم فاقتدُوا بالذين من بَعدي وأشار إلى أبي بكر وعمر واهتدُوا بهَدْي عمار وما حَدّثكم

ابن مسعود فصدقوه.

الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر - في والعباس والزبير وسعد بن عُبادة.

فأما عليّ والعباس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة حتى بَعث إليهم أبو بكر عمرَ ابن الخطاب

ليُخرِجهم من بيت فاطمة وقال له: إِن أبوا فقاتِلْهم.

فأقبل بقَبس من نار على أن يُضرم عليهم

الدار فلقيته فاطمةُ فقالت: يا بن الخطاب أجئت لتُحرق دارنا قال: نعم أو تدخلوا فيما

دخلتْ فيه الأمة.

فخرج علي حتى دخل على أبي بكر فبايعه فقال له أبو بكر: أكرهتَ

إمارتي فقال: لا ولكني آليتُ أن لا أرتدي بعد موت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حتى

أحفظَ القرآن فعليه حَبست نفسي.

ومن حديث الزُّهري عن عُروة عن عائشة قالت: لم يُبايع عليٌ أبا بكر حتى ماتت فاطمة

وذلك لستة أشهر من موت أبيها صلى الله عليه وسلم.

فأرسل علي إلى أبي بكر فأتاه في

منزله فبايعه وقال: واللهّ ما نَفسنا عليك ما ساق الله إليك من فَضل وخَير ولكنّا كُنَا نرى أن

لنا في هذا الأمر شيئاً فاستبدْتَ به دوننا وما نُنكر فضلك.

وأما سعدُ بن عبادة فإنه رحل

إلى الشام.

أبو المنذر هشام بن محمد الكلبيّ قال: بث عمرُ رجلاً إلى الشام فقال: ادْعه إلى

البَيعة واحمل له بكل ما قَدرت عليه فإن أيَ فاستعن اللّهَ عليه.

فقَدم الرجل الشام فلقيه

بحُوران في حائطٍ فدَعاه إلى البيعة فقال: لا أبايع قُرشياً أبداً.

قال: فإني أقاتلك.

قال: وإن

قاتلتَني! قال: أفخارج أنت مما دخلتْ فيه الأمة قال: أمّا من البَيعة فأنا خارج.

فرَماه بسَهم

فقتله.

ميمون بن مِهران عن أبيه قال: رُمي سعد بنُ عبادة في حمّام بالشام فقُتل.

سعيد بن أبي

عَروبة عن ابن سيرين قال: رُمي سعد بن عُبادة بسهم فوُجد دفينا في جسده.

فمات فبكته

الجنّ فقالت:

وقَتلنا سيّد الخَزْ رج سعدَ بن عُبادة

ورَميناه بسهمي نِ فلم نُخْطِىء فُؤاده

فضائل أبي بكر رضي اللّه عنه - محمد بن المَنكدر قال: نازع عمرَ أبا بكر فقال رسولُ اللّه

صلى الله عليه وسلم: هل أنتم تاركوِني وصاحبي إنّ اللّه بَعثني بالهُدى ودين الحق إلى الناس

كافّة فقالوا جميعاً: كذبت وقال أبو بكر: صدقتَ.

وهو صاحبُ رسول اللّه صلى الله عليه

وسلم وجليسه في الغار وأوّل من صلّى معه أمن به واتّبعه.

وقال عمر بن الخطّاب: أبو بكر

سيّدنا وأعتق سيّدَنا.

يريد بلالاً.

وكان بلال عبداً لأميّة بن خَلف فاشتراه أبو بكر وأَعتقه

وكان من مُولَّدي مكّة أبوه رَباح وأمه حَمامة.

وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم: مَن أول من

قام معك في هذا الأمر قال: حُرّ وعَبد.

يريد بالحُر أبا بكر وبالعَبد بلالاً.

وقال بعضُهم: عليّ

وخبّاب.

أبو الحسن المدائني قال: دخل هارون الرشيدً مسجدَ رسول اللّه صلى الله عليه

وسلم فبعث إلى مالك بن أنس فقيه المدينة فأتاه وهو واقف بين قبر رسول الله صلى الله

عليه وسلم وٱلمِنبر فلما قام بين يديه وسلّم عليه بالخلافة قال: يا مالك صف لي مكان أبي

بكر وعُمر من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في الحياة الدنيا.

فقال: مكانُهما منه يا أمير

المؤمنين كمكان قَبريهما من قبره.

فقال: شَفيتَني يا مالك: الشَّعبي عن أبي سَلمة: إنّ عليا سُئل

عن أبي بكر وعمرِ فقال: على الخَبير سقطتَ كانا واللّه إمامَين صالحين مُصلحين خَرجا من

الدنيا خميصِين.

وقال عليّ بن أبي طالب: سَبق رسولُ اللهّ صلى الله عليه وسلم وثَنّى أبو

بكر وثَلّث عمر ثم خَبطتنا فتنةٌ عَمياء كما شاء اللّه.

وقالت عائشة: تُوفّي رسولُ اللّه عظيم

بين سَحْري ونَحري فلو نَزل بالْجبال الراسيات ما نَزل بأبي لهدّها اشرأبّ النِّفاق وارتدت

العرب فواللّه ما اختلفوَا في لفظة إلا طار أبي بحظّها وغنائها في الإسلام.

عمرو بن عثمان عن

أبيه عن عائشة أنه بلغها أن أُناساً يتناولون من أبيها فأرسلت إليهم فلما حضروا قالت: إنّ

أبي واللّه لا تعطوه الأيدي طَوَد مَنيف وظل ممدود أنجح إذ أكديتم وسبق إذ ونيتم سَبْقَ

الجواد إذا استولى على الأمد.

فتى قريش ناشئاً وكَهفها كهلا.

يَفك عانيها ويَريش مُملقها

ويرأب صَدْعها ويَلُمّ شَعثها.

فما برحت شكيمتُه في ذات اللهّ تشتد حتى اتخذ بفنائه مسجداً

يحيى فيه ما أمات المُبطلون.

وكان وقيد الجوامح عزير الدَّمعة شجّي النشيج.

وأصفقت إليه

نسوان مكة وولدانها يَسخرون منه ويستهزئون به واللّهُ يستهزىء بهم وَيمُدّهم في طُغيانهم

يَعمهوِن وأكبرت ذلك رجالات قريش فما فَلّوا له صفاة ولا قصفوا قناة حتى ضرب الحقُّ

بجِرانه وألقيِ بَرْكه ورست أوتادُه.

فلما قَبض اللّه نبيَّه ضَرب الشيطانُ رُواقَه ومدّ طنبه

ونصب حبائلَه وأجلب بخيله ورَجْله فقام الصدِّيق حاسراً مشمِّراً.

فردّ نَشر الإسلام على

غره وأقام أَوَده بثِقافه فابذعرّ النِّفاق بوطئه وانتاش الناسَ بعَدْله حتى أراح الحق على أهله

وحَقن الدماءَ في أهبها.

ثم أتته منيّته فسدّ ثُلمتَه نظيرُه في المَرحمة وشقيقُه في المَعدلة ذلك ابن الخطّاب.

للّه دَرّ أم حَفلت له ودَرّت عليه.

ففتح الفَتوح وشرد الشِّرْك وبَعَج الأرض فقاءت

أُكَلَها ولفظت جَناها ترأمه ويأباها وتريده ويَصْدِف عنها ثم تَركها كما صَحبها.

فأَرُوني

ما ترتابون وأيَّ يومي أبي تَنقمون أيوم إقامته إذ عدل فيكم أم يوم ظَعنه إِذ نَظر لكم أقول

قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

وفاة أبي بكر الصديق

رضي اللّه عنه

الليثُ بن سَعد عن الزُّهري قال: أهدي لأبي بكر طعام وعنده الحارث ابن كَلَدة فأكلا منه

فقال الحارث: أكلنا سّم سَنة وإني وإياك لميتان عند رأس الحَوِل

فماتا جميعاً في يوم واحد عند انقضاء السنة.

وإنما سمته يهود كما سمّت النبيّ صلى الله عليه

وسلم بخيبر في ذِراع الشاة.

فلما حضرت النبيّ صلى الله عليه وسلم الوفاةُ قال: ما زالت أكلُه

خَيبر تُعاودني حتى قَطعت أبْهري.

وهذا مثلُ ما قال الله تعالى " ثم لَقَطَعنا منه الوَتين ".

والأبهر

والوتين: عرقانِ في الصُلب إِذا انقطع أحدُهما مات صاحبه.

الزُهري عن عُروة عن عائشة

قالت: اغتسل أبو بكر يوم الاثنين لسبع خَلون من جُمادى الآخرة وكان يوماً بارداً فحُم خمسةَ

عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة وكان يأمر عمر يصلَي بالناس.

وتُوفي ليلةَ الثلاثاء لثمانٍ بقين من

جُمادى الآخرةِ سنة ثلاثَ عشرةَ من التاريخ.

وغسلته امرأته أسماءُ بنت عُميسٍ.

وصلُّى عليه

عمرُ بن الخطاب بين القبر والمِنبر وكبّر أربعا.

الزُّهري عن سعيد بن المُسيّب قال: لما تُوفى أبو

بكر أقامت عليه عائشة النَوح فبلغ ذلك عمرَ فنهاهنَ فأبين.

فقال لهشام بنِ الوليد: أخرج إلي

بنت أبي قُحافة فأخرج إليه أم فَروة فعلاها بالدرّة ضرباً فتفرَقت النوائح.

وقالت عائشة

وأبوها يَغمِض رضي الله عنه:

وأبيضُ يُستسقى الغمامُ بوَجهه ربيع اليتامى عِصْمة للأرامِل

قالت عائشة: فنظر إلي وقال: ذاك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثم أغمي عليه.

فقالت:

لعمرُك ما يُغنى الثرَّاءُ عن الفَتى إذا حَشْرجتْ يوماً وضاق بها الصدرُ

فنظر إلي كالغَضبان وقال: قولي: " وجاءتْ سَكْرةُ الموتِ بالحقّ ذلك ما كُنت منه تَحِيد " ثم قال:

عُروة بن الزبير والقاسم بن محمد قالا: أوصى أبو بكر عائشةَ أن يدفن إلى جنب رسول اللّه

صلى الله عليه وسلم.

فلما تُوفى حُفر له وجعل رأسُه بين كَتِفي رسول اللّه صلى الله عليه

وسلم ورأسُ عمرَ عند حَقْوي أبي بكر.

وبقي في البيت موضع قبر.

فلما حضرت الوفاةُ الحسنَ

بن عليّ أوصى بأن يُدفن مع جدّه في ذلك الموضع.

فلما أراد بنو هاشم أن يَحفِروا له مَنعهم

مروانُ وهو والي المدينة في أيام معاوية.

فقال أبو هُريرة: علام تمنعه أن يُدفن مع جدّه فأشهدُ

لقد سمعتُ رسول الله عليه يقول: الحسن والْحُسين سيّدا شباب أهل الجنة.

قال له مروان: لقد

ضَيّع الله حديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يَرْوه غيرُك.

قال: أنا والله لقد قلتُ

ذلك لقد صحبتُه حتى عرفتُ مَن أحبُ ومن أبغض ومن نَفى ومن أقرّ ومن دعا له ومن دعا

عليه.

قال: وسُطح قبرُ أبي بكر كما سُطح قبر النبيّ صلى الله عليه وسلم ورُش بالماء.

هشام بن عُروة عن أبيه: إن أبا بكر صُلّي عليه ليلا ودُفن ليلا.

ومات وهو ابن ثلاثٍ وستين

سنة ولها مات النبي صلى الله عليه وسلم.

وعاش أبو قحافة بعد أبي بكر أشهراً وأياماً

ووهب نصيبَه في ميراثه لولد أبي بكر.

وكان نَقش خاتم أبي بكر: نعم القادر اللّه.

ولما قُبض أبو

بكر سُجّي بثوب فارتجت المدينة من البكاء ودَهشِ القوم كيوم قُبض فيه رسولُ اللّه صلى

الله عليه وسلم.

وجاء عليّ بن أبي طالب باكياً مُسرعاً مسترجعاً حتى وقف بالباب وهو

يقول.

رَحِمك اللهّ أبا بكر كنتَ واللهّ أولَ القوم إسلاماً وأصدَقهم إيماناً وأشدَّهم يقينا

وأعظَمهم غَناء واحفظهم على رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم وأحدبَهم على الإسلام

وأحماهم عن أهله وأنسبَهم برسول الله خُلقا وفضلا وهَديا وسَمْتا فجزاك اللّه عن الإسلام

وعن رسول اللهّ وعن المسلمين خيرا.

صدقت رسول الله حين كذّبه الناس وواسيتَه حين بخلوا

وقمتَ معه حين قعدوا وسمّاك اللهّ في كتابه صدَيقاً فقال: " والذي جاء بالصِّدق وصَدّق به "

يريد محمداً ويريدك.

كنت والله للإسلام حِصناً وللكافرين ناكباً لم تضلل حجّتك ولم تَضعف

بصيرتك ولم تَجبن نفسُك.

كنت كالجبلِ لا تحركه العواصف ولا تُزيله القواصف.

كنت كما

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ضعيفاً في بدنك قوياً في دينك متواضعاً في نفسك

عظيماً عند اللّه جليلاً في الأرض كبيراً عند المؤمنين.

لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى

فالضعيفُ عندك قويّ والقويّ عندك ضعيف حتى تأخذ الحق من القوي وتأخذه للضعيف

فلا حَرمك اللّه أجرك ولا أضلّنا بعدك.

القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين أنها دخلت

على أبيها في مرضه الذي تُوفي فيه فقالت: يا أبت اعهد إلى خاصّتك وأنفذ رأيك في عامّتك

وانقل من دار جهازك إلى دار مُقامك إنك مَحضور ومتّصل بي لوعتُك وأرى تخاذلَ أطرافك

وانتقاع لونك فإلى اللّه تَعْزيتي عنك ولديه ثوابُ حُزني عليك.

أرقأ فلا أرْقأ وأشكو فلا

أُشكى.

قال: فَرفع رأسه وقال: يا أمّه هذا يوم يُخلَّى لي فيه عن غطائي وأشاهد جَزائي

إن فرحاً فدائم وان ترحاً فمُقيم.

إني اضطلعتُ بإمامة هؤلاء القوم حين كان النُّكوص إضاعة

والخَزَل تفريطا فشهيدي اللّه ما كان بقلبي إلا إياه فتبلّغت بصَحفتهم وتعلّلت بدرّة لِقْحتهم

فأقمت صلايَ معهم لامختالًا أشِراً ولا مُكاثراً بَطِراً.

لم أعْدُ سدّ الجَوعة وتَوْرية العَوْرة

وإقامة القِوام من طوى مُمعض تهفو منه الأحشاء وتجفّ له الأمعاء فاضطررت إلى ذلك

اضطرار الجَرِض إلى الماء المَعيفِ الآجن.

فإذا أنا مِتّ فردّي إليهم صَحْفتهم وعبدهم ولقحتهم

ورَحاهم ودثارةً ما فوقي اتقيت بها البرد ووِثارةً ما تحتي اتقيتُ بها أذى الأرض كان حشوها

قِطَع السعف.

قال: ودخل عليه عمر فقال: يا خليفة رسول اللهّ لقد كلفت القوم بعدك تعباً

وولّيتهم نصباً فهيهات من شَقَّ غُبارك! فكيف اللحاقُ بك!.

استخلاف أبي بكر لعمر

عبد اللّه بن محمد التّيمي عن محمد بن عبد العزيز: إن أبا بكر الصديق حين حضرته الوفاةُ كتب

عَهده وبَعث به مع عثمان بن عفان ورجلٍ من الأنصار ليقرآه على الناس فلما اجتمع الناسُ

قاما فقالا: هذا عهدُ أبي بكر فإن تُقِرُّوا به نقرأْه وإن تُنكروه نرجعه.

فقال: بسم اللّه الرحمن

الرحيم.

هذا عهد أبي بكر بن أبي قُحافة عند آخر عهده بالدُّنيا خارجا منها وأوّل عهده

بالآخرة داخلاً فيها حيثُ يُؤمِن الكافر ويتقي الفاجر ويَصدق الكاذب.

إني أَمّرت عليكم

عمرَ بن الخطّاب فإن عَدل واتقى فذاك ظنّي به ورجائي فيه وإن بدّل وغيّر فالخيرَ أردت لا

يعلم الغيب إلا الله قال أبو صالح: أخبرنا محمد بن وضاح قال: حدّثني محمد بن رُمْح بن المهاجر

التُّجيبي قال: حدّثني الليثُ بن سعد عن عُلوان عن صالح بن كَيسان عن حميد ابن.

عبد الرحمن

بن عوف عن أبيه أنه دخل على أبي بكر رضي الله عنه في مَرضه الذي تُوفي فيه فأصابه مُفيقا

فقال: أصبحت بحمد اللهّ بارئاً.

قال أبو بكرِ: أتراه قال: نعم.

قال: أما إني على ذلك لشديدُ

اِلوَجع ولما لقيتُ منكم يا معشر المُهاجرين أشدُّ عليَّ من وَجعي.

إني وَليت أمَركم خيركم في

نفسي فكلّكم وَرِم من ذلك أنفه يريد أن يكون له الأمر من دونه ورأيتم الدنيا مُقبلة ولن تقبل

- وهي مُقبلة - حتى تتخذوا سُتور الحرير ونضائد الدِّيباج وتألموا الاضطجاع على الصوف

الأَذربيّ كما يألم أحدُكم الاضطجاع على شَوك السّعدان.

والله لأن يُقدّم أحدكم فتُضرب عُنقه

في غير حدّ خير له من أن يَخوض في غَمْرة الدنيا.

ألا وإنكم أول ضالّ بالناس غدا فتصدّوهم

عن الطريق يميناً وشمالاً.

يا هاديَ الطريق إنما هو الفَجر أو البَحْر.

قال: فقلتُ له: خَفِّض عليك

يَرحمك اللّه فإن هذا يَهيضك على ما بك إنما الناس في أَمرك بين رجلين إما رجل رأى ما

رأيتَ فهو معك وإما رجل خالفَك فهو يُشير عليك برأيه وصاحبَك كما تُحب ولا نَعلمك

أردتَ إلا الخير ولم تزل صالحا مُصلحا مع أنك لا تأسي على شيء من الدنيا.

فقال: أجل

إني لا آسىَ على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن وودتُ أني تركتهن وثلاثٍ تركتهن

ووددتُ أني فعلتهن وثلاثٍ وددتُ أني سألت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عنهن.

فأما

الثلاث التي فعلتهن ووددتُ أني تركتُهن: فوددتُ أني لم أكشف بيتَ فاطمة عن شيء وإن كانوا

أغلقوه على الحرب ووددتُ أني لم أكن حَرقت الفَجَاءة السلمي وأني قتلته سريحاً أو خلَيته

نجيحا ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة قد رميتُ الأمر في عُنق أحد الرجلين فكان

أحدُهما أميراً وكنتُ له وزيراً - يعني بالرجلين عمرَ بن الخطاب وأبي عُبيدة بن الجراح - وأما

الثلاث التي تركتُهن ووددتُ أني فعلتُهن: فوددتُ أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً ضربتُ

عنقه فإنه يُخيل إلي أنه لا يرى شرًّا إلا أعان عليه ووددتُ أني سيرت خالدَ بن الوليد إلى أهل

الردة أقمت بذي القصة فإن ظفر المسلمون ظَفروا وإن انهزموا كنتُ بصدد لقاء أو مَدد ووددت

أني وجهت خالد بن الوليد إلى الشام ووجهتُ عمر ابن الخطاب إلى العِراق فأكون قد بسطت

يدَي كلتيهما في سبيل اللّه.

وأما الثلاث التي وددتُ أني أسأل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم

عنهن: فإني وددتُ أني سألته: لمن هذا الأمر من بعده فلا يُنازعه أحد وأني سألته هل

للأنصار يا هذا الأمر نصيب فلا يُظلموا نصيبَ منه ووددتُ أني سألته عن بنت الأخ والعَمة

فإنَ في نفسي منهما شيئاً.

نسب عمر بن الخطاب وصفته

أبو الحسن عليّ بن محمد قال: هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزى بن رِياح بن عبد اللّه

بن قُرط بن رَزاح بن عَدِيّ بن كعب بن لُؤي بن غالب ابن فِهْر بن مالك.

وأُمه حَنْتمة بنت

هاشم بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرِ بن مَخزوم.

وهاشم هو ذو الرُمحين.

قال أبو الحسن: كان

عمر رجلاً آدمَ مُشْرَباً حُمرة طويلاً أصلِع له حِفَافان حسنَ الخدّين والأنف والعينين غليظَ

القدمين والكفين مَجُدول الفحم حسن الخَلق ضخم الكراديس أعسَر يَسَر إذا مَشى كأنه

راكب.

وَلى الخلافةَ يوم الثلاثاء لثمانٍ بقين من جُمادى الآخرة سنة ثلاثَ عشرةَ من التاريخ.

وطعن لثلاث بقين من ذي الحجَّة سنة ثلاث وعشرين من التاريخ.

فعاش ثلاثةَ أيام.

ويقال سبعة

أيام.

مَعْدان بن أبي حَفصة قال: قُتل عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجَّة سنة ثلاث

وعشرين وهو ابن ثلاثٍ وستين سنة في رواية الشعبيّ.

ولها مات أبو بكر ولها مات النبي

صلى الله عليه وسلم.

فضائل عمر بن الخطاب

أبو الأشهب عز الحسن قال: عاتب عُيينةُ عثمانَ فقال له: كان عمر خيراً لنا منك أعطانا

فأغنانا وأخشانا فأتْقانا.

وقيل لعثمان: ما لك لا تكون مثلَ عمر قال: لا أستطيع أن أكون

مثلَ لُقمان الحَكيم.

القاسم بن عمر قال: كان إسلام عمر فَتحاً وهجرته نصراً وإمارته رحمة.

وقيل: إن عمر خَطب امرأة من ثقيف وخطبها المُغيرة فزوَجوها المُغيرة.

فقال النبيُ صلى الله

عليه وسلم: ألا زوجتم عمر فإنه خير قريش أولها وآخرها إلا ما جعل اللهّ لرسوله.

الحسن بن

دينار عن الحسن قال: ما فَضل عمرُ أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أطولَهم

صلاة وأكثرَهم صياماً ولكنه كان أزهدهم في الدنيا وأشدهم في أمر الله.

وتظلّم رجل من

بعض عُمال عمر وادَّعى أنه ضَربه وتعدَى عليه فقال: اللهم إِني لا أحلُّ لهم أشعارَهم ولا

أبشارهم.

كلُ من ظَلمه أميرُه فلا أميرَ عليه دوني ثم أقاده منه.

عَوَانُة عن الشَّعبي قال: كان

عمر يطوف في الأسواق ويقرأ القرآن ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم.

وقال المُغيرة بن

شُعبة وذكر عُمَر فقال: كان والله له فضلٌ يمنعه من أن يَخدع وعقل يَمنعه من أن يَنخدع.

فقال عمر: لست بِخَب ولا الَخب يَخدعني.

عِكرمة عن ابن عباس قال قال: بينما أنا أمشي

مع عُمرَ بن الخطاب في خلافته وهو عامد لحاجة له وفي يده الدَرة فأنا أمشي خلفه وهو

يُحدّث نفسَه ويَضرب وحشي قَدميه بدِرَّته إذ التفت إليّ فقال: يا بن عبّاس أتدري ما

حَملني على مَقالتي التي قلتُ يوم تُوفّي رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم قلت: لا.

قال: الذي

حَملني على ذلك أنّي كنتُ أقرأ هذه الآية: " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شَهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " فواللّه إني كنت لأظنّ أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم

سيبقى في أمته حتى يَشهد علينا بأخفّ أعمالنا فهو الذي دَعاني إلى ما قلت.

ابن دأب قال:

قال ابن عبّاس: خرجت أريد عمر في خلافته فألفيتُه راكباً على حمار قد أَرْسنه بحَبل أسود

وفي رجليه نَعلان مخصوفتان وعليه إزار قصير وقميص قصير قد انكشفت منه ساقاه

فمشيتُ إلى جَنبه وجعلتُ أجبِذُ الإزار عليه فجعل يَضحك ويقول: إنه لا يطيعك.

حتى أتى

العالية فَصنع له قومٌ طعاماً من خُبز ولحم فدَعه إليه وكان عمر صائماً فجعل يَنبُذ إليّ

الطعام ويقول: كُلْ لي ولك.

ومن حديث ابن وَهْب عن اللَّيث بن سعد: أن أبا بكر لم يكن يأخذ

من بيت المال شيئاً ولا يُجري عليه من الفيء درهما إلا أنه استلف منه مالاً فلما حَضرته

الوفاةُ أمر عائشةَ بردّه.

وأما عمرُ بن الخطاب فكان يُجرى على نفسه دِرْهمين كلَّ يوم.

فلما وَلى

عمرُ بن عبد العزيز قيل له: لو أخذتَ ما كان يأخذ عمرُ بن الخطّاب قال: كان عمرُ لا مالَ له

وأنا مال يُغنيني بم فلم يأخذ منه شيئاً.

أبو حاتم عن الأصمعي قال: قال عمر وقام على الرَّدم:

أين حقك يا أبا سفيان مما هنا قال: ممّا تحت قَدميك إليّ.

قال: طالما كنتَ قديمَ الظّلم ليس

لأحد فيما وراء قدميّ حق إنما هي منازل الحاج.

قال الأصمعي: وكان رجلٌ من قريش قد

تقدَّم صدرٌ من داره عن قدمَي عمر فهدمه.

وأراد أن يُغوِّر البئر فقيل له: في البئر للناس

مَنفعة فتركها.

قال الأصمعي: إذا ودَّع الحاجَّ ثم بات خلفَ قدمي عمرَ لم أرَ عليه أن يرجع.

يقول: قد خرج من مكة.

مقتل عمر

أبو الحسن: كان للمُغيرة بن شُعبة غلام نَصراني يقال له: فَيْروز أبو لؤلؤة وكان نجَّاراً لطيفاً

وكان خِراجُه ثقيلاً فشكا إلى عمر ثِقل الخراج وسأله أن يكلِّم مولاه أن يُخفِّف عنه من خراجه

فقال له: وكم خِراجك قال ثلاثة دراهم في كل شهر.

قال وما صناعتُك قال: نجَّار.

قالت:

ما أرى هذا ثقيلاً في مثل صناعتك.

فخرج مُغضَباً فاستلّ خِنْجراً محدودَ الطَّرفين.

وكان عمر

قد رأى في المَنام ديكاً أحمر ينقره ثلاث نَقرات فتأوله رجلاً من العجم يَطعنه ثلاثَ طَعنات.

فطعنه أبو لُؤلؤة بخِنْجره ذلك في صلاة الصُّبح ثلاثَ طَعنات إحداها بين سرُّته وعانته فخرقت

الصِّفاق وهي التي قتلته.

وطُعن في المسجد معه ثلاثةَ عشرَ رجلاً مات منهم سَبعة.

فأقبل

رجلٌ من بني تميم يقال له حِطَّان فألقى كِساءه عليه ثم احتضنه.

فلما علم العِلج أنه مأخوذ

طَعن نفسه وقدَّم عُمر صُهيباً يصلِّي بالناس فقرأ بهم في صلاة الصُّبح: " قل هو اللّه أحد " في

الرَّكعة الأولى و " قُل يأيها الكافرون " في الرّكعة الثانية.

واحتُمل عمر إلى بيته فعاش ثلاثةَ أيام ثم

مات.

وقد كان استأذن عائشةَ أن يُدفن في بيتها مع صاحبيه فأجابته وقالت: واللّه لقد كنتُ

أردتُ ذلك المَضجع لنفسي ولأوثرنّه اليوم على نفسي.

فكانت ولايةُ عمر عشرَ سنين.

صلّى

عليه صُهيب بين القَبر والمِنْبر ودُفن عند غروب الشمس.

كاتبُه: زيدُ بن ثابت وكتب له

مَعَيقب أيضاً.

وحاجبُه: يرْفأ مولاه.

وخازِنُه: يسار.

وعلى بيت ماله: عبدُ اللّه ابن الأرقم.

وقال الليثُ بن سعد: كان عمرُ أول من جَنّد الأجناد ودَوَّن الدَّواوين وجعل الخلافة شُورى بين

ستّة من المسلمين وهم: عليّ وعُثمان وطِلْحة والزَّبير وسَعد بن أبي وقَّاص وعبدُ الرحمن بن

عوف ليختاروا منهم رجلاً يولّونه أمرَ المسلمين.

وأوصى أن يَحضُر عبدُ اللهّ بن عُمر معهم

وليس له من أمر الشُّورى شيء.

أمر الشورى في خلافة عثمان بن عفان

صالح بن كيسان قال: قال ابن عباس: دخلت على عُمر في أيام طَعْنته وهو مُضطجع على

وسادة من أدم وعنده جماعةٌ من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم.

فقال له رجل: ليس

عليك بأس.

قال: لئن لم - يكن علِيّ اليوم ليكونّ بعد اليوم وإنّ للحياة لنصِيباً من القلب وإن

للموت لكُربة وقد كنتُ أحب أن أُنجيَ نفسي وأنجوَ منكمِ وما كنتُ من أمركم إلا كالغَريق يرى

الحياة فيرجوها ويخشى أن يموت دونها فهو يرْكض بيديه ورجليه وأشدُ من الغريق الذي يرى

الجنَة والنار وهو مشغول.

ولقد تركتُ زَهرتكم كما هي ما لبستُها فأخلقتُها وثمرتَكم يانعة في

أكمامها ما أكلتُها وما جَنيت ما جنيت إلا لكم وما تركتُ ورائي دِرْهما ما عدا ثلاثين أو

أربعين درهما ثم بكى وبكى الناسُ معه.

فقلت: يا أمير المؤمنين أبشر فواللّه لقد مات رسولُ

الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ومات أبو بكر وهو عنك راضٍ وإن المسلمين

راضون عنك.

قال: المَغْرور واللّهَ من غَررتموه أما واللّه لو أن لي ما بين المشرق والمغرب

لافتديتُ به من هَوْل الُمَطّلَع.

داود بن أبي هِند عن قَتادة قال: لما ثقُل عمر قال لولده عبد اللّه:

ضَع خَدّي على الأرض.

فَكَره أن يفعل ذلك.

فوضع عمرُ خدَه على الأرض وقال: ويل لعمر

ولام عمر إن لم يَعْفُ اللّه عنه.

أبو أمية بن يَعلى عن نافع قال: قيل لعبد اللّه بن عُمر: تُغسل

الشهداء قال: كان عمر أفضلَ الشُّهداء فغُسّل وكُفن وصلُيَ عليه.

يونس عن الحسن وهشامُ

بن عُروة عن أبيه قالا: لما طُعن عمرُ بن الخطّاب قيل له: يا أمير المُؤمنين لو استخلفتَ قال:

إن تركتُكم فقد تَرككم مَن هو خيرٌ منّي وإِن استخلفتُ فقد استخلف عليكم من هو خير

مني ولو كان أبو عُبيدة بن الجَراح حيًّا لاستخلفتُه فإن سألني ربَي قلت: سمعتُ نبيك يقول: إنه

أمينُ هذه الأمة ولو كان سالمٌ مولًى أبي حُذيفة حيا لاستخلفتُه فإن سألني ربِّي قلت: سمعتُ

نبيَّك يقول: إنّ سالماً ليُحب اللّه حُبَا لو لم يَخفه ما عصاه.

قيل له: فلو أنك عهدتَ إلى عبد اللّه

فإنه له أهلٌ في دينه وفَضله وقديم إسلامه.

قال: بِحَسْب آل الخطَّاب أن يُحاسَب منهم رجلٌ

واحد عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولوددتُ أني نجوتُ من هذا الأمر كَفافاً لا لي ولا

علي.

ثم راحوا فقالوا: يا أمير المؤمنين لو عهدتَ فقال: قد كنتُ أجمعتُ بعد مقالتي لكم أن

أولّي رجلاً أمركم أرجو أن يَحملكم على الحق - وأشار إلى عليّ - ثم رأيتُ أن لا أتحملها

حيّا وميتاً فعليكم بهؤلاء الرَّهط الذين قال فيهم النبيُ صلى الله عليه وسلم.

إنهم من أهل الجنة منهم سَعيد بن زيد ابن عمرو بن نُفيل ولستُ مُدخِلَه فيهم ولكن الستَة:

علي وعثمان ابنا عبد مناف وسعد وعبد الرحمن بن عوف خال رسول اللهّ صلى الله عليه

وسلم والزبير حواريّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وطَلحة الخير فليختاروا

منهم رجلاً فإذا ولَوكم والياً فأحسِنوا مُؤازرته.

فقال العباس لعلي: لا تَدخل معهم.

قال: أكره

الخلاف.

قال: إذن ترى ما تكره.

فلما أصبح عُمرُ دعا عليا وعثمان وسعداً والزُّبير وعبد

الرحمن ثم قال: إني نظرت فوجدتُكم رؤساءَ الناس وقادَتهم ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم

وإني لا أخاف الناسَ عليكم ولكني أخافكم على الناس وقد قُبض رسول اللهّ صلى الله عليه

وسلم وهو عنكم راض فاجتمعوا إلى حُجرة عائشة بإذنها فتشاوروا واختاروا منكم رجلاً

ولْيُصل بالناس صُهيب ثلاثة أيام ولا يأتي اليومُ الرابع إلا وعليكم أميرٌ منكم ويحضركم عبدُ الله

مُشيراً ولا شيءَ له من الأمر وطلحة شريككم في الأمر فإن قَدِم في الأيام الثلاثة فأحضروه

أمركم وإن مَضت الأيام الثلاثة قبل قدُومه فأمضُوا أمركم.

ومن لي بطَلحة فقال سعد: أنا لك

به إن شاء الله.

قال لأبي طَلحة الأنصاري: يا أبا طلحة إنَ الله قد أعزّ بكم الإسلام فاختر

خَمسين رجلاً من الأنصار وكُونوا مع هؤلاء الرهط حتى يَختاروا رجلاً منهم.

وقال للمِقْداد بن

الأسود الكِنديّ: إذا وضعتُموني في حُفرتي فاجمع هؤلاء الرَّهط حتى يختاروا رجلاً منهم.

وقال لصُهيب: صل بالناس ثلاثة أيام وأدخل عليًّا وعثمان والزُّبير وسعداً وعبد الرحمن

وطَلحة إن حَضر بيت عائشة وأحْضِر عبدَ الله بن عمر وليس له في الأمر شيء وقُم على

رُؤوسهم فإن اجتمع خمسةٌ على رأي واحد وأبى واحدٌ فاشدَخ رأسه بالسيف وإن اجتمع

أربعةٌ فرضُوا وأبى اثنان فاضرب رأسيهما فإن رضي ثلاثة رجلاً وثلاثة رجلاً فحكِّموا عبدَ

الله بن عمر فإن لم يرضَوا بعبد الله فكُونوا مع الذين فيهم عبدُ الرحمن بن عوف واقتُلوا الباقين

إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس وخرجوا.

فقال علي لقوم معه من بني هاشم: إن أطيع فيكم

قومُكم فلن يومروكم أبداً.

وتلقاه العبَّاس فقال له: عَدلتْ عنا.

قال له: وما أعلمك قال: قَرن

بي عثمان ثم قال: إن رضي ثلاثةٌ رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبدُ الرحمن بن عوف فسَعد لا

يخالف ابن عَمه عبد الرحمن وعبدُ الرحمن صهر عثمان لا يختلفون فلو كان الآخران معي ما

نَفعاني فقال العبّاس: لم أدفعك في شيء إلا رجعتَ إليّ مستأخرا بما أكره أشرتُ عليك عند

وفاة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أن تسأله فيمن هذا الأمر فأبيت وأشرتُ عليك بعد

وفاة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أن تعاجل الأمر فأبيت وأشرتُ عليك حين سمَّاك عمر في

الشُّورى أن لا تدخل معهم فأبيت فاحفظ عنّي واحدة: كل ما عرَض عليك القوم فأمسك إلى

أن يولّوك واحذر هذا الرهطَ فإنهم لا يَبْرَحون يدفعوننا عن هذا الَأمر حتى يقوم لنا به غيرُنا.

فلما مات عمر وأخرجت جِنازته تصدَّى عليّ وعثمان أيهما يصلّي عليه.

فقال عبدُ الرحمن:

كلا كما يحب الأمر لستما مِن هذا في شيء هذا صُهيب استخلفه عمرُ يصلّي بالناس ثلاثاً

حتى يجتمع الناس على إمام.

فصلّى عليه صُهيب.

فلما دُفن عمر جمع المِقدادُ بن الَأسود أهل

الشُّورى في بيت عائشة بإذنها وهم خمسة معهم ابن عمر وطلحة غائب وأمروا أبا طلحة

فَحجبهم.

وجاء عمرو بن العاص والمُغيرة بن شُعبة فجلسا بالباب فَحصبهما سعد وأقامهما

وقال: تُريدان أن تقولا: حضرنا وكُنَّا في أهل الشُّورى! فتنافس القومُ في الأمر وكثُر بينهم

الكلام كلٌّ يرى أنه أحقُّ بالأمر.

فقال أبو طلحة: أنا كنتُ لأن تدفعوها أخوفَ مني لأن

تنافسوها لا والذي ذَهب بنفس محمد لا أَزيدكم على الأيام الثلاثة التي أمر بها عمر أو أَجلس

في بيتي.

فقال عبدُ الرحمن: أيكم يُخرج منها نفسه ويتقلّدها على أن يُولّيها أفضَلكم فلم يُجبه

أحد.

قال: فأنا أنخلع منها.

قال عثمان: أنا أولُ مَن رضي فإني سمعتُ رسولَ اللّه صلى الله

عليه وسلم يقول: عبدُ الرحمن أمين في السماء أمين في الأرض.

فقال القوم: رضينا وعليّ

ساكت.

فقال: ما تقول يا أبا الحسن قال: إن أعطيتَني مَوْثقا لتُؤْثرنّ الحق ولا تَتبع الهوى ولا

تَخُص ذا رَحم ولا تألو الأمة نُصحاً.

قال: أعطوني مواثيقَكم على أن تكونوا معي على مَن

نَكل وأنْ ترضوا بما أخذتُ لكم.

فتوثّق بعضُهم من بعض وجعلوها إلى عبد الرحمن.

فخَلا بعليّ فقال: إنك أحق بالأمر لقَرابتك وسابقتك وحُسن أثرك ولم تَبْعد فمن أحقُّ بها

بعدك مِن هؤلاء قال: عثمان.

ثم خلا بعثمان فسأل عن مثل ذلك.

فقال: علي ثم خلا

بسعد.

فقال عثمان ثم خلا بالزبير.

فقال: عثمان.

أبو الحسن قال: لما خاف عليُّ بن أبي طالب

عبدَ الرحمن بن عوف والزُّبير وسعدا أن يكونوا مع عثمان لقي سعدا ومعه الحسنُ والحُسين فقال

له: " اتقُوا اللّهَ الَّذي تَساءلون به والأرحام إنَ اللّه كان عليكم رَقِيباً ".

أسألك برَحم ابنيّ هذيِنِ

من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وبرَحم عمِّي حمزة منك أن لا تكون مع عبد الرحمن ظهيراً

عليّ لعُثمان فإنّي أدلي إليك بما لا يُدلي به عثمان.

ثم دار عبدُ الرحمن لياليَه تلك على مشايخ

قُريش يُشاورهم فكلّهم يُشير بعثمان حتى إذا كان في الليلة آلتي استكمل فيم صَبيحتها الأجل

أتى منزلَ المِسْورِ ابن مخْرمة بعد هَجْعة من الليل فأيقظه فقال: ألا أراك إلا نائما ولم أذق فيَ

هذه الليالي نوما فانطلِقْ فادعُ لي الزَّبير وسعداً فدعا بهما.

فبدأ بالزُّبير في مُؤخَّر المسجد

فقال له: خَلِّ بني عبد مناف لهذا الأمر.

فقال: نَصيبي لعلّي.

فقال لسعد: أنا وأنت كالآلة

فاجعل نصيبَك لي فأختار.

قال: أما إن اخترت نفسك فنَعم وأما إن اخترت عثمان فعليٌّ

أحب إليَّ منه.

قال: يا أبا إسحاق إني قد خلعت نفسي منها على أن أختار ولو لم أفعل

وجُعل إليَّ الخيارُ ما أردتُها إني رأيت كأني في رَوْضة خضراء كثيرةِ العُشب فدخل فَحْل لم

أر مثلَه فحلاً أكرمَ منه فمرّ كأنه سَهم لا يلتفت إلى شيء مما في الرَّوضة حتى قَطعها ودَخل

بعير يتلوه فأتبع أثرَه حتى خرج إليه من الرّوضة ثم دخل فحلٌ عَبقريّ يَجر خُطامه يلتفت يميناً

وشمالًا وَيمضي قَصْد الأولَيْن ثم خرج من الرَّوضة ثم دخل بعير رابع فرَتع في الروضة ولا واللّه

لا أكون البعيرَ الرابع ولا يقوم بعد أبي بكر وعُمَر أحدٌ فيرضى الناسُ عنه.

ثم أرسل المِسْورَ إلى

عليّ وهو لا يَشك أنه صاحب الأمر.

ثم أرسل المِسْورَ إلى عثمان فناجاه طويلاً حتى فرَّق

بينهما آذان الصُّبح.

فلما صَلوا الصبحَ جَمع إليه الرهطَ وبعث إلى مَن حَضره من المُهاجرين

والأنصار وإلى أمراء الأجناد حتى ارتج المسجد بأهله فقال: أيها الناس إنَّ الناس قد احبُّوا

أن تلحق أهلُ الأمصار بأمصارهم وقد عَلموا مَن أميرُهم.

فقال عمَّار بن ياسر: إن أردت أن لا

يختلف المسلمون فبايع عليا.

فقال المِقداد بن الأسود: صدق عمَّار إن بايعتَ عليّا قلنا: سَمِعنا

وأطعنا.

قال ابن أبي سَرْحٍ: إنْ أردتَ أن لا تختلف قريش فبايع عُثمان إن بايعتَ عثمان

سمعنا وأطَعْنا.

فشتم عمار ابن أبي سَرْح وقال: متي كنتَ تَنصح المسلمين! فتكلم بنو هاشم

وبنو أمية.

فقال عمار: أيها الناس إن اللّه أكرمنا بنبيّنا وأعزّنا بدينه فأنى تَصْرفون هذا الأمرَ

عن بيت نبيّكم! فقال له رجلَ من بني مخزوم: لقد عدوتَ طَوْرك يا بن سُمية وما أنت وتأميرُ

قريش لأنفسها.

فقال سعدُ بن أبي وقَاص: يا عبد الرحمن افرُغ قبل أن يفتتن الناسُ.

فقال عبد

الرحمن: إني قد نظرت وشاورت فلا تجعلُن أيها الرهطُ على أنفسكم سبيلا.

ودعا عليّاً فقال: عليك عهدُ الله وميثاقُه لتعملنّ بكتاب الله وسُنة نبيه وسيرة الخَليفتين من

بعده قال: أعمل بمبلغ علمي وطاقتي.

ثم دعا عثمان فقال: عليك عهدُ اللّه وميثاقُه لتعملنَّ

بكتاب اللّه وسُنة نبيّه وسرة الخليفتين من بعده فقال: نعم فبايعه.

فقال عليّ: حبوتَه محاباةً

ليس ذا بأول يوم تَظاهرتم فيه علينا أمَا والله ما ولّيتَ عثمانَ إلا ليردّ الأمر إليك والله كل يومٍ

هو في شأن.

فقال عبدُ الرحمن: يا علي لا تَجعل على نفسك سبيلا فإِنّي قد نظرتُ

وشاورتُ الناسَ فإذا هم لا يَعْدلون بعثمانَ أحدا.

فخرج عليّ وهو يقول: سيَبلغ الكتابُ أجلَه.

فقال المقدادُ: يا عبد الرحمن أمَا والله لقد تركتَه من الذين يَقْضون بالحقّ وبه يَعْدلون.

فقال: يا

مقداد والله لقد اجتهدتُ للمُسلمين.

قال: لئن كنتَ أردتَ بذلك الله فأثابك الله ثوابَ المحسنين.

ثم قال: ما رأيتُ مثلَ ما أوتي أهلُ هذا البيت بعد نبيِّهم إني لأعجب من قريش أنهم تركوا

رجلاً ما أقول إن أحداً أعلم منه ولا أقضيَ بالعَدْل ولا أعرفَ بالحق أما واللّه لو أجد أعوانا!

قال له عبدُ الرحمن: يا مقداد اتق الله فإني أخشى عليك الفِتْنة.

قال: وقدم طلحة في اليوم

الذي بُويع فيه عثمان فقيلِ له: إنَ الناسَ قد بايعوا عثمان.

فقال: أكُلّ قُريش رضُوا به قالوا:

نعم.

وأتى عثمان فقال له عثمانُ: أنت على رأس أمرك.

قال طلحة: فإنْ أبيتُ أتردُها قال:

نعم.

قال: أكل الناس بايعوك قال: نعم.

قال: قد رضيتُ لا أرغب عما اجتمعت الناسُ

عليه وبايعه.

وقال المغيرة بن شُعبة لعبد الرحمن: يا أبا محمد قد أصبتَ إذ بايعتَ عثمان ولو

بايعت غيرَه ما رضيناه.

قال: كذبتَ يا أعور لو بايعتُ غيره لبايعتَه وقلت هذه المقالة.

وقال

عبدُ الله بن عباس: ماشيتُ عمرَ بن الخطاب يوماً فقال لي: يا ابن عبّاس ما يمنع قومَكم منكم

وأنتم أهلَ البيت خاص قلت: لا أدري.

قال: لكني أدري إنكم فَضلتموهم بالنّبوة فقالوا: إن

فَضلوا بالخلافة مع النبوّة لم يُبقوا لنا شيئاً وإن أفضل النَّصيبين بأيديكم بل ما إخالها إلا مُجتمعة

لكم وإن نزلت على رغم أنف قريش.

فلما أحدث عثمان ما أحدث من تأمير الأحداث من

أهل بيته على الجلّة من أصحاب محمد قيل لعبد الرَّحمن: هذا عملُك قال: ما ظننتُ هذا ثمَ

مَضى ودَخل عليه وعاتَبه وقال: إنما قَدَّمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر

فخالفتَهما وحابيتَ أهل بيتك وأوطأتَهم رِقاب المُسلمين.

فقال: إنَ عمر كان يَقطع قرابته في الله

وأنا اصِل قَرابتي في الله.

قال عبدُ الرحمنِ: للّه عليّ أن لا أكلمك أبدا فلم يُكلَمه أبداً حتى

مات ودخل عليه عثمان عائداً له في مرَضه فتحوّل عنه إلى الحائط ولم يُكلِّمه.

ذكروا أنَ زياداً

أوفد ابن حُصين على معاوية فأقام عنده ما أقام ثم إنَ معاويةَ بعث إليه ليلا فخلا به فقال

له: يا بن حُصين قد بلغني أنَّ عندك ذِهناً وعَقلا فأَخبرني عن شيء أسألُك عنه.

قال: سَلْني

عما بدا لك.

قال: أخبرني ما الذي شتَت أمرَ المسلمين وفَرق أهواءهم وخالف بينهم قال:

نعم قَتْل الناسِ عثمانَ.

قال: ما صنعتَ شيئاً.

قال: فمسيرُ عليّ إليك وقِتالًه إياك.

قال: ما

صنعت شيئاً.

قال: ما عندي غيرُ هذا يا أمير المؤمنين.

قال: فأنا أخبرك إنه لم يُشتت بين

المسلمين ولا فرق أهواءهم ولا خالف بينهم إلا الشُّورى التي جعلها عمرُ إلى ستّة نفر وذلك أنَّ

اللّه بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كَره المُشركون فَعَمل بما أمره اللّه

به ثم قَبضه الله إليه وقدَم أبِا بكر للصلاة فرضُوه لأمر دُنياهم إذ رَضِيه رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم لأمر دينهم فَعمل بسُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار بسَيْره حتى قبضه

اللّه واستخلف عمرَ فعمل بمثل سِيرته ثم جعلها شورى بي ستة نفر فلم يكن رجلٌ منهم إلا

رجاها لنفسه ورجاها له قومُه وتطلعت إلى ذلك نفسُه.

ولو أنَّ عمرَ استخلف عليهم كما

استخلف أبو بكر ما كان في ذلك اختلاف.

وقال المُغيرة بن شُعبة: إني لعند عمرَ بن الخطاب

وليس عنده أحد غيري إذا أتاه آتٍ فقال: هل لك يا أميرَ المؤمنين في نَفر من أصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم يزعمون أنَ الذي فعل أبو بكر في نفسه وفيك لم يكن له وأنه كان بغير

مَشورة ولا مُؤامرة وقالوا: تعالوا نتعاهد أن لا نعود إلى مثلها.

قال عمر: وأين هم قال: ي دار

طَلْحة.

فخرج نحوهم وخرجتُ معه وما أعلمه يُبصرني من شدّة الغضب فلما رأواه كَرهوه

وظنوا الذي جاء له.

فوقف عليهم وقال: أنتم القائلون ما قلتم والله لن تتحابوا حتى يتحابّ

الأربعة: الإنسان والشيطان يُغويه وهو يَلعنه والنار والماء يطفئها وهي تُحرقه ولم يأنِ لكم بعدُ

وقد آن ميعادُكم ميعاد المسيخ متى هو خارج.

قال: فتفرّقوا فسلك كلُّ واحد منهم طريقا.

قال

المُغيرة: ثم قال لي: أدرك ابن أبي طالب فاحْبِسه عليّ.

فقلت: لا يفعل أميرُ المؤمنين وهو مُغِدّ.

فقال: أدرِكه وإلا قلتُ لك يا بن الدباغة.

قال: فأدركتُه فقلت له: قِف مكانَك لإمامك واحلُم

فإنه سُلطان وسيَندم وتَندم.

قال: فأقبل عمر فقال: والله ما خَرج هذا الأمر إلا من تحت

يدك.

قال عليّ: اتق أن لا تكون الذي تُطيعك فَتَفْتِنك.

قال: وتُحب أن تكون هو قال: لا ولكنَّنا

نُذكّرك الذي نَسيتَ.

فالتفت إليّ عمر فقال: انصرف فقد سمعتَ منَا عند الغضب ما كفاك

فتنجّيتُ قريباً وما وقفتُ إلا خشيةَ أن يكون بينهما شيء فأكونَ قريباً فتكلَما كلاماً غير

غَضْبانين ولا راضيَين ثم رأيتُهما يَضحكان وتفرقا.

وجاءني عمر فمشيتُ معه وقلت: يَغفر

الله لك أغضبتَ قال: فأشار إلى علي وقال: أما واللهّ لولا دُعابةٌ فيه ما شككتُ في ولايته

وإن نزلتْ على رَغم أنف قريش.

العُتبي عن أبيه: إن عُتبة بن أبي سُفيان قال: كنتُ مع معاوية في دار كِنْدة إذ أقبل الحسنُ

والحُسين ومحمد وبنو علي بن أبي طالب فقلت: يا أميرَ المؤمنين إنَّ لهؤلاء القوم أشعاراً

وأبشاراً وليس مثلهم كَذب وهم يزعمون أنّ أباهم كان يعلم.

فقال: إليك من صَوْتك فقد

قَرُب القوم فإذا قاموا فذكِّرني بالحديث فلما قاموا قلت يا أميرَ المؤمنين ما سألتُك عنه من

الحديث قال: كل القوم كان يَعلم وكان أبوهم مِن أعلمهم.

ثم قال.

قدمتُ على عمرَ بن

الخطاب فإني عنده إذ جاءه عليٌّ وعثمان وطلحةُ والزبير وسعدٌ وعبد الرحمن بن عوف

فاستأذنوا فأذِن لهم فدخلوا وهم يتدافعون ويَضْحكون فلما رآهم عمرُ نَكس فعلموا أنه

عِلى حاجة فقاموا كما دخلوا.

فلما قاموا أتبعهم بصرَه فقال: فِتْنة أعُوذ بالله من شرهم

وقد كَفاني الله شرَهم.

قال: ولم يكن عمر بالرجل يُسأل عما لا يُفسَّر.

فلماِ خرجت جعلت

طريقي على عثمان فحدَثته الحديثَ وسألته الستر.

قال: نعم على شريطة.

قلت: هي لك.

قال: تَسمع ما أخبرك به وتَسكت إذا سكتُ.

قلت: نعم.

قال: ستة يُقدح بهم زِناد الفِتنة

يجري الدمُ منهم على أربعة.

قال: ثم سكت.

وخرجتُ إلى الشام فلما قدمتُ عليِ عمر

فَحدث من أمره ما حَدث فلما مضت الشُورى ذكرتُ الحديث فأتيت بيت عثمان وهو

جالس وبيده قَضيب فقلت: يا أبا عبد اللّه تذكر الحديثَ الذي حدَثتَني قال: فأزَمَ على

القضيب عَضًا ثم أقلع عنه وقد أثر فيه فقال: ويحك يا معاوية أيَ شيء ذَكَرتني! لولا أن يقول

الناسُ خاف أن يُؤخذ عليه لخرجتُ إلى.

الناس منها.

قال: فأبى قضاءُ الله إلا ما ترى.

ومما

نَقم الناسُ على عثمان أنه آوى طريدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكَم بن أبي العاص ولم

يُؤْوه أبو بكر ولا عُمر وأعطاه مائةَ ألف وسَير أبا ذَرّ إلى الربذة وسير عامرَ بن عبد قيس من

البَصرة إلى الشام وطَلب منه عُبيد الله بنُ خالد بن أسِيد صلةً فأعطاه أربعمائة ألف وتصدّق

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمهزور - موضِع سوق المدينة - على المُسلمين فأقطعها

الحارثَ بن الحَكم أخا مَرْوان وأقطع فدك مروانَ وهي صدقة لرسول الله صلى الله عليه

وسلم وافتتح إفريقية وأخذ خُمسه فوهبه لمَروان.

فقال عبد الرحمن بن حَنْبل الْجُمحي:

فأحْلِفُ بالله رَبّ الأنا م ما كتب اللّه شيئا سُدَى

ولكنْ خلِقت لنا فِتْنةً لكَي نُبتَلى بك أو تبتلى

فإن الأميئَينْ قد بَينا مَناراً لحق عليه الهُدى

فما أخذا دِرْهما غِيلةً وما تَركا دِرْهما في هَوى

وأعطيتَ مَرْوان خمس العبا د هيهات شأوك ممن شَأى

نسب عثمان وصفته

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

أمه أروى بنت كُريز

بن رَبيعة بن حَبيب بن عبد شمس.

وأمها البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم عم النبيّ صلى

الله عليه وسلم.

وكان عثمان أبيضَ مُشرباً صُفرة كأنها فضة وذهب حَسنَ القامة حَسن

الساعدين سَبط الشعر أصلع الرأس أجمل الناس إذا اعتمَّ مُشرف الأنف عَظيم الأرْنبة

كثير شَعر السّاقين والذّراعين ضَخْم الكَراديس بعيدَ ما بين المَنْكبين.

ولما أسنَ شدّ أسنانه

بالذَهب وسَلِس بَوْلُه فكان يتوضَّأ لكل - صلاة وَلِي الخلافةَ مُنْسلخَ ذي الحِجّة سنة ثلاث

وعشرين وقُتل يوم الجمعة صَبيح عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين.

وفي ذلك يقول حسان:

ضَحوا بأشمطَ عُنوان السُّجود به يُقطِّع الليلَ تسبيحاً وقُرآنا

لنسمعنّ وشيكاً في دِيارهمُ اللّه أكبرُ يا ثاراتِ عُثمانا

فكانت ولايتُه اثنتي عشرةَ سنة وستةَ عشر يوما.

وهو ابن أربع وثمانين سنة.

وكان على

شرُطته - وهو أوّل من - اتخذ صاحبَ شرطة - عبيدُ اللّه ابن قُنفذ.

وعلى بيت المال عبدُ

اللّه بن أرقم ثم استعفاه.

وكاتبه: مروان.

وحاجبه: حُمران مولاه.

سالمُ بن عبد اللّه بن عُمر قال: أصاب الناسَ مجاعة في غَزوة تبوك فاشترى عثمان طعاماً على

ما يُصلح العسكر وجَهز به عِيراً.

فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى سواد مُقبل فقال: هذا

جمل أشقر قد - جاءكم بميرة.

فأنيخت الركائب فرَفع رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم يديه

إلى السماء وقال: اللهم إني قد رضيتُ عن عثمان فارضَ عنه.

وكان عثمان حليما سخيًا

مُحببا إلى قريش حتى كان يقال: " أحبك والرحمن حب قُريش عثمان ".

وزوجه النبي صلى

الله عليه وسلم رُقية ابنته فاتت عنده فزوّجه أم كلثوم ابنته أيضاً.

الزهري عن سعيد بنُ المُسيب قال: لما ماتت رُقية جَزع عثمانُ عليها وقال: يا رسول الله

انقطع صِهْري منك.

قال: إن صهرك مني لا ينقطع وقْد أمرني جبريلُ أن أزوجك أختَها بأمر

الله.

عبد اللّه بن عباس قال: سمعتُ عثمان بن عفان يقول: دخل عليّ رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم في هذا البيت فراني ضجيعا لأم كلثوم فاستعبر فقلت: والذي بَعَثك بالحق ما

اضطجعتْ عليه أنثى بعدها.

فقال: ليس لهذا استعبرتُ فإن الثياب للحيّ وللميت الحَجر ولو

كُن يا عثمان عشراً لزوجتُكهن واحدةً بعد واحدة.

وعرض عمرُ بن الخطاب ابنته حَفصة على

عُثمان فأبى منها فشكاه عمرُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: سيزوج اللّه ابنتك خيراً من

عثمان ويزوج عثمان خيراً من ابنتك.

فتزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حَفصة وزوج

ابنته من عثمان بن عفان.

" ومن حديث الشَّعبي أن النبي عليه إسلام دخل عليه عثمان فسوّى

ثوبه

عليه وقال: كيف لا أستحي ممن تَستحي منه الملائكة!

مقتل عثمان بن عفان

الرياشي عن الأصمعي قال: كان القواد الذين ساروا إلى المدينة في أمر عثمان أرِبعة: عبدُ

الرحمن بن عُديس التَنوخيّ وحَكيم بن جَبلة العَبْديّ والأشتر النَخَعي وعبدُ الله بن فُديك

الخُزاعي.

فقدمُوا المدينةَ فحاصروه وحاصره معهم قومٌ من المهاجرين والأنصار حتى دخلوا

عليه فقتلوه والمصحف بين يديه.

ثم تقدّموا إليه وهو يقرأ يومَ الجمعة صَبيحة النَّحر وأرادوا أن

يقطعوا رأسه ويَذهبواِ به فرمَت نفسها عليه امرأتُه نائلةُ بنت الفُرافصة وابنة شَيبة بن ربيعة

فتركوه وخرجوا.

فلما كان ليلةَ السبت انْتَدب لدفنه رجال منهم: خبير ابن مُطعم وحَكيم بن

حِزام وأبو الجَهم بن حُذيفة وعبدُ الله بن الزُبير فوضعوه على باب صَغير وخرجوا به إلى

البَقيع ومعهم نائلةُ بنتُ الفُرافصة بيدها السَراج.

فلما بلغوا به البَقيع مَنعهم من دَفْنه فيه رجالٌ

من بني ساعدة فردّوه إلى حُش كَوكب فدفنوه فيه وصلّى عليه خبير بن مُطعِم ويقال: حَكيم

بن حِزام.

ودَخلت القبرَ نائلةُ بنت الفُرافصة وأمُ البنين بنت عُيينة زوجتاه وهما دلّتاه في

القبر.

والحُش: البستان.

وكان حُشَّ كوكب اشتراه عثمان فجعله أولادُه مقبرة للمُسلمين.

يعقوب بن عبد الرحمن: عن محمد بن عِيسى الدِّمشقي عن محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ذِئب

عن محمد بن شهاب الزُّهري قال: قلتُ لسعيد بن المُسيّب: هل أنت مُخبري كيف قتل عثمان

وما كان شأن الناسِ وشأنه ولم خَذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال: قُتل

عثمان مَظلوماً ومَن قتله كان ظالماً ومَن خذله كان مَعذوراً.

قلت: وكيف ذاك قال: إنّ

عثمان لما وَلي كَره ولايتَه نفرٌ من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لأنّ عثمان كان

يُحب قومه فوَلي الناسَ اثنتي عشرة سنةً وكان كثيراً ما يُولّي بني أمية ممن لم يكن له من لرسول

اللَّه صلى الله عليه وسلم صُحبة وكان يَجيء من أمرائِه ما يُنكره أصحابُ محمد فكان

يُستعتب فيهم فلا يَعزلهم.

فلما كان في الحِجج الآخرة استأثر ببني عمه فولّاهم وأمرهم بتقوى

اللّه فخرجوا.

وولّى عبدَ اللّه بن أبي صح مصرَ فمكث عليها سِنين فجاء أهلُ مصر يشكونه

ويتظلّمون منه.

ومن قبل ذلك كانت من عثمان هَناةٌ إلى عبد اللّه بن مسعود وأبي ذَرّ وعمّار بن

ياسر.

فكانت هُذيل وبنو زُهرة في قلوبهم ما فيها لابن مَسعود.

وكانت بنو غِفار وأحلافها ومن

غَضب لأبي ذرّ في قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخَزوم قد حَنِقت على عثمان بما نال عمّارَ بن

ياسر.

وجاء أهلُ مصر يشكون من ابن أبي سرَح فكتب إليه عثمانُ كتاباً يتهدّده فأبى ابن

أبي سرح أن يَقبل ما نهاه عثمانُ عنه وضَرب رجلاً ممن أتى عثمانَ فقتله.

فخرج من أهل

مصر سبعُمائة رجل إلى المدينة فنزلوا المسجدَ وشكوا إلى أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه

وسلم في مواقيت الصلاة ما صَنع ابن أبي سَرْح.

فقام طلحةُ بن عُبيد اللّه فكلَّم عثمانَ بكلام

شديد.

وأرسلت إليه عائشةُ: قد تقدَّم إليك أصحابُ رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم

وسألوك عَزل هذا الرجل فأبيتَ أن تعزلَه فهذا قد قَتل منهم رجلاً فأنْصِفهم من عاملك.

ودخل عليه عليٌّ وكان متكلّمَ القوم فقال: إنما سألوك رجلاً مكَان رجل وقد ادعوا قِبله دماً

فاعزله عنهم واقض بينهم وإن وجب عليه حق فأنصفهم منه.

فقال لهم: اختاروا رجلاً أولِّه

عليكم مكانَه.

فأشار الناسُ عليهم بمحمد ابن أبي بكر.

فقالوا: استعمل علينا محمدَ بن أبي

بكر.

فكَتب عهدَه وولاّهَ وأخرج معهم عِدَّة من المُهاجرين والأنصار يَنظرون فيما بين أهل مِصر

وابن أبي سَرْح.

فخرج محمد ومَن معه فلما كان على مَسيرة ثلاثة أيام من المدينة إذا هم بغُلام

أسود على بعير يَخبط الأرض خَبْطا كأنه رجل يَطلب أو يُطلب.

فقال له أصحابُ محمد: ما

قصتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب.

فقال: أنا غلامُ أمير المؤمنين وجّهني إلى عامل

مصر.

فقالوا: هذا عامل مصر معنا.

قال: ليس هذا أريد.

وأخبر بأمره محمدُ بن أبي بكر

فبعث في طلبه فأتي به فقال له: غلامُ من أنت قال: فأقبل مرة يقول: غلام أمير المؤمنين

ومرة: غلامُ.

مَروان حتى عَرفه رجل منهم أنَّه لعثمان.

فقال له محمد: إلى من أرسلت قال.

إلى عامل مصر.

قال: بماذا قال: برسالة.

قال: معك كتاب قال: لا.

ففتّشوه فلم يُوجد معه

شيء إلا إداوة قد يَبِست فيها شيء يَتقلقل فحركوه ليخرج فلم يَخْرج فشقُوا الإداوة فإِذا فيها

كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرَح.

فجمع محمدٌ مَن كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم

ثم فُكّ الكتاب بِمَحضر منهم فإذا فيه: إذا جاءك محمد وفلان وفلان فاحتل لقَتْلهم وأبْطل

كتابَهم وقَرَّ على عملك حتى يأتيَك رأي واحتبس مَن جاء يتظلّم منك ليأتيك في ذلك رأي إن

شاء اللّه.

فلما قرأوا الكتاب فَزعوا وعَزموا على الرُّجوع إلى المدينة وخَتم محمد الكتاب بخواتم

القوم الذين أرسلوا معه ودَفعوا الكتاب إلى رجل منهم وقَدِموا المدينة فجمعوا عليًّا وطلحةَ

والزُّبير وسعداً ومَن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمّ فكّوا الكتاب بمَحضر

منهم وأخبروهم بقصّة الغلام وأقرأوهم الكتابَ فلم يبق أحدٌ في المدينة إلا حَنِق على عثمان

وازداد مَن كان منهم غاضباً لابن مسعود وأبي ذر وعمّار بن ياسر غَضباً وحَنقا وقام

أصحابُ النبي صلى الله عليه وسلم فلحقوا منازلَهم ما منهم أحد إلا وهو مُغتم بما قرأوا في

الكتاب.

وحاصرَ الناسُ عثمان وأجلب عليه محمدُ بن أبي بكر بنِي تَيم وغيرهم وأعانه طلحةُ

بن عبيد اللهّ على ذلك.

وكانت عائشة تُقرّضه كثيراً.

فلما رأى ذلك عليّ بعث إلى طلحةَ

والزُبير وسَعد وعَمَّار ونفرٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلّهم بَدْري ثم دخل

على عثمان ومعه الكتابُ والغلام والبعير وقال له علي: هذا الغلام غلامك قال: نعم.

والبعيرُ

بعيرك قال: نعم.

والخاتَم خاتمك قال: نعم.

قال: فأنت كتبتَ الكِتاب قال: لا وحَلف

بالله: ما كتبتُ الكتاب ولا أمرتُ به ولا وجّهت الغلامَ إلى مصر قط.

وأما الخط فعرفوا أنه خط

مَرْوان وشكّوا في أمر عثمان وسألوه أن يَدفع إليهم مَروان فأبى.

وكان مَروان عنده في الدار.

فخرج أصحابُ محمد من عنده غِضاباً وشكّوا في أمر عثمان وعَلِموا أنه لا يَحْلف باطلاً إلا

أن قوماً قالوا: لا نُبرىء عثمان إلا أن يدفع إلينا مَروان حتى نَمتَحنه ونَعْرف أمرَ هذا الكتاب

وكيف يأمر بقَتل رجال من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بغير حق! فإن يك عثمانُ كَتبه

عَزلناه وإن يك مروان كَتبه على لسانه نَظرنا في أمره ولزموا بيوتَهم.

وأبى عثمانُ أن يُخرج إليهم

مروانَ وخَشي عليه القتل.

وحاصرَ الناسُ عثمانَ ومَنعوه الماء فأشرف عليهم فقال: أفيكم

عليّ قالوا: لا.

قال: أفيكم سَعد قالوا: لا.

فسكت ثم قال: ألا أحدٌ يبلغ عليّا فَيسقينا

ماء فبلغ ذلك عليا فبعث إليه ثلاث قِرَب مملوءة ماء فما كادت تصلُ إليه وجُرح بسببها عِدَّة

من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصل إليه الماء.

فبلغ عليًّا أن عثمان يراد قَتله فقال: إنما

أردنا منه مَروان فأما قَتلِ عثمان فلا.

وقالت للحسن والحُسين: اذهبا بسَيْفيكما حتى تَقوماً

على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه بمكروه.

وبعث الزُّبيرُ ولدَه وبعث طَلحة ولدَه على

كُره منه وبعث عِدّة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءَهم ليمنعوا الناسَ أن

يَدخلوا على عثمان وسألوه إخراج مَرْوان.

ورَمى الناس عثمان بالسِّهام حتى خضب الحسن

بن عليّ الدِّماء على بابه وِأصاب مَروانَ سهْمٌ في الدار وخُضب محمد بن طلحة وشجّ قُنبر

مولى عليّ.

وخشي محمد بن أبي بكر أن تَغضب بنو هاشم لحال الحَسن والحُسين فيُثيرونها

فأخذ بيدي رجلين فمال لهما: إذا جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحَسن والحُسين

كُشف الناس عن عثمان وبَطل ما نُريد ولكن مُرّوا بنا حتى نتسوّرَ عليه الدار فنقتلِه من غير

أن يعلم أحد.

فتسوَّر محمد بن أبي بكر وصاحباه من دار رجل من الأنصار.

ويقال من دار

محمد بن حَزْم الأنصاري.

ومما يدل على ذلك قولُ الأحوص:

لا تَرْثينّ لَحزميٍّ ظَفِرتَ به طُرًّا ولو طُرح الحَزْميُّ في النارِ

الناخِسين بمروان بذي خُشب والمُدْخِلين على عُثمان في الدار

فدخلوا عليه وليس معه إلا امرأته نائلة بنت الفُرافصة والمُصحف في حجره ولا يعلم أحد فَّي

كان معه لأنهم كانوا على البيوت.

فتقدم إليه محمد وأخذ بلحيته فقال له عثمان: أرسل لِحْيتي

يا بن أخي فلو رآك أبوك لساءه مكانُك.

فتراخت يدُه من لِحْيته وغَمز الرجلين فوجاه بمشَاقص

معهما حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا.

وخرجت امرأتُه فقالت: إنّ أمير المؤمنين

قد قُتل.

فدخل الحسن والحْسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مَذْبوحاً فأكبّوا عليه يَبكون.

وبلغ الخبرُ عليًّا وطَلحة والزُبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخَرجوا وقد ذهبت عقولُهم حتى

دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا فاسترجعوا.

وقال عليّ لابنيْه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما

على الباب ورَفع يدَه فلَطم الحُسين وضرب صدر الحَسن وشتم محمدَ بن طلحة ولَعن عبدَ

اللّه بن الزُبير.

ثم خرج علي وهو غضبان يرى أن طلحة أعان عليه.

فلقيه طلحةُ فقال: ما لك يا

أبا الحسن ضربت الحَسن والْحُسين فقال: عليك وعليهما لعنةُ الله يُقتل أمير المؤمنين ورجل من

أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم بَدْريّ ولم تقم بيّنة ولا حُجة! فقال طلحة: لو دَفع مروانَ لم

يُقتل.

فقال: لو دفع مروانَ قُتل قبل أن تَثبت عليه حُجة.

وخرج علي فأتى منزلَه.

وجاءه القوم

كُلهم يُهرعون إليه أصحافُ محمد وغيرهم يقولون: أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فقال: ليس

ذلك إلا لأهل بدر فمن رَضي به أهلُ بدر فهو خليفة فلم يبق أحدٌ من أهل بدر إلا أتى عليًّا

فقالوا: ما نرى أحداً أولى بها منك فمُد يدَك نُبايعك.

فقال: أين طلحة والزُبير وسَعْد فكان

أول من بايعه طلحةُ بلسانه وسعدٌ بيده.

فلما رأى ذلك علي خرج إلى المسجد فَصعد المنبر

فكان أولا مَن صعد طلحةُ فبايعه بيده وكانت إصبعه شلاّء فتطيّر منها عليّ وقال: ما

أخلَقه أن يَنْكث.

ثم بايعه الزّبير وسعدٌ وأصحاب النبيّ جميعاً.

ثمِ نزل ودعا الناسِ وطلبَ

مروان فهرب منه.

خرجت عائشة باكيةَ تقول: قُتل عثمان مظلوماً! فقال لها عمار: أنتِ

بالأمس تُحرضين عليه واليومَ تَبْكِين عليه! وجاء عليٌّ إلى امرأة عثمان فقال لها: من قَتل

عثمان قالت: لا أدري دخل رجلان لا أعرفهما إلا أن أرى وجُوههما وكان معهما محمدُ بن

أبي بكر وأخبرتْه بما صَنع محمد بن أبي بكر.

فدعا علي بمحمد فسأله عما ذكرت امرأةُ

عثمان.

فقال محمد: لم تكذب وقد والله دخلتُ عليه وأنا أريد قتله فذكر لي أبي فقمتُ وأنا

تائب والله ما قتلتُه ولا أسكته.

فقالت امرأة عثمان: صَدق ولكنه أدخلهما.

لمُعتمر عن أبيه

عن الحسن: إن محمد بن أبي بكر أخذ بلِحية عثمان فقال له: ابن أخي لقد قعدتَ منّي مقعداً

ما كان أبوك ليقعده.

وفي حديث آخر: إنه قال: يا بن أخي لو رآك أبوك لساءه مكانُك.

فاسترخت يدُه وخرج محمد.

فدخل عليه رجل والمصحف في حجره فقال له: بيني وبينك

كتابُ اللّه فأهوى إليه بالسيف فاتقاه بيده فقطعها.

فقال: أما إنها أول يد خَطّت المُفَصَّل.

القواد الذين أقبلوا إلى عثمان

الأصمعي عن أبي عَوانة قال: كان القواد الذين أقبلوا إلى عثمان: عَلقمة ابن عثمان وكِنانة بن

بِشْر وحَكيم بن جَبلة والأشتر النَّخعيّ وعبدُ اللّه بن بُديل.

وقال أبو الحسن: لما قدم القواد

قالوا لعليّ: قُم معنا إلى هذا الرجل.

قال: لا واللهّ لا أقوم معكم.

قالوا: فلم كتبتَ إلينا قال:

والله ما كتبتُ إليكم كتاباً قط.

قال: فنظر القوم بعضُهم إلى بعض وخرج عليّ من المدينة.

الأعمش عن عُيينة عن مَسروق قال: قالت عائشة: مُصْتموه مَوْص الإناء حتى تركتموه كالثَّوب

الرَّحيض نقيًّا من الدنس ثم عَدوتم فقتلتموه! فقال مَرْوان: فقلت لها: هذا عَملك كتبتِ إلى

الناس تأمرينهم بالخروج عليه.

فقالت: والذي آمن به المُؤمنون وكَفر به الكافرون ما كَتبتُ إليهم

بسواد في بَياض حتى جلستُ في مجلسي هذا.

فكانوا يَرَون أنه كُتب على لسان عليّ وعلى

لسانها كما كُتب أيضاً على لسان عثمان مع الأسود إلى عامل مصر.

فكان اختلاف هذه

الكتب كلها سبباً للفتنة.

وقال أبو الحسن: أقبل أهلُ مصر عليهم عبدُ الرحمن بن عُديس البَلويّ

وأهلُ البصرة عليهم حَكيم بن جَبلة العَبدي وأهل الكوفة عليهم الأشتر - واسمه مالك بن

الحارث النّخعي - في أمر عُثمان حتى قَدِموا المدينة.

قال أبو الحسن: لما قدم وفدُ أهل مصر

دخلوا على عُثمان فقالوا: كتبتَ فينا كذا وكذا قال: إنما هما اثنتان أن تُقيموا رجلين من

المسلمين أو يَميني باللّه الذي لا إله إلا هو ما كتبتُ ولا أمْليت ولا عَلِمت وقد يُكتب الكتاب

على لسان الرجل ويُنقش الخاتَم على الخاتم.

قالوا: قد أحلّ اللّه دمَك وحَصروه في الدار.

فأرسل عثمان إلى الأشتر فقال له: ما يريد الناسُ مني قال: واحدة من ثلاث ليس عنها بُدّ.

قال: ما هي قال: يُخيّرونك بين أن تَخلع لهم أمرَهم فتقول: هذا أمركم فقفَدوه من شئتم وإما

أن تقتصّ من نفسك فإن أبيتَ فالقوِم قاتلوك.

قال: أما أن أخلع لهم أمرَهم فما كنتُ لأخلع

سربالاً سربلنيه اللّه فتكون سُنةً مِن بعدي كلما كَره القوم إمامهم خَلعوه وأما أن أقتص من

نفسي فواللّه لقد علمتُ أن صاحبيّ بين يدي قد كانا يُعاقبان وما يقوى بدَني على القِصاص

وأما أن تقتلوني فلئن قتلتموني لا تتحابّون بعدي أبداً ولا تُصلّون بعدي جميعاً أبداً.

قال أبو

الحسن: فواللّه لن يزالوا على النَّوى جميعاً وإن قلوبهم مختلفة.

وقال أبو الحسن: أشرف عليهم

عثمان وقال: إنه لا يحِل سفك دم امرىء مُسلم إلا في إحدى ثلاث: كُفر بعد إيمان أو زنا بعد

إحصان أو قَتل نَفس بغير نَفس فهل أنا في واحدة منهن فما وَجد القوم له جوابا.

ثم قال:

أنشدكم اللّه هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حِراء ومعه تِسعة من

أصحابه أنا أحدهم فتزلزل الجبلُ حتى همَّت أحجارُه أن تتساقط فقال: اسكُن حِراء فما

عليك إلا نبيّ أو صدّيق أو شهيد قالوا: اللهم نعم.

قال: شهدوا لي وربِّ الكعبة.

قال أبو

الحسن: أشرف عليهم عثمان فقال: السلامُ عليكم فيا ردّ أحدٌ عليه السلام.

فقال: أيها الناس

إن وجدتم في الحق أن تَضعوا رجلي في القَبر فضعُوها.

فما وجد القومُ له جوابا.

ثم قال:

أستغفر اللّه إن كنت ظَلمتُ وقد غفرتُ إن كنت ظُلمت.

يحيى بن سعيد عن عبد اللّه بن عامر بنِ ربيعة قال: كنتُ مع عثمان في الدار فقال: أعزم على

كل مَن رأى أنّ لي عليه سمعاً وطاعة أن يكُف يدَه ويُلقى سلاحه.

فألقى القومُ أسلحتَهم.

ابن

أبي عَروبة عن قتادة: إن زَيد بن ثابت دخل على عُثمان يومَ الدار فقالت: إن هذه الأنصار

بالباب وتقول: إن شئتَ كُنَا أنصارَ اللّه مرّتين.

قال: لا حاجة لي في ذلك كُفّوا.

ابن أبي عَروبة

عن يَعلى بن حَكيم عن نافع: إن عبد اللّه بن عمر لَبس دِرْعه وتقلّد سيفه يوم الدار فَعزم عليه

عثمانُ أن يخرج ويَضع سلاحَه ويكفّ يده ففعل.

محمد بن سيرين قال قال سَلِيط: نهانا عثمان

عنهم ولو أذِن لنا عثمان فيم لضَربناهم حتى نُخرجهم من أقطارنا.

ما قالوا في قتلة عثمان

العُتبيّ قال: قال رجل من ليث: لقيتُ الزبيرَ قادماً فقلت: أبا عبد الله ما بالُك قال:

مَطلوب مَغلوب يَغلبني ابني ويطلبني ذَنبي.

قال: فقدمتُ المدينة فلقيتُ سعدَ بن أبي وقّاص

فقلت: أبا إسحاق من قتل عثمان قال: قتله سيفٌ سلته عائشة وشَحذه طلحة وسمّه

عليّ.

قلت: فما حال الزُبير قال: أشار بيده وصَمت بلسانه.

وقالت عائشة: قَتل اللّه مذمماً

بسعيه على عثمان تريد محمداً أخاها وأهرق دمَ ابن بُديل على ضَلالته وساق إلى أعينَ بني

تميم هواناً في بيته ورمى الأشتر بسهم من سهامه لا يُشوِي.

قال: فما منهم أحد إلا أدركته

دعوةُ عائشة.

سفيان الثوري قال: لقي الأشترُ مَسروقاً فقال له: أبا عائشة ما لي أراك غَضبان

على ربّك من يوم قُتل عثمان بن عفان لو رأيتَنا يوم الدار ونحن كأصحاب عِجل بني

إسرائيل! وقال سعدُ بن أبي وقاص لعمار بن ياسر: لقد كنتَ عندنا من أفاضل أصحاب محمد

حتى إذا لم يَبق من عمرك إلا ظِمء الحمار فعلتَ وفعلتَ يُعرّض له بقتل عثمان.

قال عمار: أي

شيء أحبُّ إليك مودةٌ عَلَى دَخَل أو هَجْر جميل قال: هَجْر جميل.

قال: فللّه عليٌ ألاّ

أكلمك أبدا.

دخل المُغيرة بن شُعبة على عائشة فقالت: يا أبا عبد الله لو رأيتني يومَ الجمل وقد

نفذتْ النِّصالُ هَوْدجي حتى وصل بعضُها إلى جِلْدي.

قال لها المغيرة: وددتُ والله أن بَعضها

كان قتلك.

قالت: يرحمك الله ولم تقول هذا قال: لعلَها تكون كَفّارة في سَعْيك على عُثمان.

قالت: أما والله لئن قلتَ ذلك لما عَلم الله أني أردتُ قتله ولكن علم اللّه أني أردتُ أن يُقاتَل

فقوتلتُ وأردتَّ أن يُرمى فرُميت وأردت أن يعصى فعُصيت ولو علم مني أني أردتُ قتلَه

لقُتلت.

وقال حسان بن ثابت لعليّ: إنك تقول: ما قتلتُ عثمان ولكن خذلتُه ولم آمُر به ولكن

لم أنه عنه فالخاذل شريك القاتل والساكتُ شريك القاتل.

أخذ هذه المعنى كعبُ بن جُعيل

التَّغلبي وكان مع معاوية يوم صِفّين فقال في عليّ بن أبي طالب:

وما في علّي لمستحدِث مقالٌ سوى عَصْمه المُحْدِثينَا

وإيثارِه لأهالي الذُنوب ورَفْع القَصاص عن القاتلينا

إذا سِيل عنه زوى وجهه وعمى الجواب على السائلينا

فليس براضٍ ولا ساخطٍ ولا في النُهاة ولا الآمرينا

ولا هو ساهُ ولا سرَّه ولا آمن بعضَ ذا أن يكونا

وقال رجل من أهل الشام في قَتل عثمان رضي اللّه تعالى عنه:

خذلْته الأنصارُ إذ حَضر المو تُ وكانت ثِقاتِه الأنصارُ

حُرْم بالبلاد من حُرم الل ه ووالٍ من الوُلاة وجار

أين أهلُ الحَياء إذ مُنع الما ءَ فَدته الأسماعُ والأبصار

مَن عَذيرى مِن الزُّبير ومِن طَ لحة هاجا أمراً له إعصار

تَركوا النّاس دونهم عبرةُ العِجْ ل فشبّت وسطَ المدينة نار

هكذا زاغت اليَهود عن الح ق بما زَخْرفت لها الأحبار

ثم وافى محمدُ بن أبي بك رجهاراً وخَلْفه عَمّار

وعليّ في بيته يسأل النا سَ ابتداء وعنده الأخبار

باسطاً للتي يُريد يديه وعليه لسَكينة ووَقار

يَرقُب الأمر أن يُزفّ إليه بالذي سببت له الأقدار

قد أرى كثرةَ الكلام قبيحاً كُل قول يشينه إكثار

وقال حسان يرثي عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه:

مَن سرِّه الموتُ صِرْفاً لا مِزَاج له فَلْيأتِ مَأْسَدة في دارِ عُثمانا

يا لي شِعْري ولي الطَّير تُخبرني ما كان شأنُ عليّ وابن عَفّانا

لتسمعينّ وشيكا في ديارهمُ الله أكبر يا ثارات عثمانا

ضحوا بأشمطَ عُنوانُ السُّجود به يَقطَع الليلَ تَسبيحاً وقرآنا

مقتل عثمان بن عفان

أبو الحسن عن مَسْلمة عن ابن عون: كان ممن نصر عُثمانَ سبعُمائة فيهم الحسنُ بن عليٍّ وعبدُ

اللهّ بن الزُبير.

ولو تَركهم عثمانُ لضربوهم حتى أخرجوهم من أقطارها.

أبو الحسن عن جُبير بن سِيرين قال: دخل ابن بُدَيل على عثمان وبيده سيف وكانت! بينهما

شَحناء فضربه بالسيف فاتقاه بيده فقَطعها فقال: أما إِنها أول كف خَطّت المُفَصّل.

أبو الحسن قالت: يوم قُتل عثمان يقال له: يوم الدار.

وأغلق على ثلاثة من القَتلى: غلام أسود

كان لعثمان وكنانة بن بِشر وعُثمان.

أبو الحسن قال: قال سلامة بن رَوْح الخُزاعي لعمرو بن العاص: كان بينكم وبين الفتنة فكسرتموه

فما حَملكم على ذلك قال: أردنا أن نُخرج الحق من حَفيرة الباطل وأن يكون الناس في الحق

سواء.

عن الشّعبي قال: كتب عثمان إلى مُعاوية: أن أمدّني.

فأمدّه بأربعة آلاف مع يزيد بن

أسَد بن كرز البَجَليّ.

فتلقاه الناس بقتل عثمان فانصرف فقال: لو دخلتُ المدينة وعثمان حيّ

ما تركت بها مُختلفا إلا قتلتُه لأن الخاذل والقاتل سواء.

قيس بن رافع قال قال زيدُ بن ثابت:

رأيتُ عليّا مُضطجعاً في المسجد فقلت: أبا الحسن إن الناس يَرَوْن أنك لو شئت رددتَ

الناس عن عثمان.

فجلس ثم قال: واللّه ما أمرتُهم بشيء ولا دخلتُ في شيء من شأنهم.

قال: فأتيتُ عثمان فأخبرتُه فقال:

وحَرّق قيس عليّ البلا دَ حتى إذا اضطرمت أجذما

الفضلُ عن كَثير عن سَعيد المَقبريٌ قال: لما حَضروا عثمان ومَنعوه الماء قال الزُّبير: وحِيلَ بينهم

وبين ما يشتهون كما فُعل بأشياعهم من قَبل.

ومن حديث الزُّهري قال: لما قَتل مُسلمُ بن عُقبة

أهلَ المدينة يوم الحَرّة قال عبد الله بن عمر: بفعلهم في عُثمان ورب الكعبة.

ابن سيرين عن ابن

عباس قال: لو أمطرت السماء دماً لقَتْل عثمان لكان قليلاً له

أبو سعيد مولى أبي حُذيفة قال: بَعث عثمانُ إلى أهل الكوفة: مَن كان يُطالبني بدينار أو دِرْهم

أو لطمة فليأت يأخذ حقَه أو يتصدَّق فإن اللّه يجزي المتصدقين.

قال: فبكى بعضُ القوم

وقالوا: تصدَقنا.

ابن عون عن ابن سيرين قال: لم يكن أحدٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه

وسلم أشدَ على عثمان من طَلَحة.

أبو الحسن قال: كان عبدُ الله بن عباس يقوِل: ليغلبنّ معاويةُ

وأصحابُه عليًّا وأصحابَه لأن اللّه تعالى يقول: " ومَن قُتِلَ مَظْلُوماً فقد جَعلنا لولـيّه سُلطاناً ".

أبو

الحسن قال: كان ثُمامة الأنصاري عاملًا لعثمان فلما أتاه قَتْلُه بكى وقال: اليومَ انتُزعت خلافةُ

النبوة من أمة محمد وصار المُلك بالسيف فَمن غَلب على شيء أكله.

أبو الحسن عن أبي

مخْنف عن نُمير بن وَعْلة عن الشعبي: أنَّ نائلةَ بنت الفُرافصة امرأة عثمان بن عفّان كَتبت إلى

معاوية كتاباً مع النعمان بن بَشير وبَعثت إليه بقميص عثمان محضوباً بالدماء.

وكان في كتابها:

مِن نائلة بنت الفُرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد: فإني أدعوكم إلى الله الذي أنعم

عليكم وعلّمكم الإسلام وهداكم من الضلالة وأنقذكم في الكُفر ونَصركم على العدو وأسبغ

عليكم نعمَه ظاهرةً وباطنة وأنشُدكم الله وأذكِّركم حقه وحق خليفته أن تنصروه بعَزم اللّه

عليكم فإنه قال: " وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ".

فإن أمير المؤمنين بُغي عليه ولو لم يكن

لعُثمان عليكم إلا حقَّ الولاية لحقَّ على كل مُسلم يرجو إمامته أن ينصره فكيف وقد علمتم

قِدَمه في الإسلام وحُسن بلائه وأنه أجاب اللّه وصَدّق كتابه وأتبع رسولَه والله أعلم به إذ

انتخبه فأعطاه شرفَ الدنيا وشرفَ الآخرة.

وإني أقُص عليكم خَبره إني شاهدةٌ أمرَه كُلَّه: إنّ

أهل المدينة حَصروه في داره وحَرسوه ليلَهم ونهارَهم قياماً على أبوابه بالسِّلاحِ يَمنعونه من كل

شيء قَدروا عليه حتى مَنعوه الماء فمكث هو ومَن معه خمسين ليلةً وأهلُ مصر قد أسندوا

أمرَهم إلى عليّ ومحمد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر وطلحة والزُبير فأمروهم بقتله وكان معهم

من القبائل خُزاعة وسَعد بن بكر وهُذيل وطوائف من جُهينة ومُزينة وأنباط يثرب فهؤلاء كانوا

أشدَّ الناس عليه.

ثم إنه حُصر فَرُشق بالنَّبل والحجارة فجُرح ممن كان في الدار ثلاثةُ نفر معه

فأتاه الناس يصرْخون إليه ليأذن لهم في القتال فنهاهم وأمرهم أن يردّوا إليهم نبلَهم فردُّوها

عليهم فما زادهم ذلك في القتل إلا جُرِأة وفي الأمر إلا إغراقاً فَحرقوا باب الدار.

ثم جاء نفر

من أصحابه فقالوا: إن ناساً يريدون أن يأخذوا بين الناس بالعَدل فاخُرج إلى المسجد يأتوك.

فانطلقَ فجلس فيه ساعةً وأسلحة القوم مُطلّة عليه من كل ناحية فقال: ما أرى اليوم أحداً

يَعْدِل فدخل الدارَ.

وكان معه نفرٌ ليس على عامّتهم لسِلاح فلبس دِرْعه وقال لأصحابه: لولا

أنتم ما لَبست اليوم دِرْعي.

فوثب عليه القوم فكلَمهم ابن الزبير وأخذ عليهم ميثاقاً في

صحيفة بعث بها إلى عثمان: عليكم عهدُ اللّه وميثاقه أن لا تَقربوه بسوء حتى تكلّموه وتَخْرجوا

فوضع السلاح ولم يكن إلا وضعه.

ودخل عليه القومُ يَقْدُمهم محمدُ بن أبي بكر فأخذ بلحيته

ودَعَوْه باللقب.

فقال: أنا عبدُ الله وخليفتُه عثمان.

فضربوه على رأسه ثلاثَ ضرَبات وطَعنوه

في صَدْره ثلاث طعنات وضَربوه على مَقْدم العين فوق الأنف ضربة أسرعت في العَظْم

فسقطتُ عليه وقد أثخنوه وبه حياة وهم يُريدون أن يقطعوا رأسه فيذهبوا به فأتتني ابنةُ

شيبة بن ربيعة فألقت بنفسها معي فوُطِئنا وَطْئا شديداً وعُرِّينا من حَلْينا.

وحُرمةُ أمير

المؤمنين أعظم فقتلوا أمير المؤمنين في بيته مقهوراً على فِراشه.

وقد أرسلتُ إليكم بثوبه عليه

دمُه فإنه واللّه إِن كان أثم مَن قَتله فما سَلِم مَن خذله فانظُروا أينِ أنتم مِن اللّه.

وأنا أشتكي

كل مَا مَسنا إلى الله عز وجل وأستصرخ بصالِحي عبادِه.

فرحم الله عثمانَ ولَعن قتلَته

وصَرعهم في الدُنيا مَصارع الخزْي والمَذلَّة وشَفى منهم الصدور.

فحلف رجال من أهل الشام

أن لا يمسوا غُسلاً حتى يقتلوا عليا أو تَفْنَى أرواحُهم.

وقال الفرزذق في قتل عثمان:

إن الخلافةَ لما أظعَنت ظَعنت عن أهل يثرب إذ غير الهدى سلكوا

صارتْ إلى أهلِها منهم ووارثِها لما رأى الله في عثمان ما انتهكوا

السافِكي دمِه ظُلْماً ومَعْصِيَة أي دمٍ لا هدوا من غَّيهم سفكوا

وقال حسان:

إِن تُمس دارُ بني عثمانَ خاويةً بابٌ صريعٌ وبيتٌ مُحرَق خَرِبُ

فقد يُصادف باغِي الخَير حاجتَه فيها ويَأوي إليها المجدُ والحسَب

يا معشَر الناس أبْدُوا ذات أنفسكم لا يَستوي الحق عند الله والكَذِب

تبرؤ علي من دم عثمان

قال عليّ بن أبي طالب على المنبر: واللهّ لئن لم يَدْخل الجنة إلا مَن قتل عثمان لا دخلتُها أبدَاً

ولئن لم يَدخل النارَ إلا مَن قتل عثمان لا دخلتُها أبداً.

وأشرف علي من قَصرْ له بالكُوفة فنظر

إلى سَفينة في دِجْلة فقال: والذي أرسلها في بَحره مُسخَّرة بأمره ما بدأتُ في أمر عثمان بشيء

ولئن شاءت بنو أمية لأباهلنهم عند الكعبة خمسين يميناً ما بدأتُ في حق عثمان بشيء.

فبلغ

هذا الحديثُ عبدَ الملك بن مروان فقال: إني لا أحسبه صادقاً.

قال معبدٌ الخُزاعي: لقيتُ عليّا

بعد الجمل فقلت له: إني سائلُك عن مسألة كانت منك ومن عثمان فإن نجوتَ اليوم نجوتَ

غداً إن شاء اللّه.

قال: سَل عما بدا لك.

قلتُ: أخبرني أي منزلة وسعتْك إذ قُتل عثمان ولم

تنصره قال: إن عثمان كان إماماً وإنه نهى عن القِتال وقال: مَن سَل سيفَه فليس مني فلو

قاتلنا دونه عَصَينا.

قال: فأي منزلة وسعت عثمان إذ استسلم حتى قُتل قال: المنزلةُ التي

وسعت ابن آدم إذ قال لأخيه: " لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ".

قلت: فهلاّ وَسِعَتْك هذه المنزلةُ يومَ الجمل قال: إنا قاتلنا يومَ

الجمل مَن ظَلَمنا قال الله: " ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم مِن سبيل.

إنما السبيل على

الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الْحق أولئك لهم عذاب أليم.

ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ".

فقاتلنا نحن من ظلمنا وصبر عثمان وذلك من عزم الأمور.

ومن

حديث بكر بن حماد: إن عبد الله ابن الكَّواء سأل عليِّ بن أبي طالب يوم صِفين فقال له:

أَخْبِرْني عن مَخْرجك هذا تَضرب الناسَ بعضهم ببعض أعهدٌ إليك عهدَه رسولُ اللّه صلى الله

عليه وسلم أم رَأْي ارتأيته قال عليّ: اللهم إني كنتُ أولَ من آمن به فلا أكون أولَ مَن كذب

عليه لم يكن عندي فيه عَهْد مِن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ولو كان عندي فيه عَهد مِن

رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لما تركتُ أخا تَيم وعدي على منابرها ولكنّ نبّينا صلى الله

عليه وسلم كان نبيّ رحمة مَرِض أياماً وليالي فقدَم أبا بكر على الصلاة وهو يراني ويَرى

مكاني.

فلما تُوفي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رَضيناه لأمر دُنيانا إذ رَضِيه رسولُ اللّه

لأمرِ ديننا.

فسلّمتُ له وبايعتُ وسمعتُ وأطعتُ فكنتُ

آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأقيم الحُدود بين يديه.

ثم أتته مَنيّتُه فرأى أنَّ عمرَ أطوقُ

لهذا الأمر مِن غيره ووالله ما أراد به المُحاباة ولو أرادها لجعلها في أحد ولدَيْه.

فسلّمتُ له

وبايعتُ وأطعتُ وسمعت فكنتُ أخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأقيم الحدودَ بين يديه.

ثم أتته منيّتُه فرأى أنه من استخلف رجلاً فعمل بغير طاعة اللّه عَذّبه الله به في قَبره فجعلها

شُورى بين ستَة نفر من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم.

وكنتُ أحدَهم فأخذ عبدُ

الرحمن مَواثيقنا وعُهودنا على أن يَخْلع نفسه ويَنظر لعامة المُسلمين فبَسط يدَه إلى عثمان فبايعه.

اللهم إن قلتُ إني لم أجد في نفسيِ فقد كذبت ولكنني نظرتُ في أمري فوجدتُ طاعتي قد

تقدمت مَعْصيتي ووجدت الأمر الذي كان بيدي قد صار بيد غير لم.

فسلّمت وبايعتُ

وأطعت وسمعتُ فكنت أخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأقيم الحدود بين يديه.

ثم نَقم

الناس عليه أموراً فقَتلوه ثم بقيتُ اليومَ أنا ومُعاوية فأرى نفسي أحق بها من معاوية لأني

مُهاجريّ وهو أعرابيّ وأنا ابن عم رسول اللّه وصِهره وهو طليق ابن طليق.

قال له عبدُ اللّه بن

الكَوّاء: صدقتَ ولكن طلحةَ والزُبير أما كان لهما في هذا الأمر مثلُ الذي لك قال: إن

طلحة والزُبير بايعاني في المدينة ونَكثا بَيعَتي بالعراق فقاتلتُهما على نَكْثهما ولو نَكثا بيعة أبي

بكر وعمر لقاتلاهما على نَكثهما كما قاتلتُهما على نَكْثهما قال: صدقت ورجع إليه.

واستعمل عبدُ الملك بن مَرْوان نافعَ بن عَلْقمة بن صَفْوان على مكة فخطب ذات يوم وأبان بن

عثمان قاعدٌ عند أصلى المِنْبر فنال مِن طلحة والزُبير فلما نزل قال لأبان: أرضيتُك من

المَدهنين في أمر أمير المؤمنين قال: لا ولكنّك سُؤتني حَسبي أن يكونا بريئين من أمره.

وعلى

هذا المعنى قال إسحاق بن عيسى: أعيذ عليًّا بالله أن يكون قَتل عثمان وأعيذ عثمان أن

يكون قَتله عليّ.

وهذا الكلامُ على مذهب قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: إنّ أشد الناس

عذاباً يومَ القيامة رجل قتل نبيا أو قَتله نبيّ.

سعيد بن جُبير عن أبي الصّهباء: إن رجالاً ذكروا

عُثمان فقال رجلٌ من القوم: إني أعرفُ لكم رأيَ عليّ فيه.

فدخل الرجلُ على علي فنال من

عثمان فقال عليّ: دَع عنك عُثمان فواللّه ما كان بأشرِّنا ولكنه وَلي فاستأثر فحرمَنا فأساء

الحرمان.

وقال عثمان بن حُنَيف: إني شهدتُ مَشهداً اجتمع فيه علي وعمّار ومالك الأشتر

وصَعْصعة فذكروا عثمان فوقَع فيه عمّار ثم أخذ مالكٌ فحذا حَذْوه ووجهُ عليّ يَتَمَعَّر ثم

تكلّم صعصعة فقال: ما على رجل يقول: كان والله أولَ مَن وَلي فاستأثر وأوّل مَن تفرقت عنه

هذه الأمة! فقال علي: إلي أبا اليَقظان لقد سَبقت لعثمان سوابقُ لا يُعذِّبه اللّه بها أبداً.

محمدُ

بن حاطب قال: قال لي علي يومَ الجمل: انطلقْ إلى قومك فأبلغهم كُتبي وقَوْلي.

فقلت: إن قَومي

إذا أتيتُهم يقولون: ما قوْلُ صاحبك في عُثمان فقال: أخبرهم أن قولي في عثمان أحسنُ القول

إن عثمان كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ ثم اتقَوْا وآمنوا واحسنوا واللّه يحب المُحسنين.

جرير بن حازم عن محمد بن سِيرين قال: ما علمتُ أن عليا اتُّهم في دم عُثمان حتى بُويع فلما

بويع اتهمه الناس.

محمد بن الحنفيّة: إنّي عن يمين في يومَ الجمل وابن عبّاس عن يساره إذ سمع

صوتاً فقالت: ما هذا قالوا: عائشةُ تلعن قَتلة عثمان.

فقال عليّ: لعن اللهّ قتلةَ عثمان في

ما نقم الناس على عثمان

ابن دأب قال: لما أنكر الناس على عُثمان ما أنكروا مِن تأمير الأحداث من أهل بَيْته على الجلّة

الأكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لعبد الرحمن بن عوف: هذا عملُك

واختَيارك لأمة محمد.

قال: لم أظنَّ هذا به.

ودخل على عثمان فقال له: إني إنما قدمتك على

أن تَسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر وقد خالفتَهما.

فقال: عمر كان يقطع قرابته في اللّه وأنا أصل

قرابتي في اللهّ.

فقال له: لله عليّ أن لا أكلمك أبداً.

فمات عبدُ الرحمن وهو لا يُكلّم عثمان.

ولما

ردّ عثمان الحكم بن أبي العاصي طريدَ النبيّ صلى الله عليه وسلم طريد أبي بكر وعمر إلى

المدينة تكلّم الناسُ في ذلك فقال عثمان: ما ينقَم الناسُ مني! إني وصلتُ رحما وقربت قرابة.

حُصين بن زَيد بن وَهْب قال: مَررنا بأبي ذَرّ بالربذة فسألناه عن منزله.

فقال: كنتُ بالشام

فقرأت هذه الآية: " والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب

أليم ".

فقال معاويةُ: إنما هي في أهل الكتاب.

فقلت: إنها لَفينا وفيهم.

فكتَب إليّ عثمانُ:

أقبل.

فلما قدمتُ رَكبتني الناسُ كأنهم لم يَرَوْني قط فشكوتُ ذلك إلى عثمان.

فقال: لو

اعتزلتَ فكنت قريباً.

فنزلتُ هذا المنزل فلا أدع قَوْلي ولو أمروا عليّ عبداً حبشيا لأطعتُ.

الحسنُ بن أبي الحسن عن الزُبير بن العوام في هذه الآية: " واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ".

قال: لقد نزلتْ وما ندري من يختلف لها.

فقال بعضهم: يا أبا عبد الله فلم جئتَ

إلى البصرة قال: ويحك إننا نَنظر ولا نُبصر.

أبو نضرة عن أبي سَعيد الخُدريّ قال: إنّ ناساً

كانوا عند فُسطاط عائشة وأنا معهم بمكة فمرّ بنا عثمان فما بقي أحدٌ من القوم إلا لعنه غيري

فكان فيهم رجلٌ من أهل الكوفة فكان عثمان على الكُوفيّ أجرأ منه على غيره فقال: يا كُوفي

أتشتُمني فلما قدم المدينةَ كان يتهدّده.

قال: فقيل له: عليك بطَلحة.

قال: فانطلق معه حتى

دَخل على عثمان.

فقال عُثمان: واللّه لأجلدنَه مائة سَوط.

قال طلحة: والله لا تَجلدنه مائةَ إلاّ

أن يكون زانياً.

قال: والله لأحرمنه عَطاءه.

قال: اللّهُ يرزقه.

ومن حديث ابن أبي قُتيبة عن

الأعمش عن عبد الله بن سِنان قال: خرج علينا ابن مَسعود ونحن في المَسجد وكان على بيت

مال الكُوفة وأميرُ الكوفة الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط فقال: يا أهل الكوفة فُقِدت من بيت

مالكم الليلةَ مائةُ آلف لم يأتني بها كتابٌ من أمير المؤمنين ولم يكتب لي بها براءة.

قال: فكتب

الوليدُ بن عُقبة إلى عثمان في ذلك فنَزعه عن بيت المال.

ومن حديث الأعمش يَرويه أبو بكر بن

أبي شيبة قال: كَتب أصحابُ عُثمان عَيْبه وما يَنْقم الناسُ عليه في صحيفة ثم قالوا: مَن

يذهب بها إليه قال عمّار: أنا.

فذهب بها إليه.

فلما قرأها قال: أرغمِ اللّهُ أنفك.

قال: وأنف

أبي بكر وعمر.

قال: فقام إليه فوَطئه حتى غُشى عليه.

ثم ندم عثمان وبعث إليه طلحة والزُّبير

يقولان له: اختر إحدى ثلاث: إما أن تَعْفو هاما أن تأخذ الأرْش وإما أن تَقْتَص.

فقال: واللّه

لا قبلتُ واحدة منها حتى ألقى الله.

قال أبو بكر: فذكرتُ هذا الحديث للحَسن بن صالح

فقال: ما كان على عُثمان أكثرُ مما صنع.

ومن حديث اللّيث بن سعد قال: مَر عبدُ اللهّ بن عُمر بحُذيفة فقال: لقد اختلف الناسُ بعد

نبيّهم فما منهم أحدٌ إلا أعطى من دينه ما عدا هذا الرجلَ.

وسُئل سعدُ بن أبي وقاص عن

عثمان فقال: أما والله لقد كان أحسنَنا وُضوءاً وأطولَنا صلاة وأتلانا لكتاب اللّه وأعظمَنا

نَفقةً في سبيل اللّه.

ثم وَلي فأنكروا عليه شيئاً فأتَوْا إله أعظَمَ مما أنكروا.

وكتب عثمان إلى أهل الكوِفة حين ولاّهمِ سعيدَ بن العاص: أما بعد.

فإني كنت ولَّيتكم الوليدَ

بن عُقبة غلاماً حين ذَهَب شرْخه وثاب حِلْمه وأوصيتُه بكم ولم أوصكم به فلما أعْيتكم

علانيته طَعَنتم في سرَيرته.

وقد ولَيتكم سعيدَ بن العاص وهو خيرُ عَشيرته وأوصيكم به خيراً

فاستوصوا به خيراً.

وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه وكان عاملَه على الكوفة فصلَّى بهم

الصبحَ ثلاث ركعات وهو سَكران ثم التَفت إليهم فقال: وإن شئتُم زِدْتُكم.

فقامت عليه البيّنة

بذلك عند عثمان فقال لطلحة: قُم فاجلده.

قال: لم أكن من الجالدين.

فقام إليه عليّ فَجلده.

شَهد الحطيئةُ يَوم يَلْقى رَبَّه أنَّ الوليدَ أحقُّ بالعُذْرِ

لِيزِيدَهم خيراً ولو قَبلوا لجمعتَ بين الشَّفع والوِتْر

مَسكوا عنانَك إذ جَريت ولو تَركوا عِنانَك لم تَزل تَجْرِي

ابن دأب قال: لما أنكر الناسُ على عثمان ما أنكروا واجتمعوا إلى علي وسَألوه أن يَلقى لهم

عُثمانَ.

فأقبلَ حتى دَخل عليه فقال: إنَ الناسَ ورائي قد كلَّموني أنْ أكلمك واللهّ ما أدرى ما

أقولُ لك ما أعرف شيئاً تَنكره ولا أعلمك شيئاً تَجهله وما ابن الخطّاب أولى بشيء من الخير

منك وما نُبصرك من عَمى وما نَعْلمك مَن جهل وإن الطريق لبيِن واضح.

تَعلم يا عثمان أن

أفضل الناس عند اللهّ إمامٌ عَدْل هُدِي وهَدى فأحيا سُنة مَعلومة وأمات بدعة مَجهولة وأن

شر الناس عند الله إمامُ ضَلالة ضَل وأضل فأحيا بدْعة مجهولة وأمات سنة معلومة.

وإني

سمعت رسولَ اللّه صلى الله عليه وسلم يقول: يُؤتى بالإمام الجائر يومَ القيامة ليس معه ناصرٌ ولا

له عاذر فيُلْقى في جَهنم فيَدُور دَوْرَ الرحى يَرْتطم بجَمْرة النار إلى آخر الأبد.

وأنا أحذَرك أن

تكون إمامَ هذه الأمة المقتول يُفتح به بابُ القَتل والقتال إلى يوم القيامة يَمْرَج به أمرُهم

وَيمرَجون.

فخرج عثمان ثم خطب خُطبته التي أظهر فيها التوبة.

وكان عليّ كلما اشتكى

الناسُ إليه أمرَ عثمان أرسل ابنه الحسن إليه فلما أكثر عليه قال له: إن أباك يرى أن أحداً لا يَعلم

ما يَعلم ونحن أعلم بما نَفعل فكُفّ عنَا.

فلم يَبعث علي ابنه في شيء بعد ذلك.

وذكروا أنّ

عثمان صَلى العصر ثم خَرج إلى علي يعوده في مرضه ومَروان معه فرآه ثقيلا.

فقالت: أما

والله لولا ما أرى منك ما كنتُ أتكلَم بما أريد أن أتكلَم به والله ما أدري أيّ يومَيك أحبُّ إليَّ

أو أبغض أيومُ حياتك أو يومُ موتك أما واللهّ لئن بقيتَ لا أعدم شامتاً يَعُدّك كَنفاً ويَتخذْك

عَضدا ولئن مَتّ لأفجعنِ بك.

فحظِّى منك حظّ الوالد المُشفق من الولد العاق إنْ عاش

عقه وإن مات فجعه.

فليتك جعلت لنا من أمرك عَلَماً نَقف عليه ونعرفه إما صديقٌ مسالم

وإما عَدو مُعاند ولم تَجعلني كالمُختنق بين السماء والأرض لا يَرْقى بيد ولا يَهبط برجل.

أما

والله لئن قتلتك لا أصيب منك خَلَفا ولئن قتلتني لا تصيب مني خلفا وما أحب أن أبقى

بعدَك.

قال مروان: أيْ والله وأخرى إنه لا يُنال ما وراء ظُهورنا حتى تُكسر رماحُنا وتُقطع

سيوفنا فما خيرُ العيش بعد هذا.

فضَرب عثمان في صَدره وقال: ما يُدْخلك في كلامنا

فقال على: إني والله في شُغل عن جوابكما ولكني أقول كما قال أبو يوسف: فَصَبر جميل واللّهّ

المُستعان على ما تَصِفون.

وقال عبدُ الله بن العباس: أرسل إليَّ عُثمان فقال لي: اكْفِني ابن

عمك.

فقلت: إنَ ابن عمي ليس بالرجل يُرى له ولكنَه يَرى لنفسه فأرسِلني إليه بما أحببتَ.

قال: قُل له فَليَخرج إلى مالِه باليَنبُع فلا أغتمّ به ولا يَغتم بي.

فأتيتُ عليًّا فأخبرتُه.

فقال: ما

فكيف به أنّي أداوِي جراحَه فيَدْوَى فلا مُلّ الدواءً ولا الداءُ

أما واللّه إنه ليختبر القوم.

فأتيتُ عثمانَ فحدّثته الحديثَ كله إلا البيت الذي أنشده.

وقوله:

إنه ليختبر القوم.

فأنشد عثمان:

فكيف به أنّي أداوِي جراحَه فيَدْوَى فلا مُلَّ الدواء ولا الداءُ

وجعل يقول: يا رحيم انصرُني يا رحيم انصرني يا رحيم انصرني.

قال: فخرج عليّ إلى يَنْبع فكتب إليه عثمان حين اشتدّ الأمر: أما بعد.

فقد بلغ السيل الزُّبى

وجاوز الحِزام الطُّبْيين وطَمِع فيّ مَن كان يَضْعُف عن نفسه:

فإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيف ولم يَغْلِبْك مثلُ مُغلَّبِ

فأقبِل إليَّ على أيّ أمريك أحبَبتَ وكُن لي أم علي صديقاً كنتَ أم عدوًّا:

فإنْ كنتُ مأكولاً فكُن خيرَ آكلٍ وإلّا فأدركني ولما أمزَّق

خلافة علي بن أبي طالب

رضي اللّه عنه

قال: لما قُتل عثمان بن عفان أقبل الناس يُهْرعون إلى علي بن أبي طالب فتراكمت عليه الجماعةُ

في البَيعة فقال: ليس ذلك إليكم إنما ذلك لأهل بَدْر ليُبايعوا.

فقال: أين طلحة والزبير وسعد

فأقبلوِا فبايعوا ثم بايعه المهاجرون والأنصار ثم بايعه الناسُ.

وذلك يومَ الجمعة لثلاث عشرةَ

خلتْ من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وكان أولَ مَن بايع طلحةُ فكانت إصبعه شلاّء فتطيّر

منها عليّ وقال.

ما أخلقه أن يَنْكث.

فكان كما قال عليّ رضي اللّه عنه.

نسب علي بن أبي طالب وصفته

هو عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وأمه فاطمة بنت أسد بن

هاشم بن عبد مناف.

وصفته كان أصلعَ بطيناً حَمْش الساقين.

صاحبُ شرُطته مَعْقل بن

قيس الرِّياحي وما لك بن حَبيب اليَرْبوعي وكاتبُه سعيد ابن نِمران وحاجبُه قُنْبر مولاه.

وقُتل يوم الجمعة بالكوفة وهو خارج إلى المسجد لصلاة الصِبح لسبع بَقين من شهر رمضان

فكانت خلافته أربعَ سنين وتسعةَ أشهر صلى عليه ولدُه الحسن ودُفن برَحْبة الكوفة ويقال في

لِحف الحِيرة وعُمِّي قبره.

واختُلف في سنه فقال الشعبي: قُتل علي رحمه الله وهو ابن ثمان

وخمسين سنة ووُلد علي بمكة في شِعب بني هاشم.

فضائل علي بن أبي طالب

كرم اللّه وجهه

أبو الحسن قال: أسلم علي وهو ابن خمسَ عشرةَ سنة وهو أول من شَهد أن لا إله إلا اللّه وأن

محمداً رسولُ الله.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام مَن كنتُ مولاه فعلي مولاه.

اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن

عاداه.

وقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أما تَرضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى

غيرَ أنه لا نبيّ بعدي وبهذا الحديث سَمَّت الشيعةُ علي بن أبي طالب الوصيِّ وأولوا فيه أنه

استخلفه على أمته إذ جعله منه بمنزلة هارون من موسى لأنّ هارون كان خليفة موسى على

قومه إذا غاب عنهم.

وقال السيد الْحِمْيري رحمه اللّه تعالى:

إني أدينُ بما دانَ الوَصَّي به وشاركتْ كفّه كَفَيّ بصفَينا

وجمع النبي صلى الله عليه وسلم فاطمةَ وعليا والحسَنَ والْحُسين فألقى عليهم كساءَه وضمهم

إلى نفسه ثم تلا هذه الآية: إنما يُريد اللّهُ ليُذهبَ عنكمِ الرجسَ أهلَ البَيت ويُطهَركم تَطْهيرا.

فتأولت الشيعةُ الرجس هاهنا بالخَوض في غمرة الدُّنيا وكُدورتها.

وقال النبيّ صلى الله عليه

وسلم يومَ خَيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يُحب الله ورسولَه ويُحبه الله ورسولُه لا يُمسي

حتى يَفتح الله له.

فدعا عليًّا وكان أرمدَ فَتفَل في عينيه وقال: اللهم.

قِه داءَ الحر والبرد.

فكان يلبس كُسوة الصيف في الشتاء وكُسوة الشتاء في الصيف ولا يضره.

أبو الحسن قال: ذُكر

عليّ عند عائشة فقالت: ما رأيت رجلاً أحبَّ إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم منه ولا

رأيتُ امرأة كانت أحبَّ إليه من امرأته.

وقال عليُّ بن أبي طالب: أنا أخو رسول اللّه صلى الله

عليه وسلم وابن عمه لا يقولها بعدي إلا كذّاب.

الشَّعبي قال: كان عليّ بن أبي طالب في هذه

الأمة مثل المسيح بن مريم في بني إسرائيل أحبّه قومٌ فكفروا في حُبه وأبغضه قوم فكفروا في

بُغضه.

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: الحسنُ والْحُسين سيِّدا شباب أهل الجنة وأبوهما خيرٌ

منهما.

أبو الحسن قال: كان علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه يُقَسم بيت المال في كل جمعة

حتى لا يبقي منه شيئاً ثم يُفرش له ويَقيل فيه.

ويتمثَل بهذا البيت:

هذا جَنايَ وخِيَاره فيه إذ كُلّ جانٍ يدُه إلى فيه

كان علي بن أبي طالب إذا دَخل بيتَ المال ونَظر إلى ما فيه من الذَّهب والفضة قال:

ابيَضيِّ واصفري وغري غيري إنّي من اللّه بكُل خَيْر

ودخل رجل على الحسن بن أبي الحسن البصري فقال: يا أبا سعيد إَنهم يَزعمون أنك تُبغض

عليّا.

قال: فبكى الحسنُ حتى اخضلَّت لِحْيته ثم قال: كان علي بن أبي طالب سهماً صائباً

من مَرامي الله على عدوّه ورباني هذه الأمة وذا فَضْلها وسابقتها وذا قرابة قريبة من رسول

الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بالنومَة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا المَلولة في

ذات الله ولا السَّروفة لمال اللّه.

أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مُونقة وأعلام بَينة ذلك

علي بن أبي طالب يا لُكع.

أبو اليَقظان قال: قَدِم طلحةُ بن عُبيد الله والزبير بن العوام وعائشة أم المؤمنين البَصرة.

فتلقاهم

الناس بأعلى المِرْبد حتى لو رَمَوا بحَجر ما وقع إلا على رأس إنسان فتكلَّم طلحة وتكلمت

عائشة وكثر اللغط فجعل طلحةُ يقول: أيها الناس أنصتوا.

وجعلوا يركبونه ولا يُنصتون.

فقال:

أف أف! فَراش نار وذُباب طمع.

وكان عثمان بن حُنيف الأنصاري عاملَ عليّ بن أبي طالب

على البَصرة فخرج إليهم في رِحاله ومن مَعه فتواقفوا حتى زالت الشمس ثم اصطلحوا

وكَتبوا بينهم كتاباً أن يكفّوا عن القتال حتى يَقْدَم علي بن أبي طالب ولعثمان بن حُنيف دارُ

الإمارة والمَسجد الجامع وبيتُ المال فكفّوا.

ووجّه عليُّ بن أبي طالب الحسن ابنه وعمّار بن

ياسر إلى أهل الكوفة يَستنفر انهم فنَفر معهما سبعةُ آلاف من أهل الكوفة.

فقال لهم عمار.

أما والله إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها لتتْبِعوه أو تَتبعوها.

وخَرج عليٌ في أربعة آلاف من أهل المدينة فيهم ثمانمائة من الأنصار وأربعمائة ممن شَهد بيعه

الرضوان مع النبي صلى الله عليه وسلم.

ورايةُ علي مع ابنه محمد ابن الحنفيّة وعلى مَيمنته

الحسنُ وعل ميسرته الحُسين وعلى الخَيل عمّار بن ياسر وعلى الرجالة محمد بن أبي بكر

وعلى المُقدَمة عبدُ الله بن عبّاس.

ولواء طَلحة والزُبير مع عبد اللهّ بن حَكيم بن حِزام وعلى

الخيل طلحةُ بن عبيد اللهّ وعلى الرجّالة عبدُ الله بن الزبير.

فالتقوا بموضع قصر عُبيد الله بن

وقالوا: لما قَدِم علي بن أبي طالب البصرَة قال لابن عباس: ائت الزُّبير ولا تأت طلحة فإن

الزُبير ألينُ وأنت تجد طلحةَ كالثور عاقصاً بقَرنه يركب الصُعوبة ويقول: هي أسهل فأقْرِئه

السلام وقُل له: يقول لك ابن خالك: عرفتَني بالحجاز وأنكرتني بالعِراق فما عدا ما بدا قال

ابن عباس: فأتيته فأبلغتُه.

فقال: قل له: بيننا وبينك عهدُ خليفة ودمُ خليفة واجتماع ثلاثة

وانفراد واحد وأم مَبرورة ومشاورة العشيرة ونَشْر المصاحف نُحِل ما أحلت ونُحرَم ما

حَرمت.

وقال عليّ بن أبي طالب: ما زال الزُبير رجلاً منا أهلَ البيت حتى أدركه ابنه عبد

الله فلفَته عنا.

وقال طلحةُ لأهل البصرة وسألوه عن بَيعة علي فقال: أدخَلوني في حُش ثم

وَضعوا الفُج على قَفي فقالوا: بايع وإلا قَتلناك.

قوله: اللج يريد السيف وقوله: قفي لغة

طىء وكانت أمه طائية.

وخطبت عائشةُ أهلَ البصرة يوم الجمل فقالت: أيها الناس صَه صه كأنما قُطعت الألسن في

الأفواه.

ثم قالت: إن لي عليكم حُرمَة الأمومة وحق الموعظة لا يتّهمني إلا من عَصى ربَّه.

مات رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم بين سَحْري ونَحْري وأنا إحدى نسائه في الجَنة له

ادخرني ربِّي وسلّمني من كل بضُع وبي مَيّز بين مُنافقكم ومؤمنكم وبي أرخص لكم في صَعِيد

الأبواء.

ثم أبي ثالثُ ثلاثةٍ من المُؤمنين وثاني اثنين في الغار وأول من سُمَي صديقاً.

مَضى

رسولُ الله صلى الله عليه وسلما راضياً عنه وطَوَّقه طَوق الإمامة.

ثم اضطرب حبلُ الدين

فمسَك أبي بطَرَفيه ورتق لكم أثناءه فوَقم النفاق وأغاض نبعَ الردة وأطفأ مَا حَشت يهود

وأنتم يومئذ جُحظ العيون تنظرون العَدوة وتسمعون الصيحة فَرأب الثأي وأوذم العَطِلة

وانتاش من الهَوة واجتحى دفين الداء حتى أعطن الوارد وأورد الصادر وعَلّ الناهل

فقَبضه الله واطئاً على هامات النفاق مذكِياً نارَ الحرب للمشركين.

وانتظمت طاعتُكم بحَبله.

ثم ولي أمرَكم رجلاً مَرْعياً إذا رُكن إليه بَعيداً ما بين اللابتين إذا ضُل عَرُوكة للأذاة بجَنْبه

يَقْظان الليل في نُصرة الإسلام فسلك مسلك السابقين ففرق شمل الفِتنة وجَمَّع أعضاد ما جمع

القرآن وأنا نصْب المسألة عنِ مسيري هذا.

لم ألتمس إثماً ولم أورِّث فتنة أوطئكموها.

أقول

قولي هذا صِدْقاً وعدلاً وإعذاراً وإنذاراً وأسأل اللّه أن يصلي على محمد وأن يَخلفه فيكم

بأفضل خلافة المُرسلين.

وكتبت أم سَلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم إلى عائشة أم المؤمنين

إذ عزمت على الخروج يوم الجمل: من أم سَلَمة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى عائشة أم

المؤمنين فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو.

أما بعد إنك سُدّة بين رسول اللهّ صلى الله

عليه وسلم وبين أمته حجاب مضروب على حُرمته.

قد جَمّع القرآنُ ذيلك فلا تَنْدحيه وسَكَّر

خَفارتك فلا تَبْتذليها.

فاللهّ مِن وراء هذه الأمة.

لو علم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنّ

النساء يَحتملن الجهاد عهِد إليك.

أما علمتِ أنه قد نَهاك عن الفَراطة في البلاد فإن عمود الدين

لا يَثبت بالنساء إن مال ولا يُرأب بهن إن انصدع جهاد النساء غَضُّ الأطراف وضَمُّ الذُّيول

وقَصر المُوادة.

ما كنتِ قائلةً لرسول اللهّ صلى الله عليه وسلم لو عارضك ببعض هذه الفلوات

ناصَّةً قَعودا من مَنهل إلى مَنهل وغداً ترديين على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأقسم لو

قيل لي: يا أم سلمة ادخُلي الجنة لاستحييتُ أن ألقى رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم هاتكةً

حجابا ضرَبه عليّ.

فاجعليه سِتْرك وقاعةَ البيت حِصْنك فإنك أنصح ما تكونين لهذه الأمة

ما قعدتِ عن نُصرتهم.

ولو أني حدثتُك بحديث سمعتُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم

لنَهشتِني نهش الحيةِ الرقشاء المُطرقة.

والسلام.

فأجابتها عائشة: من عائشة أم المؤمنين إلى أم سَلمة سلام عليك فإني أحمدُ الله إليك الذي لا

إله إلا هو.

أما بعد.

فما أقبلني لوَعْظك وأعرفني لحق نَصيحتك وما أنا بمُعتمرة بعد تَعْريج

ولِنِعم المَطلع مَطلع فَرَقتُ فيه بين فئتين مُتشاجرتين من المُسلمين فإن أقعد فعن غير حَرج وإن

أمض فإلى ما لا غِنى بي عن الازدياد منه.

والسلام.

وكتبت عائشة إلى زيد بن صُوحان إذ

قدمت البصرة: من عائشة أم المؤمنين إلى ابنها الخالص زيد بن صُوحان سلام عليك.

أما بعد

فإنّ أباك كان رأساً في الجاهلية وسيداً في الإسلام وإنك من أبيك بمنزلة المُصلّى من السابق

يقال كاد أو لَحق وقد بلغك الذي كان في الإسلام من مُصاب عثمان بن عفان ونحن قادمون

عليك والعِيان أشفى لك من الخَبر.

فإذا أتاك كتابي هذا فثبّط الناسَ عن في بن أبي طالب

وكُن مكانَك حتى يأتيك أمري والسلام.

فكتب إليها: مِن زيد بن صُوحان إلى عائشة أم

المؤمنين.

سلامٌ عليك أما بعد فإنك أمرتِ بأمر وأمرنا بغيره أمرتِ أن تَقرّي في بَيتك وأمرنا

أن نُقاتل الناس حتى لا تكون فتنة.

فتركتِ ما أمرت به وكتبتِ تَنْهينا عما أمرنا به والسلام

وخطب علي رضي اللّه عنه بأهل الكوفة يوم الجمل إذ أقبلوا إليه مع الحسن بن علي فقام فيهم

خطيباً فقال: الحمد للهّ رب العالمين وصلّى الله علي سيدنا محمد خاتم النبيين وآخر المُرسلين

أما بعد.

فإن الله بعث مُحمداً صلى الله عليه وسلم إلى الثَقَلين كافة والناسُ في اختلاف

والعربُ بِشر المنازل مُستضعَفون لما بهم فرأب اللهّ به الثّأي ولأم به الصّدع ورَتق به الفَتق

وأمَّن به السبيل وحَقَن به الدماء وقَطَع به العداوة المُوغِرة للقلوب والصَّفائنِ المُشحنة للصدور

ثم قَبضه اللّه تعالى مشكوراً سعيُه مَرْضيا عمله مَغْفوراً ذنبه كريماً عند اللّه نزله.

فيالها من

مُصيبة عمَّت المسلمين وخَصَت الأقربين.

وَوَليَ أبو بكر فسار فينا بسيرة رِضا رَضي بها

المسلمون.

ثم وَلي عمر فسار بسيرة أبي بكر رضي الله عنهما.

ثم ولي عُثمان فنال منكم ونلتم

منه.

ثم كان من أمره ما كان أتيتموه فقتلتموه ثم أتيتموني فقُلتم: لو بايعتنا فقلتُ: لا أفعل

وقبضتُ يدي فبسَطتموها ونازعتُكم كفَّي فجذبتُموها وقلتم: لا نَرضى إلا بك ولا نَجتمع إلا

عليك وتراكمتم علي تراكم الإبل الهِيم على حِياضها يومَ وُرودها حتى ظننتُ أنكم قاتلي وأن

بعضَكم قاتلٌ بعضاً فبايَعتُموني وبايعني طلحةُ والزبير ثم ما لَبثا أنْ استأذناني إلى العُمرة.

فسارا إلى البَصرة فقاتَلا بها المسلمين وفَعلا بها الأفاعيل وهما يَعلمان واللهّ أني لستُ بدون من

مَضى ولو أشاء أن أقول لقلت: اللهم إنهما قَطعا قَرابتي ونَكثا بَيْعتي وألّبا عليّ عدوّي.

اللهمّ

فلا تُحكم لهما ما أبرما وأرهما المَساءة فيما عَملا.

وأملى عليّ بن محمد عن مسلمة بن

مُحارب عن داود عن أبي هِند عن أبي حَرْب عن أبي الأسود عن أبيه قال: خرجتُ مع عِمران

بن حُصين وعثمانَ بن حُنيف إلى عائشة فقلنا: يا أمَّ المؤمنين أَخبرينا عن مَسيرك هذا.

عهدٌ

عَهِدَه إليك رسولُ اللهّ صلى الله عليه وسلم أم رأي رأيتيه قالت: بل رأي رأيتُه حين قُتل

عثمان بن عفَّان إنا نَقمنا عليه ضربه بالسَّوط ومَوقع المِسحاة المُحماة وإمرة سَعيد والوليد

فعدوتُم عليه فاستحللتم منه الثلاثَ الحُرم: حُرمة البلد وحُرمة الخلافة وحُرمة الشهر الحرام بعد

أن مُصْتموه كما يُماص الإناء.

فغَضِبنا لكم من سَوط عثمان ولا نَغضب لعثمان من سَيْفكم

قلنا: ما أنتِ وسيفُنا وسوطُ عثمان وأنتِ حَبيس رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم! أمرك أنْ

تَقَرّي في بيتك فجئتِ تَضربين الناس بعضَهم ببعض! قالت: وهل أحذ يقاتلني أو يقوله غير

هذا قُلنا: نعم.

قالت: ومَن يفعل ذلك هل أنت مُبلغ عني يا عِمران قال: لستُ مُبلغاً

عنك حَرفاً واحداً.

قلت: لكنّني مُبلغ عنك فهاتِ ما شئت.

قالت: اللهم اقتُل مَذمَّما

قِصاصاً بعثمان وارم الأشتر بسهم من سهامك لا يُشْوِى وأدرك عمّاراً بخَفَره بعُثمان أبو بكر

بن أبي شَيبة قال: حدَّثنا عبد الله بن إدريس عن حُصين عن الأحنف بن قيس قال: قَدمنا

المدينة ونحن نُريد الحج فانطلقت فأتيتُ طلحة والزبير فقلت: إِني لا أرى هذا إلا مَقتولا فمن

تأمراني به كما تَرضيانه لي قالا: نأمرك بعليّ.

قلت: فتأمراني به وتَرضيانه لي قالا: نعم.

قال: ثم انطلقتُ حتى أتيتُ مكة فبينما نحن بها إذ أتانا قَتْل عثمان وبها عائشة أم المؤمنين

فانطلقتُ إليها فقلت: مَن تأمريني أنْ أبايع قالت: عليّ بن أبي طالب.

قلتُ: أتأمريني به

وتَرْضينه لي قالت: نعم.

قال: فممرتُ على عليّ بالمدينة فبايعتُه ثم رجعتُ إلى البصرة وأنا

أرى أن الأمر قد استقام فما راعنا إلا قدومُ عائشة أمّ المؤمنين وطلحة والزبير قد نزلوا جَناب

الخُرَيبة.

قاد: فقلت: ما جاء بهم قالوا: قد أرسلوا إليك يستنصرونك على دم عُثمان إنه قُتل

مظلوما.

قال: فأتاني أفظع أمر لم يأتني قطُّ.

قلت: إنَّ خِذلان هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحواري

رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لشديد وإنّ قتال ابن عم رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم

أمروني ببَيعته لشديد.

قال: فلما أتيتُهم قالوا: جِئناك نَسْتصرخك على دم عُثمان قُتل مظلوماً.

قال: فقلت: يا أم المؤمنين أنشدك الله أقلتُ لك: مَن تأمريني به وتَرضينه لي فقلت: عليّ

قالت: بلى ولكنه بَدّل.

قلتُ: يا زُبير يا حواريّ رسول اللّه ويا طَلحة نَشْدتكما باللّه قلتُ

لكما: مَن تأمراني به وتَرْضيانه لي فقلتما عليّ قالا: بلى ولكنه بدّل.

قال: والله لا أقاتلكم

ومعكم أمّ المؤمنين ولا أقاتل عليّا ابن عم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ولكنْ اختاروا مني

إحدى ثلاث خصال: إما أن تفتحوا لي باب الجسرِ فألحق بأرض الأعاجم حتى يَقضي اللّه من

أمره ما يقضي وإمَا أن ألحق بمكة فأكَون بها أو أتحوّل فأكون قريبا قالوا: نَأتمر ثم نُرسل إليك.

قال: فأتمروا وقالوا: نَفتح له باب الجسر فيلحق به المُفارق والخاذل أو يلحق بمكة فيَفْحشكم في

قُريش ويُخبرهم بأخباركم اجعلوه هاهنا قريباً حيث تَنظُرون إليه.

فاعتزل بالجَلحاء من

البَصرة على فرسخين واعتزل معه زهاء ستة آلاف من بني تميم.

مقتل طلحة

أبو الحسن قال: كانت وقعة الجَمل يوم الجُمعة في النَصف من جُمادى الآخرة التَقوا فكان أوَلَ

مَصْروع فينا طلحةُ بن عُبيد الله أتاه سَهمُ غَرْب فأصاب رُكبتَه فكان إذا أمسكوه فَتر الدم

وإذا تَركوه انفجر فقال لهم: اتركوه فإنما هو سهم أرسله اللّه.

حمّاد بن زيد عن يَحيى بن لسَعيد قال: قال طلحةُ يوم الجمل:

نَدمتُ ندامةَ الكُسعي لما طلبتُ رضَا بني حَزم بزَعمِي

للهم خُذ مني لعثمان حتى يَرضى.

ومن حديث أبي بكر بن أبي شَيبة قال: لما رأى مروانُ بن الحكم يوم الجمل طلحة بن عُبيد الله

قال: لا أنتظر بعد اليوم بثأري في عُثمان فانتزع له سهماً فقَتله.

ومن حديث سُفيان الثّوري قال: لما انقضى يومُ الجمل خرج علي بن أبي طالب في ليلة ذلك

اليوم ومعه مولاه وبيده شَمعة يتصفّح وجوه القتلى حتى وَقف على طلحة بن عُبيد الله في بَطن

وادٍ مُتعفّراً فجعل يمسح الغبار عن وجهه ويقول: أعزِزْ علي يا أبا محمد أن أراك متعفراً تحت

نجوم السماء وفي بطون الأودية إنا لله وإنا إليه راجعون.

شَقيت نفسي وقَتلتُ معشري إلى اللهّ

أشكو عُجَري وبُجري.

ثم قال: واللهّ إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين

قال الله فيهم: " وَنَزَعنا ما في صُدورهم من غِلٍ إخواناً عَلَى سُرُرٍ مُتقابِلين " وإذا لم نكن نحن فمَن

هم أبو إدريس عن ليث بن طَلحة عن مُطَرف: أن عليّ بن أبي طالب أجلس طلحةَ يوم الجمل

ومَسح الغُبار عن وجهه وبَكى عليه.

ومن حديث سَّفيان: أنَ عائشة بنت طلحة كانت ترى في

نَومها طلحةَ وذلك بعد موته بعشرين يوماً فكان يقول لها: يا بُنية أخرجيني من هذا الماء

الذي يُؤذيني.

فلما انتبهت من نَومها جَمعت أعوانَها ثم نَهضت فنَبشته فوجدته صَحيحاً كما

دُفنِ لم تَنْحَسر له شعرة وقد اخضر جَنبه كالسَّلق من الماء الذي كان يسيل عليه فلفته في

الملاحف واشترت له عَرصة بالبَصرة فدفنته فيها وبَنت حوله مسجدا.

قال: فلقد رأيتُ المرأة

من أهل البَصرة تُقبل بالقارورة من البان فتصبّها على قبره حتى تُفرغها فلم يَزلن يَفعلن ذلك

حتى صار تراب قَبره مِسْكا أذفر.

ومن حديث الخُشني قال: لما قُتل طلحة بن عُبيد اللهّ يوم

الجمل وجدوا في تَركته ثلثمائة بُهار من ذَهب وفضّة.

والبُهار: مِزْود من جلد عِجل.

وقع قومٌ

في طلحة عند عليّ بن أبي طالب فقال: أما والله لئن قُلتم فيه إنه لكما قالِ الشاعر:

فتَى كان يُدْنيه الغِنَى من صَديقه إذا ما هو استغنى وُيبعده الفَقْرُ

كأنَ الثّريّا عُلِّقت في يَمينه وفي خَدِّه الشِّعري وفي الآخرَ البَدْر

شَريك عن الأسود بن قيس قال: حدّثني مَن رأى الزُبير يوم الجمل يَقْعص الخيل بالرُّمح قَعصا

فنوِّه به علي: أيا عبد اللّه أتذكر يوماً أتانا النبيُ صلى الله عليه وسلم وأنا أناجيك فقال:

أتناجيه! واللّه ليُقاتلنَك وهو ظالم لك.

قال: فصرَف الزُبير وَجْه دابّته وانصرف.

قال أبو الحُسن:

لما انحاز الزُّبير يومَ الجمل مر بماء لبني تَميم فقيل للأحنف بن قيس: هذا الزُّبير قد أقبل.

قال:

وما أصنع به أن جَمع بين هذين الغَزِيَّيْن وتَرك الناس وأقبل - يريد بالغَزيِيْن المُعسكرين - وفي

مجلسه عمرو بن جُرموز المجاشعيّ فلما سمع كلامَه قام من مجلسه واتبعه حتى وجده بوادي

الطباع نائماً فقَتله وأقبل برأسه على عليّ بن أبي طالب.

فقال عليّ: أبْشر بالنار سمعتُ

رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول: بشروا قاتل الزّبير بالنار.

فخرج عمرو بن جُرموز وهو

يقول:

أتيتُ عليًّا برأس الزُبير وقد كنتُ أحسبها زُلْفَه

فبشِّر بالنار قَبل العِيان فبئس بشارة ذي التّحفه

ومن حديث ابن أبي شيبة قال: أقبل رجلٌ بسيف الزّبير إلى الحسن بن علي فقال: لا حاجة لي

به أدخله إلى أمير المؤمنين.

فدخل به إلى عليّ فناوله إياه وقال: هذا سيفُ الزّبير.

فأخذه

عليّ فنظر إليه مليّا ثم قال: رَحم اللّه الزبير.

لطالما فَرَّج به الكُرب عن وجه رسول الله صلى

غَدر ابن جُرْموز بفارس بُهْمةٍ يومَ الهِياج وكان غيرَ مُعَدَّدِ

يا عمرو لو نبَّهته لوجدته لا طائشاً رَعِش الْجَنان ولا اليَدْ

ثَكِلْتك أمك أن قَتلت لمُسلما حلت عليك عُقوبة المتعمد

وقال جرير يَنعي على ابن مُجاشع قتلَ الزبير رضي الله تعالى عنه:

إني تُذكِّرني الزبيرَ حمامةٌ تَدعو ببَطن الواديين هَدِيلا

قالت قُريش ما أذلَّ مُجاشعاً جاراً وأكرمَ ذا القتيلَ قَتيلا

لو كُنتَ حرًّا يا بن فَين مُجاشعٍ شيعت ضَيفك فَرْسخاً أو مِيلاً

أفبعد قَتْلكم خليلَ محمدٍ تَرْجو القُيون مع الرسول سَبِيلا

هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: دعاني أبي يومَ الجمل فقمتُ عن يمينه

فقال: إنه لا يُقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم وما أراني إلا سأقتل مظلوما وإن أكبر همّي دَيني فبع

مالي ثم اقض ديني فإِن فَضل شيء فثُلثه لولدك وإن عجزتَ عن شيء ما بُني فاستعِن مولاي.

قلت: ومن مولاك يا أبت قال: الله.

قال عبدُ الله بن الزبير: فواللّه ما بقيتُ بعد ذلك في كُربة

من دَينه أو عُسرة إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيَه.

قال: فقُتل الزبير ونظرتُ في

دَينه فإذا هو ألفُ ألف ومائة ألف.

قال: فبِعت ضَيعةً له بالغابة بألف ألف وستمائة ألف ثم

ناديتُ: مَن كان له قِبل الزّبير شيء فليأتنا نقضِه.

فلما قضيتُ دينَه أتاني إخوتي فقالوا: أقسم

بيننا ميراثَنا.

قلت: والله لا أقسم حتى أنادي أربعَ سنين بالمَوْسم: من كان له على الزبير شيء

فليأتنا نَقْضِه.

قال: فلما مَضت الأربع السنين أخذت الثّلث لولدي ثم قسمتُ الباقي.

فصار

لكل امرأة من نسائه - وكان له أربع نسوة - في ربع الثمن ألف ألف ومائة ألف.

فجميع ما تَرك

مائة ألف ألف وسبعمائة ألف ألف.

ومن حديث ابن أبي شَيبة قال: كان علي يُخرج مُناديه يوم

الجمل يقول: لا يُسلبن قتيل ولا يُتْبع مُدْبر ولا يجهز على جَريح.

قال: وخرج كعب بن ثَور من

البصرة قد تقلّد المُصحف في عُنقه فجعل يَنْشره بين الصّفين ويُناشد الناس في دِمائهم إذ أتاه

سَهم فقَتله وهو في تلك الحال لا يدري مَن قتله.

وقال في بن أبي طالب يوم الجمل للأشتر وهو

مالك بن الحارث وكان الميمنة: أحمل.

فحمل فكَشف من بإزائه.

وقال لهاشم بن عُقْبة أحد

بني زُهرة بن كِلاب وكان على المَيسرة: احمل.

فحمل فكَشف من بإزائه.

فقال علي

لأصحابه: كيف رأيتم مَيسرتي ومَيمنتي!

من حديث الجمل

الخُشني عن أبي حاتم الجّستاني قال: أنشدني الأصمعي عن رجل شَهد الجملَ يقول:

شهدتُ الحُروب وشيبنيِ فلم تر عيني كيوم الجَملْ

اضرّ على مُؤمنٍ فِتنةً وأفتك منه لِخرْق بَطل

فليت الظّعينةَ في بيتها وليتك عَسكرُ لم تَرْتحل

ابن مُنْيَة وَهبه لعائشة وجعل له هَوَدجاً من حديد وجَهز من ماله خَمسمائة فارس بأسلحتهم

وأزودتهم.

وكان أكثرَ أهل البصرة مالاً.

وكان عليّ بن أبر طالب يقول: بُليت بأنَضّ الناس وأنطق

الناس وأطوع الناس في الناس.

يُريد بأنَض الناس: يَعلَى بن مُنْية وكان أكثرَ الناس ناضا ويريد

بأنطق الناس: طَلحة بن عُبيد الله وأطوع الناس في الناس عائشةَ أم المؤمنين.

أبو بكر بن أبي

شيبة عن مَخْلد بن عُبيد الله عن التَّميمي قال: كانت رايةُ علي يومَ الجمل سوداء وراية أهل

البصرة كالجَمل.

الأعمش عن رجل سمّاه قال: كنتُ أرى عليًّا يومَ الجمل يَحمل فيضرب بسَيفه

حتى يَنثني ثم يَرجع فيقول: لا تلوموني ولُوموا هذا ثم يعود ويُقوَمه.

ومن حَديث أبي بكر بن

أبي شَيبة قال: قال عبد اللّه بن الزبير: التقيتُ مع الأشتر يوم الجمل فما ضرَبتُه ضربةً حتى

ضَربني خمسة أو ستة ثم جَرّ برجلي فألقاني في الخَندق وقال: والله لولا قُربُك من رسول اللّه

صلى الله عليه وسلم ما اجتمع فيك عُضو إلى آخر.

أبو بكر بن أبي شَيبة قال: أعطت عائشة

الذي بَشَّرها بحياة ابن الزُّبير إذ التقى مع الأشتر يوم الجمل أربعة آلاف.

سعيدُ عن قَتادة قال:

قُتل يوم الجمل مع عائشة عشرون ألفاً منهم ثمانمائة من بني ضبة.

وقالت عائشةُ: ما أنكرتُ

رأس جَملي حتى فقدتُ أصواتَ بني عديّ.

وقُتل من أصحاب عليّ خمسمائة رجل لم يُعرف

منهم إلا عِلْباء بن الهيثم وهِند الجملّي قَتلهما ابن اليَثربيّ وأنشأ يقول:

إِني لِمَن يَجهلني ابن اليَثرُبي قتلتُ عِلْباءَ وهِنْد الجَملي

عبدُ الله بن عَوْن عن أبي رجَاء قال: لقد رأيت الجَمل حينئذ وهو كظهر القُنفذ من النَبل

ورجلٌ من بني ضَبَّة أخذ بخُطامه وهو يقول:

نحنُ بنو ضَبَّة أصحابُ الجملْ الموتُ أحلى عندنا من العَسلْ

نَنْعَي ابن عَفان بأطراف الأسَلْ

غندَر قال: حَدثنا شعبة بن عمرو بن مُرة قال: سمعت عبد اللّه بن سَلمة وكان مع في بن أبي

طالب يوم الجمل والحارثَ بن سُويد وكان مع طَلحة والزُّبير وتذاكرا وقعة الجمل فقال

الحارث بن سُويد: والله ما رأيتُ مثلَ يوم الجمل لقد أشرعوا رِماحَهم في صُدورنا وأشرعنا

رماحَنا في صُدورهم ولو شاءت الرجال أن تَمشي عليها لمشت يقول هؤلاء: لا إله إلا الله

والله أكبر ويقول هؤلاء: لا إله إلا اللّه والله أكبر فوالله لَوددتُ أني لم أشهد ذلك اليوم وأني

أعمى مَقطوعُ اليدين والرِّجلين.

وقال عبدُ الله بن سَلمة: واللّه ما يُسرّني أني غِبْتُ عن ذلك

اليوم ولا عن مَشهد شَهِدَه عليّ بن أبي طالب بحُمر النَّعم.

علي بن عاصم عن حُصين قال:

حدّثني أبو جُميلة البكّاء قال: إني لفي الصَف مع علي بن طالب إذ عُقر بأم المُؤمنين جملُها

فرأيتُ محمدَ بن أبي بكر وعمار بن ياسر يشتدّان بين الصَفين أيهما يَسبق إليها فقَطعا عارضة

الرّحل واحتملاها في هَودجها.

ومن حديث الشَعبي قال: مَن زَعم أنه شهد الجمل من أهل بَدر

إلا أربعةٌ فكذبه كان عليّ وعمار في ناحية وطَلحة والزُبير في ناحية.

أبو بكر بن أبي شيبة

قال: حدَثني خالدُ بن مَخلد عن يعقوب عن جَعفر بن أبي المُغيرة عن ابن أبْزَى قال: انتهى عبد

اللّه بن بُديل إلى عائشة وهي في الهَوْدج فقال: يا أم المؤمنين أنشدُك باللهّ أتعلمين أني أتيتُكِ يَومَ

قُتل عثمان فقلتُ لك: إن عثمان قد قُتل فما تأمرينني به.

فقلتِ لي: الزم عليّا فواللّه ما غير

ولا بدَّل.

فسكتت.

ثم أعاد عليها.

فسكتت.

ثلاثَ مرات.

فقال: اعقِروا الجَمل فعَقروه.

فنزلتُ أنا وأخوها محمد بن أبي بكر فاحتملنا الهودَج حتى وَضعناه بين يدي علي فسُرّ به

فأدخل في منزل عبد اللّه بن بُديل.

وقالوا: لما كان يومَ الجَمل ما كان وظَفِر عليٌّ بن أبي طالب دنا من هَودج عائشة فكلّمها

بكلام.

فأجابته: ملكتَ فأسْجع.

فجهَّزَها عليّ بأحسن الجِهَاز وبَعث معها أربعين امرأة - وقال

بعضُهم: سبعين امرأة - حتى قَدِمَت المدينة.

عكرمةُ عن ابن عباس قال: لما انقضى أمرُ الجمل

دعا علي بن أبي طالب بآجرتين فعلاهما فَحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أنصارَ المرأة

وأصحابَ البَهيمة رَغا فجئتُم وعُقر فهُزمتم نَزلتم شرَّ بلاد أبعدها من السماء بها مَغيض

كل ماء ولها شرُّ أسماء هي البَصرة والبُصيرة والمُؤتفكة وتَدْمر أين ابن عباس قال: فدُعيت

له من كل ناحية فأقبلت إليه فقال: ائت هذه المرأة فَلْترجع إلى بيتها الذي أمرها الله أن تَقَر

فيه.

قال: فجئتُ فاستأذنتُ عليها فلم تَأذن لي فدخلتُ بلا إذن ومَددت يدي إلى وِسادة في

البيت فجلستُ عليها.

فقالت: تاللّه يا بن عباس ما رأيتُ مثلك! تَدخل بيتَنا بلا إذننا

وتجلس على وسادتنا بغير أمرنا.

فقلت: واللّه ما هو بيتُكِ ولا بيتُكِ إلا الذي أمرك اللّه أن

تَقرِّي فيه فلم تَفعلي إن أمير المؤمنين يأمرك أن تَرجعي إلى بلدك الذي خرجتِ منه.

قالت:

رحم اللّه أميرَ المؤمنين ذاك عمرُ بن الخطّاب.

قلتُ: نعم وهذا أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي

طالب.

قالت: أبيتُ أبيت.

قلت: ما كان إباوك إلا فُوَاقَ ناقة بكيئة ثم صرتِ ما تُحْلِينَ ولا

تُمرِّين ولا تَأمرين ولا تَنْهين.

قال: فبكت حتى علا نشيجَها.

ثم قالت: نعم أرجعُ فإن أبغض

البلدان إلي بلدٌ أنتم فيه.

قلت: أما واللّه ما كان ذلك جزاؤُنا منك إذ جَعلناك للمُؤمنين أمًّا

وجعلنا أباك لهم صِدِّيقاً.

قال: أتمُنُّ فيَ برسول الله يا بن عباس قلتُ: نعم نمنّ عليك بمن لو

كان منكِ بمنزلته منَا لمننتِ به علينا.

قال ابن عبّاس: فأتيتُ عليًّا فأخبرتُه فقبّل بين عينيَّ

وقال: بأبي ذريَّة بعضا من بعض واللّه سميع عليم.

ومن حديث ابن أبي شَيبة عن ابن فَضيل

عن عَطاء بن السائب: أن قاضيا من قُضاة أهل الشام أتى عمرَ بن الخطاب فقال: يا أميرَ

المؤمنين رأيتُ رؤيا أفْظعتني.

قال: وما رأيتَ قال: رأيتُ الشمس والقمر يَقتتلان والنجومَ

معهما نصفين.

قال: فمع أيهما كنتَ قال: مِع القمر على الشمس.

قال عمرُ بن الخطاب:

" وجعلنا اللَيل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آيةَ النهار مبصرة " فانطلِقْ فوالله لا تَعمل لي

عملاً أبداً.

قال: فبلغني أنه قُتل مع مُعاوية بصفين.

أبو بكر بن أبي شَيبة قال: أقبل سُليمان بن

صرُد وكانت له صُحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي بن أبي طالب بعد وقعة

الجمل فقال له: تنأنأت وتَزحزحت وتربّصت فكيف رأيت الله صنَع قال: يا أمير المؤمنين إنّ

الشوط بَطِين وقد بقي من الأمور ما تَعرف به عدوك من صَديقك.

وكتب عليٌّ بن أبي طالب

إلى الأشعث بن قيس بعد الجَمل وكان والياً لعثمان على أذْرَبيجان: سلامٌ عليك أما بعد.

فلولا هَنات كنّ منك لكنت أنت المُقدم في هذا الأمر قبل الناس ولعل أمركَ يحمل بعضُه بعضاً

إن اتقيتَ اللّه وقد كان من بَيعة الناس إِيَّاي ما قد بَلغك وقد كان طلحةُ والزبير أولَ من بايعني

ثم نَكثا بيعتي من غير حَدَث ولا سَبب وأخرجا أمَّ المؤمنين فساروا إلى البَصرة وسرتُ إليهِم

فيمن بايعني من المُهاجرين والأنصار فالتقينا فدعوتهم إلى أن يَرجعوا إلى ما خَرجوا منه فأبوْا

فأبلغتُ في الدُعاء وأحسنتُ في البُقيا وأمرتُ ألا يُذفّ على جريح ولا يُتبع مُنهزم ولا يُسلب

قَتيل ومَن ألقى سلاحَه وأغلق بابه فهو آمن.

واعلم أن عملك ليس لك بطُعْمة إنما هو أمانة في

عُنقك وهو مال من مال اللّه وأنت من خُزَاني عليه حتى تُؤديه إليّ إن شاء الله ولا قُوةَ إلا

بالله.

فلما بلغ الأشعث كتابُ عليّ قام فقال: أيها الناس إن عثمان بن عفان ولّاني أذربيجان

فهلك وقد بقيتْ في يدي وقد بايع الناسُ عليًّا وطاعتُنا له واجبة وقد كان من أمره وأمر

عدوّه ما كان وهو المأمون على مَن غاب من ذلك المَجْلس ثم جلس.

قولهم في أصحاب الجمل

أبو بكر بن أبي شَيبة قال: سُئل علي عن أصحاب الجمل: أمشركون هم قال: من الشّرَك

فَروا.

قال: فَمنافقون هم قال: إن المنافقين لا يَذكرون الله إلا قليلاً.

قال: فما هم! قال:

إخوانُنا بَغَوْا علينا.

ومَر علي بقتلى الجمل فقال: اللهم اغفر لنا ولهم ومعه محمدُ بن أبي بكر

وعمار بن ياسر فقال أحدُهما لصاحبه: أما تسمع ما يقول! قال: اسكت لا يَزيدك.

وكيع عن

مِسْعَر عن عبد الله بن رَباح عن عمار قال: لا تقولوا: كَفر أهل الشام ولكن قُولوا: فَسقوا

وظَلموا.

وسُئل عمار بن ياسر عن عائشة يوم الجمل فقال: أما والله إنا لنعلم أنها زوجتُه في

الدُنيا والآخرة ولكنّ اللّه ابتلاكم بها ليعلم أتتبعونه أم تَتبعونها.

وقال عليٌّ بن أبي طالب يومَ

الجمل: إن قوماً زَعموا أن البَغي كان منّا عليهم وزَعمنا انه منهم علينا وإنما اقتتلنا على البَغي

ولم نقتتل على التَّكفير.

أبو بكر بن أبي شَيبة قال: أول ما تكلمت به الخوارجُ يومَ الجمل قالوا: ما أحلَّ لنا دماءَهم وحرّم

علينا أموالهم! فقال عليّ: هي السنة في أهل القِبلة.

قالوا: ما نَدري ما هذا قال: فهذه

عائشةُ رأس القوم أتتساهمون عليها! قالوا: سُبحان الله! أمنا.

قال: فهي حَرام قالوا: نعم.

قال: فإنه يَحرم من أبنائها ما يَحرم منها.

قال: ودخلتْ أم أوفى العَبْدية على عائشة بعد وَقعه

الجمل فقالت لها: يا أمّ المؤمنين ما تقولين في امرأةٍ قَتلت ابناً لها صغيراً قالت: وَجبت لها

النار.

قالت: فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفاً في صَعيد واحد قالت:

خُذوا بيد عدوّة اللّه.

وماتت عائشةً في أيام مُعاوية وقد قاربت السبعين.

وقيل لها: تُدفنين مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: لا إني أحدثت بعده حَدثاً فادفِنُوني مع إخوتي

بالبقيع.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: يا حُميراء كأني بك تَنْبحك كِلابُ الحُوّب.

تقاتلين علياً وأنت له ظالمة.

والحُوب بضم الحاء وتثقيل الواو وقد زَعموا أن الحُوَّب

ماء في في طريق البصرة.

قال في ذلك بعضُ الشيعة:

إني أدينُ بحُب آل محمدٍ وبَني الوَصيّ شهودِهم والغُيبِ

وأنا البريء من الزُّبير وطَلحة ومِن التي نَبحت كلابُ الحُوّب

أخبار علي ومعاوية

كتب عليّ بن أبي طالب إلى جرير بن عبد الله وكان وجهّه إلى مُعاوية في أخذ بيعته فأقام

عنده ثلاثة أشهر يُماطله بالبيعة فكتب إليه عليّ: سلام عليك فإذا أتاك كتابي هذا فَاحمل

مُعاوية على الفَصل وخَيَره بين حرب مَجْلية أو سَلم مَحظية.

فإن اختار الحربَ فانبذ إليهم

على سواء إن اللّه لا يُحب الخائنين وإن اختار السلم فخُذ بَيعته وأقبل إلي.

وكتب عليّ إلى

معاوية بعد وقعة الجمل: سلام عليك.

أما بعد.

فإن بَيعتي بالمدينة لزمتْك وأنت بالشام لأنه

بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه.

فلم يكن للشاهد أنْ يختار ولا

للغائب أن يردّ وإنما الشُورى للمهاجرين والأنصار فإذا اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان

ذلك للّه رضاً وإن خَرج عن أمرهم خارجٌ ردّوه إلى ما خَرج عنه فإن أبى قاتلوه على أتباعه

غيرَ سبيل المؤمنين وولّاه اللّه ما تولّى وأصلاه جهنم وساءت مَصيراً.

وإن طلحةَ والزُبير بايعاني

ثم نَقضا بيعتهما وكانَ نَقضُهما كردَتهما فجاهدتُهما بعد ما أعذرت إليهما حتى جاء الحقُّ

وظَهر أمرُ الله وهم كارهون.

فادخُل فيما دَخل فيه المسلمون فإنَ أحب الأمور إليّ قَبولُك

العافية.

وقد أكثرتَ في قتلة عثمان فإن أنت رجعتَ عن رأيك وخلافك ودخلتَ فيما دخل

فيه المسلمون ثم حاكَمت القوْمَ إلي حملتُك وإياهم على كتاب الله.

وأما تلك التي تُرِيدها فهي

خُدعة الصّبي عن اللبن.

ولَعمي لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنَي أبرأ قُريش من دم عثمان.

واعلم أنك من الطُّلقاء الذين لا تَحل لهم الخلافة ولا يدخلون في الشُّورى وقد بعثتُ إليك وإلى

مَن قبلك جَريرَ بن عبد اللّه وهو من أهل الإيمان والهِجرة فبايعْه ولا قُوة إلا باللّه.

فكَتب إليه

معاوية: سلام عليك.

أما بعد فلَعمري لو بايعك الذين ذكرتَ وأنت بريء من دم عثمان لكنتَ

كأبي بكر وعمر وعثمان ولكنَك أغريتَ بدم عثمان وخَذلت الأنصار فأطاعك الجاهلُ وقوي

بك الضعيف.

وقد أبي أهلُ الشام إلا قتالَك حتى تَدفع إليهم قتلَة عثمان فإن فعلتَ كانت

شورى بين المسلمين.

وإنما كان الحجازيون هم الحكام على الناس والحق فيهم فلما فارقوه كان الحُكَام على الناس أهلُ الشام.

ولَعمري مَا حُجَّتك على أهل الشام كحجتك على أهل البَصرة

ولا حُجَّتك عليّ كحُجتك على طلحة والزُّبير إن كانا بايعاك فلم أبايعك أنا.

فأما فضلك في

الإسلام وقرابتُك من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فلسْتُ أدفعه.

فكتب إليه عليٌّ: أما

بعد.

فقد أتانا كتابُك كتابُ امرىء ليس له بصرٌ يهديه ولا قائد يُرشده دعاه الهوى فأجابه

وقاده فاتبعه.

زعمتَ أنك إنما أفسد عليك بَيعتي خُفُوري لعثمان.

ولَعمري ما كنتُ إلا رجلاً

من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرتُ كما أصدروا.

وما كان اللّه ليجمعهم على ضَلالة

ولا ليضربهم بالعَمى.

وما أمرتُ فلزمَتْني خَطيئةُ الأمر ولا قتلتُ فأخاف على نَفسي قِصاص القاتل.

وأما قولُك إن أهل الشام هم حُكام أهل الحجاز.

فهات رجلاً من أهل الشام يُقبَل في

الشورى أو تحلّ له الخلافة فإن سَمَّيتَ كَذَّبك المهاجرون والأنصار.

ونحن نأتيك به من أهل

الحجاز.

وأما قولُك: ادفعِ إليّ قتلة عثمان.

فما أنت وذاك وهاهنا بنو عثمان وهم أولى بذلك

منك.

فإن زعمت أنك أقوى على طلب دم عثمان منه فارجع إلى البيعة التي لزمتْك وحاكم

القومَ إليّ.

وأما تمييزك بين أهل الشام والبَصرة وبينك وبين طلحة والزبير.

فلعمري ما الأمر هناك

إلا واحد لأنها بيعة عامة لا يتأتىّ فيها النظر ولا يُستأنف فيها الخيار.

وأما قرابتي من رسول

اللّه صلى الله عليه وسلم وقِدمِي في الإسلام فلو استَطعت دفعَه لدفَعتَه.

وكتب معاويةُ إلى

علي: أما بعد.

فإِنك قتلتَ ناصرَك واسترَك.

فوايم الله لأرْميّنك بشهاب تُزكيه الريح

ولا يُطفئه الماء.

فإذا وقع وَقب وإذا مسّ ثَقب فلا تحسبَنّي كسُحيم أو عبد القيس أو حُلوان

الكاهن.

فأجابه عليّ: أما بعد.

فواللّه ما قَتل ابن عمّك غيرُك! أني أرجو أن ألحقك به على

مثل ذَنبه وأعظِم من خطيئته.

وإن السيف الذي ضربتُ به أهلَك لمعي دائم.

واللهّ ما

استحدثْت ذنباً ولا استبدلت نبيّا وإني على المِنْهاج الذي تركتُموه طائعين وأدخلتم فيه

كارهين.

وكتب معاوية إلى علي بن أبي طالب: أما بعد.

فإن اللّه اصطفى محمداً وجعله الأمين

علَى وحيه والرسول إلى خَلقه واختار له من المسلمين أعواناً أيّده بهم وكانوا في منازلهم عنده

على قدر فضائِلهم في الإسلام فكان أفضلَهم في الإسلام وأنصحَهم لله ولرسوله الخليفةُ وخليفةُ

الخليفة والخليَفة الثالث فكلّهم حسدْتَ وعلى كُلهم بَغيتَ.

عَرفنا ذلك في نظرك الشَزْر

وتنفُسك الصُعداء وإبطائك على الخُلفاء وأنت في كل ذلك تُقاد كما يُقاد البعير المَخْشوش

حتى تُبايع وأنت كاره.

ولم تكن لأحد منهم أشدَّ حسداً منك لابن عمك عثمان وكان أحقَّهم

أن لا تفعل ذلك في قَرابته وصِهْره.

فقطعتَ رحمه وقبَّحت محاسنه وألَّبت عليه الناس حتى

صُربت إليه آباطُ الإبل وشُهر عليه السلاح في حَرم الرسول فقُتل معك في المحلّة وأنت تسمعِ في

داره الهائعة لا تُؤَدّي عن نفسك في أمره بقَوْلِ ولا فعل برّ.

أقسم قسماً صادقاً لو قصتَ في أمره

مقاماً واحداً تنهينّ الناس عنه ما عَدل بك ممن قَبِلنا من الناس أحد ولمَحا ذلك عنك ما كانوا

يَعرفونك به من المجانبة لعثمان فهم بطانتك وعَضدك وأنصارك.

فقد بَلغني أنك تَنتفي من دمه

فإن كنت صادقاً فادفع إلينا قتلَته نَقتلهم به ثم نحن أسرعُ الناس إليك وإلا فليس لك ولا

لأصحابك عندنا إلا الصيف.

والذي نفسُ معاوية بيده لأطلبنَّ قتلةَ عثمان في الجبال والرّمال

والبَرّ والبَحر حتى نقتلهم أو تَلحقَ أرواحُنا بالله.

فأجابه عليّ: أما بعد.

فإِنّ أخا خَوْلان قَدِم

علي بكتاب منك تَذكر فيه محمداً صلى الله عليه وسلم وما أنعم اللّه به عليه من الهُدى

والوَحْي.

فالحمدُ للهّ الذي صَدقه الوعد وتَمَّم له النصر ومكّنه في البلاد وأظهره على

الأعادي من قومه الذين أظهروا له التَّكذيب ونابذوه بالعداوة وظاهروا على إخراجه وإخراج

أصحابه وألَبوا عليه العرب وحَزّبوا الأحزاب حتى جاء الحق وظهر أمر اللّه وهم كارهون.

وذكرتَ أن اللهّ اختار من المسلمين أعواناً أيّده بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم

في الإسلام فكان أفضلَهم في الإسلام وأنصحَه للّه ولرسوله الخليفةُ من بعده.

ولعمري إن كان

مكانُهما في الإسلام لعظيما وإن كان المُصاب بهما لجُرْحا في الإسلام شديداً فرحمهما اللّه

وغَفر لهما.

وذكرتَ أن عثمان كان في الفَضل ثالثاً فإنْ كان مُحسناً فسيلقيِ رباً شكوراً

يُضاعف له الحسنات ويَجزيه الثوابَ العظيم وإن يك مُسيئاً فسيلقى رباً غفوراً لا يَتعاظمه

ذنبٌ يغفره.

ولعمري إني لأرجو إذا اللّه أعطى الأسْهم أن يكون سَهْمُنا أهلَ البيت أوفَر

نصيب.

وايم اللّه ما رأيتُ ولا سمعتُ بأحد كان أنصحَ لله ورسوله ولا أنصحَ لرسول اللهّ في

طاعة اللّه ولا أصبر على البلاء والأذى في مواطن الخوف مِن هؤلاء النفر من أهل بيته الذي

قُتلوا في طاعة اللّه: عُبيدة بن الحارث يوم بدر وحمزة بن عبد المطلب يوم أُحد وجعفر وزيد

يوم مُؤتة.

وفي المهاجرين خير كثير جزاهم اللّه بأحسن أعمالهم.

وذكرتَ إبطائي عن الخلفاء

وحسدي إياهم والبَغي عليهم.

فأما البغي فمعاذَ اللّه أن يكون.

وأما الكَراهة لهم فواللّه ما

اعتذر للناس من ذلك.

وذكرتَ بَغْيي على عثمان وقَطْعي رحمه فقد عمل عثمان بما قد

علمتَ وعَمل به الناسُ ما قد بلغك.

فقد علمتَ أني كنتُ من أمره في عُزلة إلا أن تجنَّى

فتجنَ ما شئتَ وأما ذِكْرك قَتلةَ عثمان وما سألتَ من دفعهم إليك فإني نظرتُ في هذا الأمر

وضربت أنفَه وعَينَه فلم يَسعني دَفْعهُم إليك ولا إلى غيرك وإن لم تَنْزع عن غَيك لنعرفنك عما

قليل يطلبونك ولا يكلفونك أن تَطلبهم في سَهل ولا جَبل ولا بَرّ ولا بحر.

وقد كان أبوك أبو

سفيان أتاني حين قُبض رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم فقال.

ابسط يدَك أبايعك فأنت أحقُّ

الناس بهذا الأمر.

فكنتُ أنا الذي أبيت عليه مخافةَ الفُرقة بين المسلمين لقُرب عهد الناس

بالكفر.

فأبوك كان أعلَمَ بحقَي منك وإن تعرف من حقَي ما كان أبوك يعرفه تُصِب رشْدك

وإلا فنَستعين الله عليك.

وكتب عبدُ الرحمن بن الحكم إلى معاوية:

ألا أبْلِغ مُعاويةَ بنَ حَرْب كتاباً من أخِي ثِقَةٍ يَلومُ

فإنَك والكتابَ إلى علَيٍّ كدابغةٍ وقد حَلِم الأدِيم

يوم صفين

أبو بكر بن أبي شَيبة قال: خَرج عليُ بن أبي طالب من الكُوفة إلى معاوية في خمسة وتسعين

ألفاً وخرج مُعاوية من الشام في بضع وثمانين ألفاً فالتقوا بصفِّين.

وكان عسكر علي يُسمَى

الزَّحزحة لشدة حَركته وعسكرُ معاوية يسمى الخُضْرية لاسوداده بالسلاح والدروع.

وأبو

الحسن قال: كانت أيامُ صِفّين كلّها موافقَة ولم تكن هَزيمة بين الفريقين إلا على حامية ثم يكرون.

أبو الحسن قال: كان مُنادي على يخرج كل يوم وينادي: أيها الناس لا تُجهزُنّ على جريح ولا

تَتبعُنَّ موِلِّياً ولا تَسلبنّ قتيلا ومن ألقى سلاحه فهو آمن.

أبو الحسن قال: خرج معاوية إلى عليٍّ

يوم صفّين ولم يُبايعه أهلُ الشام بالخلافة وإنما بايعوه عَلَى نُصرة عثمان والطلب بدمه.

فلما كان

من أمر الحَكَمين ما كان بايعوه بالخلافة.

فكتب معاويةُ إلي سعد بن أبي وقاص يدعوه إلى القيام

معه في دم عثمان: سلام عليك: أما بعد.

فإن أحقَّ الناس بنُصرة عثمان أهلُ الشُّورى من

قُريش الذين اثبتوا حقَّه واختاروِه عَلَى غيره ونُصرةِ طلحة والزبير وهما شريكاك في الأمر

ونظيراك في الإسلام.

وخفّت لذلك أم المؤمنين فلا تَكره ما رضوا ولا تَردّ ما قبلوا وإنما نريد

أن نردّها شورى بين المسلمين.

والسلام.

فأجابه سعد: أما بعد.

فإن عُمَر رضي الله عنه لم يُدخل في الشورى إلا مَن تَحِل له الخلافة

فلم يكن أحد أولى بها من صاحبه إلا باجتماعنا عليه.

غَير أنَ عليًّا كان في ما فينا ولم يكن

فينا ما فيه ولو لم يطلبها ولزم بيتَه لطلَبتْه العربُ ولو بأقصى اليمن.

وهذا الأمر قد كرهنا أولَه

وكَرِهنا آخره.

وأما طلحة والزُّبير فلو لزما بيوتَهما لكان خيراً لهما.

واللّه يَغفر لأم المؤمنين ما

أتتْ.

وكتب معاوية إلى قيس بن سعد بن عُبادة: أما بعد.

فإنما أنت يهوديّ ابن يهوديّ إن

ظَفر أحبُّ الفريقين إليك عَزلك واستبدل بك وإن ظَفر أبغضُ الفريقين إليك قَتلك وتَكّل بك.

وقد كان أبوك أوترَ قوسَه ورَمى غرضَه فأكثر الحزَّ وأخطأ المَفْصِل فخذله قومُه وأدركه يومهُ

ثم مات طريداً بحَوْران.

فأجابه قيس: أما بعد.

فأنت وثنيّ ابن وثنيّ.

دخلتَ في الإسلام كُرهاً وخرجتَ منه طوعاً لم

يَقْدُم إيمانك ولم يحذَر نفاقك.

ونحن أنصارُ الدين الذي خرجتَ منه وأعداء الدين الذي

دخلتَ فيه.

والسلام.

وخطب عليُ بن أبي طالب أصحابَه يوم صِفّين فقال: أيها الناس إنَّ الموتَ طالبٌ لا يُعجزه

هارب ولا يفوته مُقيم أقْدِموا ولا تَنْكُلوا فليس عن الموتِ مَحيص.

والذي نفسُ ابن أبي

طالب بيده إن ضَربة سيف أهونُ من مَوت الفِراش.

أيها الناس اتقوا السيوفَ بوجُوهكم والرماح بصُدوركم ومَوعدي وإياكم الرايةُ الحمراء.

فقال رجلٌ من أهل العراق: ما رأيتُ كاليوم خطيباً يَخْطبنا! يأمرنا أن نَتقي السيوفَ بوجُوهنا

والرماحَ بصُدورنا ويَعدنا رايةً بيننا وبينها مائةُ ألف سيف.

قال أبو عُبيدة في التاج: جَمعِ عليٌّ بن أبي طالب رياسةَ بكر كُلُّها يوم صِفين لحُضين بن المُنذر

بن الحارث بن وعْلة وجعل ألويتها تحت لوائه وكانت له رايةً سوداء يَخْفِق ظِلُّها إذا أقبل فلم

يُغن أحد في صِفين غَناءه.

فقال فيه عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

لمن رايةً سَواءُ يَخْفِق ظِلَّها إذ قِيل قدَّمها حُضينُ تَقدمَاُ

يقدَمُها في الصفِّ حتى يُزِيرَها حياضَ المَنايا تَقْطُر السَمَّ والدَّما

جَزى اللّه عنّي والجزاءُ بكَفَّه ربيعة خيراً ما أعفَّ وأكرما

وكان من هَمْدان في صِفين حُسن.

فقال فيهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

لهمدان أخلاقٌ ودينٌ يزينهم وبأسٌ إذا لاقَوْا وحُسْن كلام

فلو كُنتُ بوّاباً على باب جَنَّة لقلتُ لهمدان ادخُلوا بسَلام

أبو الحسن قال: كان فيُ بن أبي طالب يَخرج كلّ غداة لصفّين في سرَعان الخيل فيقف بين الصفين

ثم ينادي: يا معاوية علامَ يقتتل الناس ابرُز إلي وأبْرز إليك فيكون الأمرُ لمن غَلب.

فقال له

عمرو بن العاص: أنصفك الرجلُ.

فقال له معاوية: أردتَها يا عمرو والله لا رضيتُ عنك حتى

تُبارز عليًّا.

فبرز إليه متنكّرأ فلما غَشيه علي بالسَّيف رمى بنفسه إلى الأرض وأبدى له

سوأته فضرب عليَّ وجهَ فَرسه وانصرف عنه.

فجلس معه معاوية يوماً فنظر إليه فضحك.

فقال عمرو: أضحك الله سِنَّك ما الذي أضحكك قال: من حُضور ذهنك يوم بارزتَ عليًّا

إذ اتّقيتَه بعَورتك.

أما واللهّ لقد صادفتَ منّاناً كريماً ولولا ذلك لَخَرم رَفغَيك بالرُمح.

قال

عمرو بن العاص: أما واللّه إني عن يمينك إذ دعاك إلى البِراز فأحولت عيناك ورَبا لسَحْرُك

وبدأ منك ما أكره ذِكرَه لك.

وذكر عمرو بن العاصي عند علي بن أبي طالب فقال فيه عليّ:

عجباً لابن النابغة! يزعم أنّي بلقائه أعافِس وأمارِس أنىّ وشَرُّ القول أكذبُه إنه يَسأل فيُلحف

ويسأل فيَبخل.

فإذا أحمرّ البأس وحَمِي الوطيس وأخذت السيوفُ مأخذها من هام الرجال.

لم يكن له هثْم إلا نَزْعُه ثيابه وَيمنح الناس استه أغَضه الله وتَرحَه.

مقتل عمار بن ياسر

العُتبي قال: لما التقى الناس بصفّين نَظَر معاويةُ إلى هاشم بن عُتبة الذي يقال له: المِرْقال لقول

النبيّ صلى الله عليه وسلم: أرَّقَل لِيَمون.

وكان أعورَ والرايةُ بيده وهو يقول.

أعور يَبغي نَفْسَه محلاَّ قد عالَجِ الحياةَ حتى مَلاّ

لا بُد أن يَفُل أو يُفلا

فقال معاويةُ لعمرو بن العاص: يا عمرو هذا المر قال واللهّ لئن زَحف بالراية زَحْفاً إنه ليومُ

أهل الشام الأطْول.

ولكني أرى ابن السوداء إلى جنبه يعني عماراً وفيه عَجلة في الحرب

وأرجو أن تُقدمه إلى الهَلكة.

وجعل عمار يقول: أبا عتبة تقدّم.

فيقول: يا أبا اليقظان أنا

أعلم بالحَرْب منك دَعني أزْحف بالراية زَحْفاً.

فلما أضجره وتقدم أرسل معاويةُ خيلاً

فاختطفوا عماراً فكان يُسمَي أهلَ الشام قتلَ عمار فَتحَ الفُتوح.

أبو بكر بن أبي شيبة: عن

يزيد بن هارون عن العوّام بن حَوْشب عن أسود بن مسعود عن حَنْظلة بن خُويلد قال: إني

لجالس عند مُعاوية إذ أتاه رجلاَن يَختصمان في رأس عمار كل واحد منهما يقول: أنا قتلتُه.

فقال لهما عبدُ اللهّ بن عمرو بن العاص: لِيَطِبْ به أحدُكما نفساً لصاحبه فإني سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول له: تقتلك الفئة الباغية.

أبو بكر بن أبي عشيبة عن ابن عُلَية عن

ابن عَون عن الحسن عن أم سَلَمة قالت: سمعتُ رسولَ اللّه صلى الله عليه وسلم يقول: تقتل

عماراً الفئةُ الباغية.

أبو بكر قال: حدَثنا عليُّ بن حَفص عن أبي مَعشر عن محمد بن عُمارة

قال: ما زال جَدّي خزيمة بن ثابت كافًّا سلاحَه يوم صِفَين حتى قُتل عمّار فلما قُتل سَلّ سيفَه

وقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: تَقتل عمَّاراً الفئةُ الباغية.

فما زال يُقاتل

حتى قُتل.

أبو بكر عن غُنْدَر عن شُعبة عن عمرِو بن مُرة عن عبد اللّه بن سَلَملَمة قال: رأيتُ

عمِّاراً يومَ صِفين شيخاً آدم طُوالا أخذاً الحربةَ بيده ويدهُ ترعد وهو يقول: والذي نفسي بيده

لقد قاتلتُ بهذه الحَرْبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ مرات وهذه الرابعة.

والذي

نفسي بيده لو ضرَبونا حتِى يبلغوا بنا سَعفات هَجر لعرفتُ أنّا على حق وأنهم على باطل.

ثم

جعل يقول: صبراَ عبادَ اللّه الجنةُ تحت ظلال السيوف.

أبو بكر بن أبي شَيبة عن وَكيع عن

سُفيان عن حَبيب عن أبي البحتريّ قال:

لما كان يوم صِفين واشتدت الحربُ دعا عمَار بشَربة لبن وشَربها وقال: إن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال لي: إن آخر شرَبة تَشربها من الدنيا شربةُ لبن.

أبو ذَرْ عن محمد بن يحيى عن

محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن جَدَته أم سَلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما بَنى

رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم مسجدَه بالمدينة أمر باللَّبِن يُضرب وما يُحتاج إليه ثم قام

رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم فوَضع رداءه فلما رأى ذلك الهاجرون والأنصار وضعوا

أرديتهم وأكسيتهم يرتجزون ويقولون ويعملون:

لئن قَعدنا والنبيّ يَعملُ ذاك إذاً لعملٌ مُضلّلُ

قالت: وكان عثمان بن عفان رجلاً نظيفاً مُتنظِّفاً فكان يَحمل اللَّبنة ويُجافي بها عن ثوبه فإذا

وَضعها نفض كفّيه ونظَرَ إلى ثوبه فإذا أصابه شيء من التراب نَفَضه.

فنظر إليه علي رضي اللّه

عنه فأنشده:

وقائماً طَوْراً وطوْراً قاعدَا ومَن يُرى عن التَّراب حائدَا

فسمعها عمَّارُ بن ياسر فجعل يَرتجزها وهو لا يدري من يعني.

فَسمعه عثمانُ فقال: يا بن

سُميَّة ما أعْرَفني بمَن تُعَرِّض ومعه جريدة فقال: لتكفّن أو لأعترضنَ بها وجهَك.

فسمعه النبي

صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظِل حائط فقال: عمَّار جِلْدة ما بين عَينيّ وأنفي فمن بَلغ

ذلك منه فقد بلغ مني وأشار بيده فوَضعها بين عينيه.

فكفَّ الناسُ عن ذلك وقالوا لعمّار: إن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غَضب فيك ونخاف أن ينزل فينا قرآن.

فقال: أنا أرْضيه

كما غضب.

فأقبل عليه فقال: يا رسول اللّه مالي ولأصحابك قال: وما لك ولهم قال:

يريدون قَتلي يَحمِلون لِبنة ويَحملون على لَبِنتين.

فأخذ به وطاف به في المسجِد وجعل يمسح

وجهه من التراب ويقول: يا بن سُميّة.

لا يَقتنك أصحابي ولكن تَقتلك الفئةُ الباغية.

فلما قُتل

بصفّين ورَوى هذا الحديثَ عبدُ اللّه بن عمرو بن العاص قال معاوية: هم قتلوه لأنهم أخرجوه إلى

القتل.

فلما بلغ ذلك عليًّا قال: ونحن قَتلنا أيضاً حمزة لأنا أخرجناه.

من حرب صفين

أبو الحسن قال: كانت أيامُ صِفّين كُلها مُوافقةً ولم تكن هزيمة في أحد الفريقين إلا على حامية ثم

يَكرون.

أبو بكر بن أبي شَيبة قال: انفضت وقعة صفّين عن سَبعين ألف قَتيل خمسين ألفاً من

أهل الشام وعشرين ألفاً من أهل العراق.

ولما انصرف الناس من صِفّين قال عمرو بن العاص:

شَبَّت الحربُ فأعددتُ لها مُشْرِف الحارك مَحْبوك الثَّبَجْ

يصِل الشرّ بشّر فإذا وَثب الخيلُ من الشرّ مَعَج

جُرْشُع أعظَمُه جُفْرته فإذا ابتل من الماء خَرج

وقال عبدُ اللّه بن عمرو بن العاص:

فإن شهدتْ جُمْلٌ مَقامي ومَشْهدي بصفّين يوماً شاب منها الذوائبُ

عشيّةَ جا أهلُ العراق كأنّهم سَحابُ خريف صَفَقَتْه الجَنائبُ

إذا قلتُ قد وَلّوا سراعاً بدت لنا كتائبُ منهم وارْجَحَنت كتائب

فدارت رَحانا وِاستدارت رَحاهُم سراةَ النّهار ما تُولّى المَناكب

وقالوا لنا إنا نرى أن تُبايعوا عليًّا فقُلنا بل نَرى أن تُضاربوا

وقال السّيد الحميري وهو رأس الشيعة وكانت الشَيعة مِن تعظيمها له تلقي له وساداً بمسجِد

الكوفة:

إنّي أدينُ بما دان الوصيُّ به وشاركتْ كَفُّه كفّي بصفِّينَا

تلك الدِّماء معاً يا ربّ في عُنقِي ثم اسقني مِثلها آمين أمينا

آمين مِن مِثلهم في مِثل حالهمُ في فِتية هاجَروا في اللهّ شارِينا

ليسوا يُريدون غيرَ اللهّ ربّهمُ نِعْم المُراد توخّاه المُريدونا

وقال النّجاشي يوم صِفين وكتب بها إلى معاوية:

يِا أيها الملك المّبْدي عداوتَه انظر لنفسك أيّ الأمر تَأتَمِرُ

فإن نفَسْتَ على الأقوام مَجْدَهم فابسُط يَديك فإنّ الخيرَ مُبْتَدر

واعلم بأنّ علي الخير مِن نَفر شُمِّ العَرانين لا يَعْلوهم بَشَر

نِعْمَ الفتى أنت إلّا أنّ بينكما كَما تَفاضل ضوءُ الشّمس والقمر

وما إخالك إلا لستَ مُنْتهياً حتى ينالَك من أظفاره ظُفر

خبر عمرو بن العاص مع معاوية

سُفيان بن عُيينةَ قالت: أخبرني أبو موسى الأشعري قال: أخبرني الحسنُ قال: عَلم معاوية والله

إن لم يبايعه عمرو لن يَتم له أمر فقال له: يا عمرو اتبعني.

قال: لماذا للآخرة فواللّهِ ما مَعك

آخرة أم للدُنيا فواللّه لا كان حتى أكونَ شريكَك فيها.

قال: فأنت شريكي فيها.

قال:

فاكتُب لي مصرَ وكُوَرها.

فكتب له مصرَ وكُورها وكتب في آخرَ الكتاب: وعِلى عمرٍ و

السمعُ والطاعة.

قال عمرو: واكتب: إن السمع والطاعة لا يَنْقصان من شرْطه شيئاً.

قال

مُعاوية: لا ينظر الناس إلى هذا.

قال عمرو: حتى تكتب.

قال: فكتب واللّه ما يجد بدّاً من

كتابتها.

ودخل عتبةُ بن أبي سفيان على معاوية وهو يكلّمُ عمراً في مصر وعمرو يقول له: إنما

أبايعك بها ديني.

فقال عُتبة: ائتمِنِ الرجل بدينه فإِنه صاحبٌ من أصحاب محمد صلى الله عليه

وسلم.

وكتب عمرو إلى معاوية:

مُعاويَ لا أُعطيك دِيني ولم أنلْ به منك دُنيا فانظرَنْ كيف تَصنَعُ

وما الدينُ والدُنيا سواءٌ وإنني لآخُذ ما تُعطي ورَأسي مُقَنع

وقالوا: لما قَدِم عمرو بن العاص على معاوية وقام معه في شأن عليّ بعد أن جعل له مصر

طُعمة قال له: إن بأرضك رجلاً له شرَف واسم واللّه إنْ قام معك استهويتَ به قلوبَ

الرجال وهو عُبادة بن الصامت.

فأرسل إليه معاوية.

فلما أتاه وَسّع له بينه وبين عمرو بن

العاص فَجَلس بينهما.

فحَمد اللّهَ معاوية وأثَنى عليه وذكر فضلَ عُبادة وسابقَته وذكر فضلَ

عُثمان وما ناله وحضّه على القيام معه.

فقال عُبادة: قد سمعتُ ماِ قلتَ أتدريانِ لمَ جلستُ

بينكما في مكانكما قالا: نعم لفضلك وسابقتك وشرفك.

قال: لا واللّه ما جلستُ بينكما

لذلك وما كنتُ لأجلس بينكما في مكانكما ولكن بينما نحن نسير مع رسول اللّه صلى الله

عليه وسلم في غَزاة تَبوك إذ نظر إليكما تسيران وأنتما تتحدثان فالتفت إلينا فقال: إذا

رأيتموهما اجتمعا ففرقوا بينهما فإنهما لا يجتمعان على خير أبداً.

وأنا أنها كما عن

اجتماعكما.

فأما ما دعوتماني إليه من القيام معكما فإن لكما عدواً هو أغلظ أعدائكما وأنا

كامنٌ من ورائكم في ذلك العدوّ إن اجتمعتم على شيء دخلتُ فيه.

أمر الحكمين

أبو الحسن قال: لما كان يوم الهرير وهو أعظم يوم بصفّين زَحف أهلُ العراق على أهل الشام

فأزالوهم عن مراكزهم حتى انتهوا إلى سُرادق معاوية فدعا بالفَرس وهمّ بالهزيمة ثم التفت

إلى عمرو بن العاص وقال له: ما عندك قال: تَأمر بالمصاحف فتُرفَع في أطراف الرّماح ويقال:

هذا كتابُ اللّه يحكم بيننا وبينكم.

فلما نظر أهلُ العراق إلى المصاحف ارتدوا واختلفوا وقال

بعضُهم: نحاكمهم إلى كتاب اللهّ.

وقال بعضهم: لا نحاكمهم لأنا على يقين من أمرِنا ولسنا على

شك.

ثم أجمع رأيهُم على التحكيم.

فهمّ عليّ أن يُقدم أبا الأسود الدّؤلي فأبى الناس عليه.

فقال له ابن عباس: اجعلني أحدَ الْحَكمين فواللّه لأفتلنّ لك حبلاً لا ينقطع وسطُه ولا يُنشر

طرفاه.

فقال له عليّ: لستَ من كيدك ولاحت كيد معاوية في شيء لا أعطيه إلا السيف حتى

يَغلبه الحق.

قال: وهو واللّه لا يُعطيك إلا السيف حتى يَغلبك الباطل.

قال: وكيف ذلك قال:

لأنك تُطاع اليوم وتُعصى غداً وإنه يُطاع ولا يُعصى.

فلما انتشر عن عليّ أصحابُه قال: للّه بلاءُ

ابن عباس إنه لينظر إلى الغَيب بستر رَقيق.

قال: ثم اجتمع أصحابُ البرانس وهِم وجُوه

أصحاب عليّ على أن يقدّموا أبا موسى الأشعري وكان مُبرنساً وقالوا: لا نرضى بغيره

فقدَّمه عليٍّ.

وقدَم معاويةُ عمرو بن العاص.

فقال مُعاوية لعمرو: إنكَ قد رُميتَ برَجل طويل

اللِّسان قصير الرأي فلا تَرْمه بعَقلك كلِّه.

فأخليَ لهما مكان يجتمعان فيه فأمهله عمرو بن

العاص ثلاثةَ أيام ثم أقبل إليه بأنواع من الطعام يشهيِّه بها حتى إذا استبطن أبو موسى ناجاه

عمرو فقال له: يا أبا موسىَ إنك شيخ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذو فضْلها وذو

سابقتها وقد تَرى ما وَقعتْ فيه هذه الُأمة من الفُتنة العَمياء التي لا بقاءَ معها فهل لك أن

تكونَ ميمون هذه الأمة فَيَحْقِن الله بك دِماءَها فإنه يقول في نفس واحدة: " ومَن أحْياها فكأنما

أحْيا الناسَ جَميعاً " فكيف بمن أحيا أنفُسَ هذا الخلقِ كلّه! قال له: وكيف ذلك قال: تَخلع

أنت عليّ بن أبي طالب وأخلع أنا معاويةَ بن أبي سُفيان ونختار لهذه الأمة رجلاً لم يَحضُرْ في

شيء من الفتنة ولم يَغمِس يده فيها.

قال له: ومَن يكون ذلك وكان عمرو بن العاص قد فَهِم

رأي أبي موسى في عبد اللّه بن عُمر فقال له: عبدُ اللهّ بن عمر.

فقال: إنه لكما ذكرت ولكن

كيف لي بالوثيقةِ منك فقال له: يا أبا موسى ألا بذِكْرِ اللّهِ تطمئنُّ القلوب خُذ من العُهود

والمواثيق حتى ترضى.

ثم لم يُبق عمروِ بنُ العاص عَهداً ولا مَوْثقاً ولا يَميناً مُؤكَدة حتى حلف

بها حتى بَقيَ الشيخُ مَبهوتاً وقال له: قد أحببتُ.

فنُودي في الناس بالاجتماع إليهما

فاجتمعوا.

فقال له عمرو: قُم فاخطب الناسَ يا أبا موسى.

فقال: قُم أنت أخطبهم.

فقال:

سبحان اللّه! أنا أتقدّمك وأنت شيخ أصحابِ رسولِ اللّه صلى الله عليه وسلم والله لا فعلتُ

أبداً! قال: أو عسى في نفسك أمر فزاده أيماناً وتوكيداً.

حتى قام الشيخ فخطب الناس

فَحَمد اللّه وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني قد اجتمعتُ أنا وصاحبي على أن أخلعَ أنا علي

بن أبي طالب ويعزلَ هو معاويةَ بن أبي سفيان ونجعل هذا الأمر لعبد اللّه بن عمر فإنه لم

يَحضُرْ في فتنة ولم يَغْمِس يده في دم امرىء مسلم.

ألا وإني قد خلعتً عليَّ بن أبي طالب كما

أختلع سيفي هذا ثم خلع سيفه من عاتقه وجلس وقال لعمرو: قُم.

فقام عمرو بن العاص

فحَمد اللهّ وأثنى عليه وقال: أيها الناس إِنه كان من رأي صاحبي ما قد سمعتم وانه قد

أشهدكم أنه خَلعَ عليَّ بن أبي طالب كما يخلع سيفَه وأنا أُشهدكم أني قد أثبت معاوية بن أبي

سفيان كما أُثبت سيفي هذا وكان قد خَلع سيفَه قبل أن يقومَ إلى الخطبة فأعاده على نفسه.

فاضطرب الناسُ وخرجت الخوارج.

وقال أبو موسى لعمرو: لعنك الله! فإنّ مثلَك كمثل

الكلب إن تحمِلْ عليه يَلهثْ أو تتركه يَلْهث.

قال عمرو: لَعنك اللّه! فإنّ مثلك كمثل الحِمار يحمل

أسفاراً.

وخرِ ج أبو موسى من فَوره ذلك إلى مكةَ مُستعيذاً بها من عليّ وحلف أن لا يكلمه

أبدا.

فأقام بمكة حيناً حتى كتب إليه معاوية: سلامٌ عليك أما بعد فلو كانت النيّة تدفع

الخطأ لنجا المُجتهد وأعذر الطالب والحقّ لمن نَصب له فأصابه وليس لمن عَرض له فأخطأ.

وقد كان الحكمان إذ حكما على عليّ لم يكن له الخيار عليهما وقد اختاره القومُ عليك فاكره

منهم ما كرهوا منك وأقبل إلى الشام فإني خيرٌ لك من عليّ ولا قوة إلا باللّه.

فكتب إليه أبو

موسى: سلامٌ عليك أما بعد فإني لم يكن منّي في عليّ إلا ما كان من عمرو فيك غير أني

أردتُ بما صنعتُ ما عند الله وأراد به عمرو ما عندك.

وقد كان بيني وبينه شروط وشُورى

عن تراض فلما رجع عمرو رجعتُ.

أما قولك: إن الحكمين إذا حكما على رجل لم يكن له

الخيار عليهما.

فإنما ذلك في الشاة والبعير والدّينار والدِّرهم.

فأما أمر هذه الأمة فليس لأحد

فيما يَكره حُكم ولن يُذهب الحقَّ عجزُ عاجز ولا خُدعة فاجر.

وأما دعاؤك إياي إلى الشام

فليس لي رغبة عن حَرم إبراهيم.

فبلغ عليّاً كتابُ معاوية إلى أبي موسى الأشعري فكتب إليه:

سلام عليك أمّا بعد.

فإنك امرؤ ظلمك الهوى واستدرجك الغَرور حقّق بك حُسنَ الظن

لزومُك بيتَ اللّه الحرام غير حاجّ ولا قاطن فاستَقِل اللهّ يُقِلك فإن اللّهَ يَغفر ولا يغفل وأحبَّ

عباده إليه التوابون.

وكتبه سماك بن حَرب.

فكتب إليه أبو موسى: سلامٌ عليك.

فإنه واللّه لولا

أني خشيتُ أن يَرفعك مني منعُ الجواب إلى أعظم ممَّا في نفسك لم أُجبك لأنه ليس لي عندك

عُذر ينفعني ولا قُوّة تمنعني.

وأما قولك " ولزومي بيت اللهّ الحرام غير حاجٍ ولا قاطن " فإني

اعتزلت أهلَ الشام وانقطعت عن أهل العراق وأصبت أقواماً صغّروا من ذنبي ما عظَمتم

وعظموا من حقَي ما صغّرتم إذ لم يكن لي منكم وليّ ولا نصير.

وكان علي بن أبي طالب إذ

وجه الحَكمان قال لهما: إنما حُكْمنا كما بكتاب الله فُتحْييان ما أحيا القرآن وتُميتان ما

أمات.

فلما كاد عمرو بن العاص لأبي موسى اضطربَ الناس على عليّ واختلفوا وخرجت

لِي زلّة إليكمُ فأعتذرْ سوف أكيس بعدها وأنشَمِرْ

وأجْمع الأمر الشَتيت المنتَشِرْ

أبو الحسن قال: لما قَدِمَ أبو الأسود الدؤلي على معاوية عامَ الجماعة قال له معاوية: بلغني يا أبا

الأسود أن علي بن أبي طالب أراد أن يَجعلك أحد الحَكمين فما كنتَ تحكم به قال: لو

جعلني أحدهما لجمعتُ ألفاً من المهاجرين وأبناء المهاجرين وألفاً من الأنصار وأبناء الأنصار ثم

ناشدتُهم اللهّ: المُهاجرين وأبناء المهاجرين أولى بهذا الأمر أم الطلقاء قال له معاويةُ: لله أبوك!

أي حَكم كنتَ تكون لو حكَمت!

احتجاج علي وأهل بيته في الحكمين

أبو الحسن قال: لما انقضى أمرُ الحَكمين واختلف أصحابُ عليّ قال بعض الناس: ما مَنع أميرَ

المؤمنين أن يأمر بعضَ أهل بيته فيتكلّم فإنه لم يبق أحدٌ من رؤساء العرب إلا وقد تكلّم.

قال:

فبينما علي يوماً على المِنبر إذ التفت إلى الحسن ابنه فقال: قُم يا حسن فقل في هذين الرجلين:

عبد اللّه بن قيس وعمرو بن العاص.

فقام الحسن فقال: أيها الناس إنكم قد أكثرتم في هذين

الرجلين وإنما بُعِثا ليحكما بالكتاب على الهوى فَحكما بالهَوى على الكتاب.

ومَن كان هكذا

لم يُسَم حَكَماً ولكنه مَحكوم عليه.

وقد أخطأ عبدُ الله بن قيس إذ جعلها لعبدِ الله بن عُمر

فأخطأ في ثلاث خصال: واحدة أنه خالف أباه إذ لم يَرضه لها ولا جعله من أهل

الشُورى وأخرى أنه لم يستأمره في نفسه وثالثة أنه لم يَجتمع عليه المهاجرون والأنصار الذين

يعقدون الِإمارة ويحكمون بها على الناس.

وأما الحكومة فقد حَكم النبيّ عليه الصلاةُ والسلام

سعدَ بن مُعاذ في بني قُريظة فحَكم بما يُرضي اللهّ به ولا شكّ ولو خالف لم يَرضه رسولُ اللّه

صلى الله عليه وسلم ثم جلس.

فقال لعبد اللهّ بن عبّاس: قُمِ.

فقال عبدُ اللهّ بن عبّاس بعد

أن حَمِد اللهّ وأثنى عليه: أيها الناس إنّ للحق أهلا أصابوه بالتوفيق فالناسُ بين راض به

وراغب عنه فإنه بَعث عبدَ اللهّ بن قَيس بَهدَى إلى ضلالة وبَعث عمرو بن العَاص بضَلالَة إلى

هُدَى فلما التقيا رَجع عبدُ اللّه بن قَيس عن هُداه وثَبت عمرو على ضلاله.

وايم اللّه لئن

كانا حَكما بما سارا به لقد سار عبدُ اللّه وعليّ إمامه وسار عمرو ومعاوية إمامه فما بعد

هذا من عَيب يُنتظر فقال عليّ لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب: قُم.

فقام فَحمد اللهّ وأثنَى

عليه وقال: أيها الناس إنّ هذا الأمر كان النظر فيه إلى عليّ والرّضا إلى غيره.

فَجئتم إلى عبد

اللهّ بن قَيسِ مُبرنساً فقلتم: لا نَرضى إلا به.

وايم اللهّ ما استفدنا به عِلماً ولا انتظر نامنه

غائباَ وما نَعرفه صاحباً.

وما أفسدا بما فعلا أهلَ العراق وما أصلحا أهل الشام ولا وَضعا

حق عليّ ولا رفعا باطل معاوية ولا يُذهب الحق رُقية راق ولا نَفَحة شيطان ونحن اليوم

على ما كُنّا عليه أمس.

احتجاج عليّ على أهل النهروان

قالوا: إنّ عليًّا لما اختلف عليه أهلُ النهروان والقُرى وأصحابُ البَرانس ونَزلوا قريةً يقال لها حَرُ

وراء وذلك بعدَ وَقعَة الجمل فرجع إليهم عليٌّ بن أبي طالب فقال لهم: يا هؤلاء مَن

زعيمُكم قالوا: ابن الكَوَّاء.

قال: فَليَبرُز إليَّ.

فَخرج إليه ابنُ الكَوَاء فقال له عليّ: يا بن

الكَوَّاء ما أخرجَكم علينا بعد رضاكم بالحَكمين ومُقامكم بالكوفة قال: قاتلت بنا عدواً لا

نشك في جِهاده فزعمتَ أن قتلانا في الجنة وقَتلاهم في النار فبينما نحن كذلك إذ أرسلتَ

منافقاً وحكّمت كافراً وكان مما شَكك في أمر الله أن قُلت للقوم حين دعوتَهم: كتابُ الله بيني

وبينكم فإن قَضى فيَ بايعتُكم وإن قَضى عليكم بايعتُموني.

فلولا شكُك لم تَفعل هذا والحق في

يدك.

فقال عليّ: يا بن الكوّاء إنما الجوابُ بعد الفراغ أفرَضتَ فأُجيبك قالت: نعم.

قال

عليّ: أما قتالك معي عدوّاً لا نشكّ في جِهاده فصدقْتَ ولو شككتُ فيهم لم أُقاتلهم.

وأما

قَتلانا وقَتلاهم فقد قال اللهّ في ذلك ما يُستغنى به عن قولي وأما إرسالي المُنافق وتَحْكيمي

الكافر فأنت أرسلتَ أبا موسى مُبَرْنَساً ومعاوية حَكّم عَمْراً أتيت بأبي موسى مُبرنساً

فقلت: لا نَرضى إلا أبا موسى فهلا قام إليّ رجل منكم فقال: يا عليّ لا نُعطَى هذه الدنيّة

فإنها ضلالة.

وأما قولي لمعاوية: إن تجَرَّني إليك كتابُ اللّهِ تَبعْتُك وإنْ جَرَّك إليَ تبعتَنِي.

زعمتَ أني لم أعط ذلك إلّا من شكٍّ فقد علمتُ أنّ أوثق ما في يدك هذا الأمر فحدَّثني

ويحك عن اليهوديّ والنِّصرانيّ ومُشركي العرب أهم أقرب إلى كتاب الله أم معاوية وأهل الشام

قال: بل معاوية وأهل الشام أقرب قال عليّ: أفر سولُ الله صلى الله عليه وسلم كان أوثقَ بما في

يديه من كتاب اللهّ أو أنا قال: بل رسولُ اللّه.

قال: فرأيتَ اللّهَ تبارك وتعالى حين يقول: " قُلْ

فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتّبعه إن كنتم صادقين " أمَا كان رسولُ اللّه يَعلم أنَهَ لا

يُؤتى بكتاب هو أهدى مما في يَديه قال: بلى.

قال: فلِمَ أعطى رسولُ اللّه القومَ ما أعطاهم

قال: إنصافاً وحُجة قال: فإني أعطيت القومَ ما أعطاهم رسوِلُ اللّه.

قال ابنُ الكوَاء: فإني

اخطأتُ هذه واحدة زدْني.

قال عليّ: فما أعظمُ ما نقمتم عَلَيَّ قال: تحْكيم الحَكَمين نظرنا

في أمرنا فوجدنا تحكيمَهما شكاًّ وتَبْذيراً.

قال عليّ: فمتى سُمِّي أبو موسى حَكَماً: حين

أُرسل أو حين حَكَم قال: حين أُرسل.

قال: أليس قد سار وهو مُسلم وأنتَ ترجو أن

يَحكم بما أنزل الله قال: نعم.

قال عليّ: فلا أرى الضلالَ في إرساله.

فقال ابنُ الكوَاء: سمَي

حَكَماً حين حَكَمٍ.

قال: نعم إذاً فإرسالُه كان عَدْلاً.

أرأيتَ يا بن الكوَاء لو أنّ رسولَ اللّه

بَعث مُؤمنا إلى قوم مُشركين يدعوهم إلى كتاب الله فارتدَ على عَقبه كافراً كان يَضرُّ نبيَّ اللّه

شيئاً قال.

لا.

قال عليّ: فما كان ذَنبي أن كان أبو موسى ضَلَّ هل رضيتُ حكومته حين

حَكم أو قولَه إذ قال قال ابن الكوَاء: لا ولكنَك جعلتَ مُسلماً وكافراً يحَكمان في كتاب الله.

قال عي: ويلك يا بن الكوَاء! هل بَعث عَمْراً غيرُ معاوية وكيف أُحكَمُه وحُكْمه على ضرَب

عُنقي إنما رَضي به صاحبهُ كما رضيتَ أنت بصاحبك وقد يَجتمع المؤمن والكافر يحكمان

في أمر الله.

أرأيتَ لو أنّ رجلاً مؤمناً تزوَج يهوديَّة أو نصرانية فَخافا شِقاقاً بينهما ففَزع الناسُ

إلى كتاب الله وفي كتابِه " فابْعثُوا حَكَماً مِن أهلِه وحَكَماً مِن أهلِها " فَجاء رجلٌ من اليَهود أو

رجل من النَّصارى ورجل من المُسلمين الذين يجوز لهما أن يحكما في كتاب الله فَحَكَما قال

ابن

الكَوَّاء: وهذه أيضاً أمهِلنا حتى ننظر.

فانصرفَ عنهم عليّ.

فقال له صَعصَعة بن صُوحان:

يا أمير المؤمنين ائذن لي في كلام القوة.

قال: نعم ما لم تَبْسط يداً.

قال: فنادى صَعصعةُ ابنَ

الكَوَّاء فَخَرج إليه فقال: أنْشُدكم باللّه يا معشرَ الخارجين ألّا تكونوا عاراً على مَن يَغزو لغيره

وألاّ تَخْرجوا بأرض تُسمّوا بها بعد اليوم ولا تَستعجلوا ضلالَ العام خشيةَ ضلال عامٍ قابل.

فقال له ابنُ الكَوَّاء: إنَ صاحبك لقينا بأمرٍ قولُك فيه صغير فامسك.

قالوا: إنّ عليّاً خرج بعد

ذلك إليهم فَخَرج إليه ابنُ الكوَّاء فقال له عليّ: يا بن الكوَاء إنه مَن أذنب في هذا الدِّين ذَنباً

يكوِن في الإسلام حَدَثاً استتبناه من ذلك الذنب بعَينه وإن توَبتك أن تَعرف هُدى ما خرجتَ

منه وضلالَ ما دخلتَ فيه.

قال ابن الكوَّاء: إننا لا ننكر أنا قد فُتِنّا.

فقال له عبدُ اللّه بن عمرو

بن جُرموز: أدرَكْنا والله هذه الآية " ألم.

أحَسِبَ الناسُ أن يُتْرَكُوا أن يَقولوا آمَنَّا وهُم لا يُفتَنون "

وكان عبدُ الله من قُرّاء أهل حَرُوراء فرجعوا فصلّوا خلفَ عليّ الظهرِ وانصرفوا معه إلى

الكوفة ثم اختلفوا بعد ذلك في رَجعتهمِ ولامَ بعضهم بعضاَ.

فقال زيدُ بن عبد الله الرَّاسبي

شَكَكتم ومن أرسى ثبيراً مكانَه ولو لم تَشُكُّوا ما أنثنيتم عن الحَرْب

وتَحْكيمكم عَمراً على غير تَوْبةٍ وكان لعبد اللّه خَطْباً من الخطْبَ

فأنكَصَه للعَقْبِ لما خلا به فأصبح يَهوْى من ذُرى حالقٍ صَعْب

وقال الرَياحي:

ألم تَر أنّ اللّه أنزل حُكمَه وعَمْرٌ و وعبدُ اللّه مُخْتلفانِ

وقال مُسلم بن يزيد الثقفي وكان من عُبَّاد حَرُوراء:

إن كان ما عِبْناه عَيْباً فحسبُنا خَطايا بأخْذ النّصح من غير ناصِح

ٍإن كان عَيْباً فاعظمنَّ بتَركنا عليّاً على أمرٍ من الحقِّ واضح

نحنُ أُناسٌ بين بين وعَلَّنا سُررنا بأمرٍ غبه غيرُ صالح

ثم خرجوا عَلَى علي فقتلهم بالنهروان.

خروج عبد اللّه بن عباس على عليّ

قال أبو بكر بن أبي شيبة: كان عبدُ الله بن عباس مِن أحبّ الناس إِلى عمر بن الخطاب وكان

يُقدّمه على الأكابِر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولم يَستعمله قط فقال له يوماً:

كِدت استعملك ولكن أخشى أن تستحل الفيء على التأويل.

فلما صار الأمرُ إلى عليّ استعمله

على البصرة.

فاستحل الفيء على تأويل قول الله تعالى " واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله

خمسه وللرسول ولذي القربى " واستحلّه من قَرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورَوى

أبو مِخْنف عن سُليمان بن أبي راشد عن عبد الرحمن بن عُبيد قال: مَرَّ ابن عباس على أبي

الأسود الدُؤلي فقال له: لو كنتَ من البهائم لكنتَ جَملاً ولو كنتَ راعياً ما بلغت المَرعى.

فكَتب أبو الأسود إلى علي: أما بعد.

فإِن الله جَعلك والياً مُؤتمناً وراعياً مسؤولاً وقد بَلوناك

رحمك الله فوجدناك عظيمَ الأمانة ناصحاً للأمة تُوَفّر لهم فَيئَهم وتَكفّ نفسك عن دُنياهم

فلا تأكلُ أموالهم ولا تَرتشي بشيء في أحكامهم.

وابنُ عمّك قد أكل ما تحت يديه من غير

عِلْمك فلم يَسَعْني كتمانُك ذلك.

فانظر رحمك اللّه فيما هنالك وأكتب إليَّ برأيك فما

أحببتَ أتبعه إن شاء اللّه.

والسلام.

فكتب إليه عليّ: أما بعد.

فمثلُك نَصح الإمام والأمة

ووالَى على الحق وفارق الْجَوْر.

وقد كتبتُ لصاحبك بما كتبتَ إلي فيه ولم أُعلمْه بكتابك

إلي.

فلا تدع إعلامي ما يكون بِحضرتك مما النظرُ فيه للأمة صلاح فإنّك بذلك جَدير وهو

حق واجب للّه عليك.

والسلام.

وكتب عليّ إلى ابن عبّاس: أما بعد.

فإنه قد بلغني عنك أمرٌ

إن كنتَ فعلتَه فقد أسخطتَ الله وأخرَبتَ أمانتك وعَصيتَ إمامك وخنتَ المسلمين.

بلغني

أنك خَرّبت الأرض وأكلت ما تحت يدك.

فارفعْ إلي حسابك واعلم أنّ حسابَ الله أعظم من

حساب الناس.

والسلام.

وكتب إليه ابنُ عباس: أما بعد.

فإنّ كلَّ الذي بلغك باطلٌ وأنا لِمَا

تحت يدي ضابط وعليه حافظ فلا تُصَدَق عليَّ الظنين.

فكتب إليه عليّ: أما بعد.

فإنه لا

يَسعني تَرْكُك حتى تُعلمني ما أخذتَ من الجزْية من أين أخذتَه وما وضَعتَ منها أين وضعته.

فاتَّقِ الله فيما ائتمنتُك عليه واسترعيتُك إياهٍ فإن المَتاع بما أنت رازمُه قليل وتَبِعاتُه وبيلة لا

تَبيد.

والسلام.

فلما رأى أن عليا غيرُ مُقلع عنه كتب إليه: أما بعد.

فإنه بَلغني تعظيمُك عليَّ

مَرْزِئة مالٍ بلغك أني رزأتُه أهلَ هذه البلاد.

وايم الله لأنْ ألقى الله بما في بَطن هذه الأرض من

عِقيانها ومخبئها وبما على ظهرها من طِلاعها ذَهباً أحب إليَّ من أن ألقي اللّه وقد سَفكتُ

دماء هذه الأمة لأنالَ بذلك المُلك والإمرة.

ابعث إلى عملك مَن أحبيْتَ فإني ظاعنٌ.

والسلام.

فلما أراد عبدُ الله المسيرَ من البَصرة دعا أخوالَه بني هلال بن عامر بن صَعصعة ليمنعوه.

فَجاء

الضحاك بنِ عبد الله الهِلاليُ فأجاره ومعه رجل منهم يقال له: عبدُ الله بن رَزين.

وكان

شجاعاً بَئيساً فقالت بنو هلال: لا غنى بنا عن هَوازن.

فقالت هوازن: لا غنى بنا عن بني

سُليم.

ثم أتتهم قَيس.

فلما رأى اجتماعَهم له حَمل ما كان في بيت مال البَصرة وكان فيما

زعموا ستة آلاف ألف فَجعله في الغرائر.

قال: فحدثني الأزرق اليَشكريُ قال: سمعنا

أشياخَنا من أهل البَصرة قالوا: لما وَضع المالَ في الغرائر ثم مَضى به تَبِعَتْه الأخْماس كلها

بالطَّف على أربع فراسخِ من البَصرة فوافقوه.

فقالت لهِم قَيسِ: واللّه لا تصلوا إليه ومنا عين

تطْرف.

فقال ضمْرة وكان رأسَ الأزد: والله إنَ قيساَ لإخوتُنا في الإسلام - وجيرانُنا في

الدار وأعواننا على العدوّ.

إن الذي تَذهبون به المال لو رُدَ عليكم لكان نصيبُكم منه الأقلّ

وهم خيرٌ لكم من المال.

قالوا: فما ترى قال: انصرفوا عنهم.

فقالت بكرُ بن وائل وعبدُ

القَيس: نِعمَ الرَّأي رَأي ضَمْرة واعتزلوهم.

فقالت بنو تميم: واللهّ لا نُفارقهم حتى نقاتلَهم عليه.

فقال الأحْنَفُ بن قَيس: أنتم والله أحق ألاّ تقاتلوهم عليه وقد تَرك قتالَهم مَن هو أبعد منكم

رَحِماً.

قالوا: والله لنُقاتلنّهم.

فقال: واللهّ لا نعاونكم على قتالهم وانصرف عنهم.

فقدم عليهم

ابن المُجاعة فقاتَلهم.

فحمَل عليه الضحاكُ ابن عبد الله فَطعنه في كَتفه فصَرَعه فسقط إلى

الأرض بغير قَتل.

وحَمَل سَلمة بن ذُؤيب السَّعدي على الضّحاك فصرعه أيضاً وكثرُت بينهم

الجراح من غير قَتل.

فقال الأخْماسُ الذين - اعتزلوا: والله ما صنعتم شيْئاً.

اعتزلتم قتالهم

وتركتموهم يَتشاجرون.

فجاءوا حتى صرَفوا وجوه بَعضهم عن بعض وقالوا لبني تميم: والله إن

هذا اللُؤم قَبيح لنحن أسخى أنفساً منكم حين تركنا أموالَنا لبني عمكم وأنتم تقاتلونهم عليها

خلوا عنهم وأرواحهم فإن القومَ فُدحوا.

فانصرفوا عنهم ومَضى معه ناسٌ من قَيس فيهم

الضّحاك بن عبد اللّه وعبدُ اللّه بن رَزين حتى قدموا الحجازَ فنزل مكةَ فَجعل راجزٌ لعبد

اللّه بن عبّاس يسوق له في الطريق ويقول:

صَبّحتُ من كاظمةَ القَصرَ الخَرِبْ مع ابن عبّاس بن عبد المُطّلبْ

وجعل ابن عبّاس يرتجز ويقول:

آوِي إلى أهلِك يِا رَباب آوِي فقد حان لكِ الإيابُ

وجعلِ أيضاً يرتجز ويقول:

وهُنّ يمشين بناء.

هميساً إنْ يصْدُق الطَّيرُ نَنِك لَميسَا

فقيل له: يا أبا العبّاس أمِثلك يَرْفث في هذا الموضع قال: إنما الرفث ما يقال عند النّساء.

قال أبو محمد: فلما نزل مكةَ اشترى من عطاء بن جُبير مولى بني كعب من جواريه ثلاثَ

مولّدات حجازّيات يقال لهن: شاذن وحَوراء وفُتون.

بثلاثة آلاف دينار.

وقال سليمانُ بن أبي راشد عن عبد اللّه بن عبيد عن أبي الكَنُود قال: كنت من أعوان عبد

اللّه بالبَصرة فلما كان من أمره ما كان أتيتُ عليًّا فأخبرتُه فقال: "واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين".

ثم كتب معه إليه: أما بعد فإني كنتُ

أشْركتُك في أمانتي ولم يَكن من أهل بيتي رجل أوْثقَ عندي منك بمواساتي ومؤزرتي بأداء

الأمانة فلما رأيتَ الزَّمان قد كَلب عَلَى ابن عمك والعدوّ قد حَرِدَ وأمانةَ الناس قد خَربت

وهذه الُأمة قد فُتنت قلبتَ لابن عمك ظهر المجن ففارقتَه مِع القوم المفارقين وخَذلَته أسوأ

خِذلان وخُنته مع مَن خان.

فلا ابنَ عمكِ آسيت ولا الأمانةَ إليه أدَيتَ كأنك لم تكني على

بَينة من ربك وإنما كِدت أُمة محمد عن دُنياهم وغَدرتهم عن فَيئهم.

فلما أمكنتْك الفُرصة في

خِيانةِ الأمة أسرعتَ الغَدرة وعالجتَ الوَثْبة فاخْتَطفْتَ ما قَدرت عليه من أموالهم وَانْقلبْتَ

بها إلى الحجاز كأنك إنما حُزت عن أهلك ميراثَك من أبيك وأُمك.

سبحان اللّه! أما تُؤمن

بالمَعاد أما تخاف الحِساب! أما تَعلم أنك تأكل حراماً وتشرب حراماً! وتَشتري الإماءَ

وتنكحهم بأموال اليتامى والأرامل والمُجاهدين في سبيل الله التي أفاء الله عليهم! فاتَقِ الله وأد

إلى القوم أموالَهم فإنك والله لئن لم تَفعل وأمكنني اللّه منك لُأعذرن إلى الله فيك.

فوالله لو أنَّ

الحَسن والحسين فعلا مثلَ الذي فعلتَ ما كانت لهما عندي هَوادة ولما تركتُهما حتى أخذَ الحقَّ

منهما.

والسلام.

فكتب إليه ابن عبَّاس: أما بعد.

فقد بَلغني كتابُك تُعظم عَلي أمانة المال الذي

أصبتُ من بيت مال البَصْرة.

ولعمري إن حقّي في بيت مالك الله أكثر من الذي أخذتُ.

والسلام.

فكتب إليه عليّ: أما بعد فإن العَجب كل العجب منك إذ ترى لنفسك في بيت مال

اللهّ أكثرَ مما لرجل من المسلمين قد أفلحتَ إن كان تمنيك الباطلَ وادعاءَك مالا يكون يُنجيك

من الإثم ويُحل لك ما حَرم الله عليك.

عَمْرك الله! إنك لأنت البعيد قد بلغني أنك اتخذت

مكة وَطناً وضربتَ بها عَطناً تشتري المولّدات من المدينة والطائف وتختارهن على عينك

وتُعطي بهنّ مالَ غيرك.

وإني أقسم بالله ربه وربك ربِّ العزة ما أُحبّ أن ما أخذت من

أموالهم لي حلالاً أدعه ميراثاً لعَقبي.

فما بال اغتباطِك به تأكلُه حراماً! ضجِّ رُوَيداً.

فكأنك قد

بلغتَ المَدى وعُرضتْ عليك أعمالُك بالمَحل الذي يُنادَى فيه بالحَسرة ويَتمنّى المُضيع التَوبة

والظالم الرَّجعة.

فكتَب إليه ابنُ عبّاس: والله لئن لم تَدعني من أساطيرك لأحملنه إلى معاوية

يُقاتلك به.

فكف عنه عليّ.

مقتل علي بن أبي طالب

رضي اللّه عنه

سُفيان بن عُيينة قال: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخرج بالليل إلى المسجد.

فقال

أناسٌ من أصحابه: نخشى أن يصيبَه بعضُ عدوُه ولكن تعالوا نحرسه.

فَخرج ذات ليلة فإذا هو

بنا.

فقال: ما شأنُكم فْكتمناه.

فعَزم علينا.

فأخبرناه.

فقال: تحْرسُوني مِن أهل السماء أو

من أهل الأرض قلنا: من أهل الأرض.

قال: إنه ليس يقضى في الأرض حتى يُقضى في

السماء.

التميميَّ بإسناد له قال: لما تواعَد ابنُ مُلْجَم وصاحباه بقَتل عليّ ومعاوية وعمرو بن

العاص دخَل ابنُ مُلجم المسجدَ في بُزوغ الفجر الأول فدخل في الصلاةِ تطوُّعاً ثم افتتح في

القراءة وجعل يُكرِّر هذه الآية " ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ".

فأقبل ابنُ أبي

طالب بيده مخْفَقة وهو يُوقظ الناس للصلاة ويقول: أيها الناسِ الصلاة الصلاة.

فمرّ بابن مُلْجَم

وهو يردّد هذه الآية فظن عليّ أنه ينسى فيها ففتح عليه فقال: واللهّ رَؤوف بالعبادِ.

ثم

انصرف علِيّ وهو يريد أن يدخل الدار فاتبعه فضَربه على قَرْنه ووقع السيف في الجدار

فأطار فِدْرة من آخره فابتدره الناس فأخذوه ووقع السيف منه فجعل يقوِلَ: أيها الناس

احذروا السيفَ فإنه مَسموم.

قال: فأُتي به عليّ فقال: احبِسوه ثلاثاً وأطعموه واسقُوه فإن

أعش أر فيه رَأي وإنْ أمت فاقتُلوه ولا تمثّلوا به.

فمات من تلك الضرِبة.

فأخذه عبدُ اللّه بن

جعفر فقَطع يديه ورجليه فلم يَفزع ثم أراد قطعَ لسانه ففزع.

فقيل له:ِ لم لَم تَفْزع لقطع يديك

ورِجْليك وفزعت لقَطْع لسانك قال: إني أكره أن لا تَمُر بي ساعة لا أذْكر اللّه فيها.

ثم قطعوا

لسانه وضربوا عُنقه.

وتوجّه الخارجيّ الآخرَ إلى معاوية فلم يجد إليه سبيلاً.

وتَوخه الثالث إلى

عمرو فوجده قد أغفل تلك الليلة فلم يَخْرج إلى الصلاة وقدم مكانه رجلاً يقال له خارجة

فضَربه الخارجيّ بالسيف وهو يظنه عمرو بن العاص فقتلَه.

فأخذه الناسُ فقالوا: قتلتَ

خارجة.

قال: أو ليس عمراً قالوا له: لا.

قال: أردتُ عمراً وأراد اللّه خارجة.

وفي

الحديث: أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال لعلي: ألا أُخبرك بأشدّ الناس عذاباً يوم القيامة

قال: أخبرني يا رسول الله.

قال: فإن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عاقرُ ناقة ثمود وخاضبُ

لْحِيتك بدم رأسك.

وقال كُثير عَزّة:

ألا إن الأئِمة من قُريش وُلاة العَهْد أربعةٌ سواءُ

علي والثلاثةُ من بَنِيه همُ الأسباط ليس بهمِ خَفاء

وسِبْط لا يَذُوق الموتَ حتى يَقُودَ الخيلَ يَقدمها الَلواء

تَغيْب لا يُرى عنهم زماناً برَضْوى عنده عَسَل وماء

قال الحسن بن عليّ صبيحة الليلة التي قتل فيها في بن أبي طالب رضي الله

عنه: حدِّثني أبي البارحة في هذا المسجد فقال: يا بني إني صلّيت البارحة ما رزق اللهّ ثم

نمت نومة فرأيت رسولَ اللهّ صلى الله عليه وسلم فشكوتُ له ما أنا فيه من مخالفة أصحابي

وقلِة رَغْبتهم في الجهاد فقال لي: ادْع اللّه أن يُريحك منهم فدعوت اللّه.

وقال الحسنُ صبيحةَ

تلك الليلة: أيها الناس إنه قتل فيكم الليلة رجلٌ كان رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم يبعثه

فيَكْتنفه جبريلُ عن يمينه وميكائيلُ عن يساره فلا يَنثني حتى يَفْتح الله له ما ترك إلا ثلثَمائة

درهم.

خلافة الحسن بن علي

ثم بُويع للحسن بن عليّ.

وأُمّه فاطمة بنت رسوله الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان

سنة أربعين من التاريخ فكتب إليه ابنُ عباس: إن الناس قد ولوك أمرَهم بعد عليّ فاشدُد

عن يمينك وجاهد عدوَك واستُر من الظنين ذنبه بما لا يَثْلم دينك واستعمل أهلَ البيوتات

تَسْتصلح بهم عشائرَهم.

ثم اجتمع الحسنُ بن علي ومعاوية بمَسكن من أرض السَّواد من ناحية

الأنبار واصطلحا وسلمَ الحسنُ الأمرَ إلى معاوية وذلك في شهر جمادى الأولى سنة إحدى

وأربعين ويسمى عام الجماعة.

فكانت ولاية الحسن سبعةَ أشهر وسبعة أيام ومات الحسنُ في

المدينة سنة تِسْع وأربعين وهو ابن ست وأربعين سنة.

وصلى عليه سعيدُ بن العاص وهو

والي المدينة.

وأوصى أن يُدفن مع جدّه وفي بيت عائشة فمنعه مروانُ بن الحكم فردوه إلى

البقيع.

وقال أبو هريرة لمروان: علامَ تمنع أن يُدفن مع جده فلقد أشهدُ أني سمعتُ رسول اللّه

صلى الله عليه وسلم يقول: الحسنُ والحُسين سيدا شباب أهل الجنة.

فقال له مروان: لقد ضيع

الله حديثَ نبيه إذ لم يَرْوِه غيرك.

قال: أما إنك إذ قلت ذلك لقد صحبتُه حتى عرفتُ مَن

أحبَّ ومن أبغضَ ومن نَفيِ ومن أقر ومن دعا له ومن دعا عليه.

ولما بلغ معاويةَ موتُ الحسن

بن علي خر ساجداً لله ثم أرسل إلى ابن عباس وكان معه في الشام فعزاه وهو مُستبشر

وقال له: ابن كم سنة مات أبو محمد فقال له: سنِه كان يُسمع في قُريش فالعجب من أن يجهله

مثلُك! قال: بلغني أنه ترك أطفالاً صغاراً.

قال: كُل ما كان صغيراً يَكْبُر وإن طِفْلَنَا لكَهْل وإن

صغيرَنا لكَبير.

ثم قال: مالي أراك يا معاويةُ مُستبشراً بموت الحسن ابن علي فوالله لا ينْسأ في

أجلك ولا يَسُد حُفرتك وما أقَل بقاءَك وبقاءَنا بعده.

ثم خرج ابنُ عباس فبعث إليه معاوية

ابنَه يزيد فقعد بين يديه فعزّاه واستعبر لموت الحَسن فلما ذهب أتبعه ابنُ عباس بَصره وقال:

إذا ذهب آل حَرب ذَهب الْحِلم من الناس.

ثم اجتمعِ الناسُ على معاوية سنةَ إحدى وأربعين

وهو عام الجماعة فبايعه أهلُ الأمصار كلها وكتب بينه وبين الحَسن كتاباً وشروطاً ووصله

بأربعين ألفا.

وفي رواية أبي بكر بن أبي شَيبة أنه قال له: واللّه لأجيزنك بجائزة ما أجزتُ بها

أحداً فبلك ولا أجيز بها أحداً بعدك فأمر له بأربعمائة ألف.

خلافة معاوية

هو معاوية بن أبي سفيان بن حَرب بن أُمية بن عبد شَمس بن عبد مناف.

وكُنيته أبو عبد

الرحمن وأُمه هند بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

ومات مُعاوية بدمشق

يوم الخميس لثمانٍ بقين من رجب سنة ستّين وصلى عليه الضحَاك بن قَيس وهو ابنُ ثلاث

وسبعين سنة ويقال ابن ثمانين سنة.

كانت ولايتَه تسع عشرةَ سنة وتسعة أشهر وسبعة وعشرين

يوماً.

صاحب شرطته يزيد بن الحارث العَبْسي.

وعلى حَرَسه - وهو أود من اتخذ حرساً -

رجل من الموالي يقال له المختار.

وحاجبُه سعد مولاه.

وعلى القضاء أبو إدريس الخَوْلاني.

وولد له عبدُ الرحمن وعبد اللّه مات فاختة بنت قرظة.

أما عبدُ الرحمن فمات صغيراً وأما

عبدُ اللّه فمات كبيراً وحنان ضعيفاً ولا عقب له من الذكور.

وكان له بنت يقال لها عاتكة

تزوّجها يزيدُ بن عبد الملك وفيها يقول الشاعر.

يا بيتَ عاتكة الذي أتعزَلُ حَذَر العدا وبه الفؤادُ مُوَكَّلُ

ويزيدُ بن معاوية وأُمه ابنة بَحْدل كَلْبية.

فضائل معاوية

ذكر عمرو بنُ العاص معاوية فقال: احذروا قرْم قريش وابنَ كريمها مَن يضحك عند الغضب

ولا ينام إلا على الرِّضا ويَتناول ما فوقه من تحته.

سُئل عبد اللّه بن عبُّاس عن معاوية فقال:

سَما بشيء أسرة واستظهر عليه بشيء أعلنه فحاول ما أسرَّ بما أعلن فنالَه.

كان حِلْمه قاهراً

لغَضبه وجُوده غالباً على مَنْعه يصل ولا يَقطع ويجمع وِلا يفرِّق فاستقام له أمره وجرى إلى

مُدَّته.

قيل: فأخبرنا عن ابنه.

قال: كان في خير سَبيله وكان أبوه قد أحكمه وأمره ونَهاه

فتعلّق بذلك وسَلك طريقاً مُذللا له.

وقال معاوية: لم يكن في الشَّباب شيء إلا كان مني فيه

مُستمتع غير أني لم أكن صُرَعةً ولا نُكَحة ولا سِبّاً.

قال الأصمعي: الحب: كثير السباب: ميمون

بن مِهرْان قال: كان أوّلَ من جَلس بين الخُطبتين معاويةُ وأوّلَ من وَضع شرفَ العطاء ألفين معاوية

وقال معاوية: لا زلتُ أطمع في الخلافة منذ قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: يا معاوية

إذا ملكتَ فأحْسن.

العُتْبي عن أبيه قال: قال معاوية لقُريش: ألا أخبركم عني وعنكم قالوا:

بلى.

قال: فأنا أطير إذا وقعتم وأقع إذا طِرْتم ولو وافق طَيراني طيرانَكم سَقَطنا جميعاً.

قال

معاوية: لو أن بيني وبين الناس شَعرة ما انقطعت أبداً.

قيل له: وكيف ذلك قال: كنت إذا

مدوها أرخيتها ماذا أرْخوها مددتها.

وقال زياد: ما غلبني أميرُ المؤمنين معاويةُ قَط إلا في أمر

واحد طلبتُ رجلاً منة عُمالي كَسر عليّ الخِراج فلجأ إليه فكتبتُ إليه: إن هذا فساد عَملي

وعملك.

فكتب إلي: إنه لا ينبغي لنا أن نَسوس الناسَ سياسةً واحدة لا نلين جميعاً فيمرحَ

الناسُ في المَعصية ولا نَشتد جميعاً فنَحملَ الناسَ على المَهالك ولكن تكون أنت للشدة

والفَظاظة والغِلظة وأكون أنا للرأفة والرحمة.

أخبار معاوية

قدم معاويةُ المدينةَ بعد عام الجماعة فدخل دارَ عثمان بن عفّان فصاحت عائشة بنت

عثمان وبكت ونادت أباها.

فقال معاوية: يا ابنة أخي إنّ الناس أعْطَوْنا طاعةً وأعطيناهم

أماناً وأظهرنا لهِم حِلْماً تحته غَضب وأظهروا لنا ذُلّاً تحته حِقْد ومع كل إنسان سيفُه ويرى

موضع أصحابه فإن نكثناهم نكثوا بنا ولا ندري أعلينا تكون أمْ لنا.

لأن تكوني ابنةَ عمِّ أمير

المؤمنين خيرٌ من أن تكوني امرأة من عُرض الناس.

القَحْذَميّ قال: لما قَدم معاويةُ المدينة قال: أيها الناس إنّ أبا بكر رضي الله عنه لم يُرد الدنيا

ولم تُرده وأما عمر فأرادتْه ولم يُردها وأما عثمان فنال منها ونالتْ منه وأما أنا فمالتْ بي

وملتُ بها وأنا ابنُها فهي أُمي وأنا ابنُها فإن لم تَجدوني خيركم فأنا خيرٌ لكم.

ثم نزل.

قال

جُويرية بن أسماء.

نال بُسْرُ بن أرطأة مِن عليّ بن أبي طالب عند معاوية وزيدُ بن عمر بن

الخطاب جالس فعلا بُسْراً ضرباً حتى شَجّه.

فقال معاويةُ: يا زيد عمدتَ إلى شيخ قُريش

وسيّد أهل الشام فضربتَه! وأقبل على بُسْر وقال: تَشتم عليا وهو جدُه وأبوه الفاروق على

رؤوس الناس! أفكنتَ تراه يَصبر على شَتْم عليّ! وكانت أمَ زيد أمُ كُلثوم بنت علي بن أبي

طالب.

ولما قدم معاويةُ مكةَ وكان عمر قد استعمله عليها دخل على أُمه هِنْد فقالت له: يا

بني.

إنه قلما وَلدت حُرة مثلَك وقد استعملك هذا الرجل فاعمل بما وافقه أحببت ذلك أم

كرهتَه.

ثم دخل على أبيه أبي سفيان فقال له: يا بني.

إن هؤلاء الرهط من المُهاجرين سَبقونا

وتأخرنا فرفعهم سبقُهم وقصر بنا تأخيرُنا فصرْنا أتباعاً وصاروا قادةً وقد قلّدوك جَسيماً

من أمرهم فلا تُخالفن رأيَهم فإنك تَجري إلى أمد لم تَبلغه ولو قد بلغتَه لتنفست فيه.

قال

معاوية: فعجبت من اتفاقهما في المعنى على اختلافهما في اللفظ.

العتبي عن أبيه: أن عمر بن

الخطاب قَدِمِ الشام على حِمار ومعه عبدُ الرحمن بن عوف على حِمار فتلقاهما معاوِيةُ في

موكب نبيل فجاوز عمرَ حتى أُخبر فرجع إليه فلما قَرُب منه نزل فأعرض عنه عمر فجعل

يمشي إلى جنبه راجلاً.

فقال له عبدُ الرحمن بن عوف: أتعبتَ الرجل.

فأقبل عليه عمر فقال: يا

معاوية أنت صاحبُ الموكب آنفاً مع ما بلغني من وقُوف ذوي الحاجات ببابك قال: نعم يا

أمير المؤمنين.

قال: ولم ذلك قال: لأنا في بلاد لا يُمتنع فيها من جواسيس العدوّ فلا بُدّ لهم مما

يُرهبهم من هيبة السلطان فإن أمرتَني بذلك أقمتُ عليه وإن نهيتني عنه انتهيت.

قال: لئن كان

الذي قلتَ حقاً فإنه رأيُ أريب ولئن كان باطلًا فإنها خُدعة أحب ولا أمرك به ولا أنهاك

عنه.

فقال عبدُ الرحمن بن عوف: لحسن ما صدر من هذا الفتى عما أوردتَه فيه.

قال: لحسن

مَصادرهِ وموارده جشّمناه ما جشمناه.

وقال معاوية لابن الكَوّاء: يا بن الكواء أنشدك اللّه ما

عِلْمُك فيَّ قال: أنشدَتَني اللّه! ما أعلَمُكَ إلا واسع الدُّنيا ضيق الآخرة.

ولما مات الحسنُ بن

عليّ حَجّ معاوية فدخل المدينة وأراد أن يَلْعن عليًّا على مِنبر رسول الله صلى عليه وسلم.

فقيل له: إن هاهنا سعدَ بن أبي وقاص ولا نراه يرضى بهذا فابعث إليه وخُذ رأيه.

فأرسل

إليه وذكر له ذلك.

فقال: إن فعلت لأخرُجن من المسجد ثم لا أعود إليه.

فأمسك معاوية عن

لعنه حتى مات سعد.

فلما مات لَعنه عَلَى المنبر وكتب إلى عماله أن يَلعنوه على المنابر

ففعلوا.

فكتبتْ أم سَلمة زوج النبيّ صلى عليه وسلم إلى معاوية: إنكم تلعن اللّه ورسولَه على

منابركم وذلك أنكم تلعنون عليّ بن أبي طالب ومن أحبّه وأنا أشهد أن اللّه أحبَّه ورسولَه

فلم يلتفت إلى كلامها.

وقالت بعضُ العلماء لولده: يا بني إن الدنيا لم تَبْن شيئاً إلا هَدمه الدِّين

وإنّ الدين لم يبْن شيئاً فهدمتْه الدنيا ألا ترى أنّ قوماً لعنوا عليّا ليخْفِضوا منه فكأنما أخذوا

بناصيته جرّاً إلى السماء.

ودخل صعصعة بن صُوحان على مُعاوية ومعه عمرو بن العاص

جالسٌ على سريره فقال: وَسِّع له على تُرابيّة فيه.

فقال صعصعةُ: إني واللّه لتُرابيّ منه

خُلقت وإليه أعود ومنه أبعث وإنك لمارج من مارج من نار.

العُتبي عن أبيه قال قال معاويةُ

لعمرو بن العاص: ما أعجبُ الأشياء قال غَلبة مَن لا حقَّ له ذا الحقّ على حقه.

قال معاوية:

أعجبُ من ذلك أن يُعطى من لا حق له ما ليس له بحق من غير غَلبة.

وقال معاويةُ: أُعنت

على عليّ بأربعة كنت أكتم سري وكان رجلاً يُظهِره وكنتُ في أصلح جند وأطوعه وكان في

أخْبَث جُند وأعْصاه وتركتُه وأصحابَ الجمل وقلتُ: إن ظَفروا به كانوا أهونَ علي منه وإن

ظَفِر بهم اغتر بها في دِينه وكنتُ أحب إلى قُريش منه.

فيالك مِن جامع إلي ومُفرق عنه!

العتبي قال: أراد معاوية أن يقدم ابنه يزيد على الصائفة فكره ذلك يزيد فأبى معاوية إلى أن

يفعل فكتب إليه يزيد يقول:

نجيٌّ لا يزال يعد ذنباً لتقطع وصل حبلك من حبالي

فيوشك أن يريحك من أذاتي نزولي في المهالك وارتحالي

وتجهز للخروج فلم يتخلف عنه أحد حتى كان فيمن خرج أبو أيوب الأنصاري صاحب النبي

صلى الله عليه وسلم

قال العتبي: وحدثني أبو إسحاق إبراهيم قال: أرسل معاوية إلى ابن عباس قال: يا أبا العباس

إن أحببت خرجت مع ابن أخيك فيأنس بك ويقربك وتشير عليه برأيك.

ولا يدخل الناس بينك

وبينه فيشغلوا كل واحد منكما عن صاحبه.

وأقل من ذكر حقك فإنه إن كان لك فقد تركته

لمن هو أبعد منا حبّاً وإن لم يكن لك فلا حاجة بك إلى ذكره مع أنه صائر إليك وكل آت

قريب ولتجدن إذا كان ذلك خيراً لكم منا.

فقال ابن العباس: والله لئن عظمت عليك النعمة في نفسك لقد عظمت عليك في يزيد وأما ما

سألتني من الكف عن ذكر حقي فإني لم أغمد سيفي وأنا أريد أن أنتصر بلساني.

ولئن صار

هذا الأمر إلينا ثم وليكم من قومي مثلي كما ولينا من قومك مثلك لا يرى أهلك إلا ما يحبون.

قال: فخرج يزيد فلما صار على الخليج ثقل أبو أيوب الأنصاري فأتاه يزيد عائداً فقال: ما

حاجتك أبا أيوب فقال: أما دنياكم فلا حاجة لي فيها ولكن قدمني ما استطعت في بلاد

العدو فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يدفن عند سور القسطنطينية رجلٌ

صالح أرجو أن أكون هو.

فلما مات أمر يزيد بتكفينه وحمل على سريره ثم أخرج الكتائب.

فجعل قيصر يرى سريراً يحمل والناس يقتتلون.

فأرسل إلى يزيد: ما هذا الذي أرى قال:

صاحب نبينا وقد سألنا أن تقدمه في بلادك ونحن منفذون وصيته أو تلحق أرواحنا بالله.

فأرسل إليه: العجب كل العجب: كيف يدهى الناس أباك وهو يرسلك فتعمد إلى صاحب

نبيك فتدفنه في بلادنا فإذا وليت أخرجناه إلى الكلاب! فقال يزيد: إني والله ما أردت أن

أودعه بلادكم حتى أودع كلامي آذانكم فإنك كافر بالذي أكرمت هذا له لئن بلغني أنه نبش

من قبره أو مثل به لا تركت بأرض العرب نصرانياً إلا قتلته ولا كنيسة إلا هدمتها.

فبعث إليه

قيصر: أبوك كان أعلم بك فوحق المسيح لأحفظته بيدي سنةً.

فلقد بلغني أنه بني على قبره قبة

يسرج فيها إلى اليوم.

طلب معاوية البيعة ليزيد

أبو الحسن المدائني قال: لما مات زياد وذلك سنة ثلاث وخمسين أظهر معاوية عهداً مفتعلاً

فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد بعده وإنما أراد أن يسهل بذلك بيعة يزيد.

فلم يزل

يروض الناس لبيعته سبع سنين ويشاور ويعطى الأقارب ويداني الأباعد حتى استوثق له من

أكثر الناس.

فقال لعبد الله بن الزبير: ما ترى في بيعة يزيد قال: يا أمير المؤمنين إني أناديك ولا

أناجيك إن أخاك من صدقك فانظر قبل أن تتقدم.

وتفكر قبل أن تندم فإن النظر قبل

التقدم والتفكر قبل التندم.

فضحك معاوية وقال: ثعلب رواغ تعلمت السجع عند الكبر في

دون ما سجعت به على ابن أخيك ما يكفيك.

ثم التفت إلى الأحنف فقال: ما ترى في بيعة

فلما كانت سنة خمس وخمسين كتب معاوية إلى سائر الأمصار أن يفدوا عليه.

فوفد عليه من

كل مصر قومُ.

وكان فيمن وفد عليه من المدينة محمد بن عمرو بن حزم فخلا به معاوية وقال

له: ما ترى في بيعة يزيد فقال: يا أمير المؤمنين ما أصبح اليوم على الأرض أحدٌ هو أحب إلي

رشداً من نفسك سوى نفسي وإن يزيد أصبح غنياً في المال وسيطاً في الحسب وإن الله

سائل كل راع عن رعيته فاتق الله وانظر مَن تولى أمرَ أمة محمد.

فأخذ معاويةَ بَهْر حتى

تنفّس الصُعداء وذلك في يوم شات ثم قال: يا محمد إنك امرؤ ناصحٌ قلت برأيك ولم يكن

عليك إلا ذاك.

ثم قال معاوية: إنه لم يَبق إلا ابني وأبناؤهم فابني أحبّ إليّ من أبنائهم اخرُج

عني.

ثم جلس معاويةُ في أصحابه وأذن للوفود فدخلوا عليه وقد تقدَّم إلى أصحابه أن يقولوا

في يَزيد فكان أوَّلَ من تكلَّم الضحاكُ بن قيس فقال: يا أميرَ المؤمنين إنه لا بُد للناس مِن والٍ

بعدك والأنفس يُغْدَى عليها ويَراح.

وإن اللّه قال: كُلّ يومٍ هو في شَان.

ولا ندري ما يختلف به

العصرْان ويزيدُ ابن أمير المؤمنين في حُسن مَعْدِنه وقَصْد سيرته من أفضلنا حِلما وأحكمنا

عِلماً فولّه عهدك واجعله لنا عَلماً بعدك.

وإنّا قد بَلَونا الجماعةَ والُألفة فوجدناه أحقن للدماء

وآمَن للسُّبل وخيراً في العاجلة والآجلة.

ثم تكلَّم عمرو بن سَعيد فقال: أيها الناس إن يزيدَ أملٌ

تأمُلونه وأجل تأمنونه طويل الباع رَحْب الذراع إذا صِرْتم إلى عَدله وَسِعكم وإِن طلبتم

رِفْده أغناكم جَذَع قارح سُوبق فسَبق ومُوجِد فمَجَد وقُورعِ ففَرع خلف من أمير المؤمنين

ولا خَلف منه.

فقال: اجلس أبا أمية فلقد أوسعت وأحسنت.

ثم قام يزيد بن المُقفّع فقال:

أمير المؤمنين هذا وأشار إلى معاوية فإن هلك فهذا وأشار إلى يزيد فمن أي فهذا وأشار

إلى سيفه.

فقال معاوية: اجلس فإنك سيّد الخطباء.

ثم تكلم الأحنف بن قيس فقال: يا أميرَ

المؤمنين أنت أعلم بيزيد في ليله ونهاره وسره وعَلانيته ومَدخله ومَخرجه فإن كنت تَعلمه لله

رضا ولهذه الأمة فلا تُشاور الناسَ فيه وإن كنت تعلم منه غيرَ ذلك فلا تُزوّده الدنيا وأنت

تذهب إلى الآخرة.

قال: فتفرّق الناس ولم يذكروا إلا كلامَ الأحنف.

قال: ثم بايع الناسُ ليزيد بن

معاوية فقال رجل وقد دُعي إلى البيعة: اللهم إني أعوذ بك من شر معاوية.

فقال له معاوية:

تَعوذ من شر نفسك فإنه أشدّ عليك وبايعْ.

قال: إني أبايع وأنا كاره للبَيعة.

قال له معاوية:

بايع أيها الرجل فإن الله يقول: " فعَسى أن تَكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ".

ثم كتب إلى

مروان بن الحكم عامِله على المدينة: أن ادْعُ أهلَ المدينة إلى بيَعة يزيد فإن أهل الشام والعِراق

قد بايعوا.

فخطبهم مروان فحضّهم على الطاعة وحَذّرهم الفِتنة ودعاهم إلى بيَعة يزيد وقال:

سُنه أبي بكر الهادية المهْديَة.

فقال له عبدُ الرحمن بن أبي بكر: كذبْتَ! إن أبا بكر ترك الأهل

والعشيرة وبايع لرجل من بني عَدي رضي دينَه وأمانته واختاره لُأمة محمد صلى الله عليه

وسلم.

فقال مروان: أيها الناس إن هذا المُتكلم هو الذي أنزل اللّه فيه: " والذي قالَ لوالدَيْه أُفٍّ لكما أتعِدَانني أن أُخْرَج وقد خَلَت القُرونُ من قَبلي ".

فقال له عبدُ الرحمن: يا بن الزرقاء أفينا

تتأوَل القرآن! وتكلّم الحُسين بن علي وعبدُ الله بن الزبير وعبدُ الله بن عمرَ وأنكروا بيعةَ يزيد

وتفرّق الناس.

فكتب مروان إلى معاوية بذلك.

فخرج معاويةُ إلى المدينة في ألف فلما قَرُب

منها تلقَاه الناس فلما نظر إلى الحُسين قال: مرحباً بسيّد شباب المسلمين قرّبوا دابّةً لأبي عبد

اللهّ.

وقال لعبد الرحمن بن أبي بكر: مرحبَاَ بشيخ قريش وسيّدها وابن الصدّيق.

وقال لابن

عمر: مرحباً بصاحب رسول الله وابن الفاروق.

وقال لابن الزُبير: مرِحباً بابن حواريّ رسول

اللّه صلى الله عليه وسلم وابن عمته ودعا لهم بدواب فَحملهم عليها.

وخرج حتى أتى مكة

فقضى حَجَّه ولما أراد الشُّخوص أمر بأثقاله فقدِّمت وأمر بالمِنبر فقرب من الكعبة وأرسل إلى

الحُسين وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن الزُبير فاجتمعوا.

وقالوا لابن الزبير: اكفنا كلامه

فقال: علَى أن لا تُخالفوني.

قالوا: لك ذلك ثم أتوا معاويةَ فرحّب بهم وقال لهم: قد علمتم

نَظري لكم وتَعطُّفي عليكم وصِلتي أرحامَكم ويزيدُ أخوكم وابنُ عَمكم وإنما أردتُ أن

أُقدمه باسم الخلافة وتكونوا أنتم تأمرِون وتَنْهون.

فسكتوا وتكلّم ابنُ الزبير فقال: نخيرك بينِ

إحدى ثلاث أيّها أخذت فهي لك رغبة وفيها خِيار: فإن شئت فاصنع فينا ما صنع رسولُ

الله صلى الله عليه وسلم قَبضه الله ولم يَسْتخلف فدع هذا الأمرَ حتى يختارَ الناسُ لأنفسهم

وإن شئت فما صنع أبو بكر عَهد إلى رجل من قاصية قُريش وتَرك مِن ولده ومن رهطه

الأدْنين مَن كان لها أهلاً وإن شئت فما صَنع عمر صيرها إلى ستة نفر من قُريش يختارون

رجلاً منهم وترك ولده وأهلَ بيته وفيهم من لو وَليها لكان لها أهلَا.

قال معاوية: هل غيرُ هذا

قال: لا.

ثم قال للآخرين: ما عندكم قالوا: نحن على ما قال ابنُ الزبير.

فقال معاوية: إني

أتقدّم إليكم وقد أعذر من أنذر إني قائل مقالة فأُقسم باللهّ لئن رَدّ عليَّ رجلٌ منكم كلمة

في مَقامي هذا لا تَرْجع إليه كَلِمته حتى يُضرب رأسُه فلا ينظر امرؤ منكم إلا إلى نفسه ولا

يُبقى إلا عليها.

وأمر أن يقوم على رأس كُلِّ رجل منهم رجلاًن بسَيفيْهما فإن تكلّم بكلمة يَرُدّ

بها عليه قولَه قتلاه.

وخرج وأخرجهم معه حتى رَقي المِنبر وحَفّ به أهل الشام واجتمع

الناسُ فقال بعد حمد اللّه والثناء عليه: إنا وجدنا أحاديث الناس ذاتَ عَوار قالوا: إن حَّسيناً

وابن أبي بكر وابن عمرِ وابن الزّبير لم يُبايعوا ليزيد وهؤلاء الرهط سادةُ المسلمين وخيارُهم لا

نبرم أمراً دونهم ولا نقضي أمراً إلا عن مشورتهم وإني دعوتُهم فوجدتهم سامعين مُطيعين

فبايعوا وسَلّموا وأطاعوا.

فقال أهلُ الشام: وما يَعْظُم من أمر هؤلاء ائذن لنا فنضربَ أعناقهم

لا نرضى حتى يُبايعوا علانيةً! فقال معاوية: سبحان اللهّ! ما أسرعَ الناسَ إلى قُريش بالشرّ

وأحلى دماءَهم عندهم! أنصتوا فلا أسمع هذه المقالة من أحد.

ودعا الناسَ إلى البيعة

فبايعوا.

ثم قربت رواحله فركب ومضى.

فقال الناس للحُسين وأصحابه: قلتم: لا نُبايع فلما

دُعيتم وأُرضيتم بايعتم! قالوا لم نَفعل.

قالوا: بلى قد فعلتم وبايعتم أفلا أنكرتم! قالوا: خِفنا

القتل وكادكم بنا وكادنا بكم.

وفاة معاوية

عن الهيثم بن عديّ قال: لما حَضرت معاويةَ الوفاةُ ويزيدُ غائب دعا الضحاكَ بن قيس

الفِهريَّ ومُسلم بن عُقبة المُرّيِّ فقال: أبلغا عنّي يزيد وقُولا له: انظُر إلى أهل الحِجاز فهم أصلُك

وعِتْرتك فمن أتاك منهم فأكرمه ومَن قَعد عنك فتعاهدْه.

وانظر أهلَ العراق فإن سألوك عَزْل

عامل في كل يوم فاعْزِله فإنّ عَزْلَ عامل واحد أهونُ من سَلِّ مائة ألف سيف ولا تَدري على

من تكون الدائرة ثم انظر إلى أهل الشام فاجعلهم الشِّعار دون الدَثار فإن رابك من عدوّك

رَيْب فارمه بهم ثم اردُد أهلَ الشام إلى بَلدهم ولا يُقيموا في غيره فيتأدّبوا بغير أدبهم.

لستُ

أخاف عليك إلا ثلاثة: الحُسينَ بن عليّ وعبدَ الله بن الزّبير وعبدَ اللّه بن عمر.

فأما الحُسين بن

عليّ فأرجو أن يَكفيكه اللّه فإنه قَتل أباه وخَذل أخاه وأما ابنُ الزُبير فإنه خَبّ ضَبّ وإن

ظَفرت به فقَطِّعه إرْباً إرْباً وأما ابنُ عمر فإنه رجل قد وَقذه الورع فخل بينه وبين آخرته

يُخل بينك وبين دُنياك.

ثم أخرج إلى يزيدَ بريداً بكتاب يَستقدمه ويستحثّه.

فخرج مُسرعاً.

فتلقاه يزيد فأخبره بموت مُعاوية فقال يزيد:

جاء البريدُ بقرطاس يَخُبّ به فأوجَس القلبُ من قرطاسه فَزَعَا

قُلنا لك الويلُ ماذا في صَحيفتكم قالوا الخليفةُ أمسى مُثْبَتاً وَجِعا

فمادت الأرضُ أو كادت تَميد بنا كأنّ أغبرَ من أركانها انقلعا

ثم انبعَثنا إلى خوصٍ مُزممة نرمي العَجاج بها ما نأتلي سرعا

فما نُبالي إذا بَلغْن أرْحُلَنا ما مات منهن بالمَوْماة أو ظَلعا

أوْدَى ابنُ هِنْد وأودَى المجدُ يَتْبعه كذاك كُنا جميعاً قاطنين معا

أغرّ أبلجُ يستسقى الغمام به لو قارع الناسَ عن أحلامهم قَرعا

ا يَرقع الناس ما أوهى ولو جَهدوا أن يَرْقعوه ولا يُوهون ما رَقَعا

قال محمدُ بن عبد الحكم: قال الشافعيْ: سَرق هذين البيتين من الأعشى.

ابن دأب قال: لما

هَلك معاويةُ خَرج الضحاكُ بن قيس الفِهْريّ وعلى عاتقه ثيابَ حتى وقف إلى جانب المِنبر ثم

قال: أيها الناس إن معاوية كان إلْف العرب ومَلِكَها أطفأ اللهّ به الفِتْنة وأحيا به السُّنة وهذه

أكفانه ونحن مدْرجوه فيها ومخُلون بينه وبين ربه فمن أراد حُضوره صلاة الظُهر فَلْيَحْضُره.

وصلّى عليه الضحاك بن قيس الفِهْرِيّ.

ثم قدم يزيدُ من يومه ذلك فلم يَقْدَم أحدٌ على تَعْزيته

حتى دخل عليه عبدُ الله بن هَمّام السَّلولي فقال:

اصْبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا مقَةٍ واشكُر حِباء الذي بالمُلك حَاباكا

لا رُزْءَ أعظمُ في الأقوام قد عَلموا مما رُزئت ولا عُقْبى كعُقباكا

أصبحتَ راعيَ أهل الأرض كُلَّهمُ فأنتَ ترعاهمُ واللّه يرَعاكا

وفي مُعاويةَ الباقي لنا خلفٌ إذا بَقيتَ فلا نَسْمع بمنَعاكا

فافتتح الخُطباء الكلام.

ثم دخل يزيد فأقام ثلاثةَ أيام لا يخرج للناس ثم خرج وعليه أثرُ الحزن

فَصعِد المِنبر وأقبل الضحَّاك فجلس إلى جانب المنبر وخاف عليه الحَصرَ.

فقال له يزيد: يا

ضحاك أجئتَ تعلم بني عبد شمس الكلام! ثم قام خطيباً فقال: الحمدُ للّه الذي ما شاء

صَنع مَن شاء أعطى ومَن شاء مَنع ومَن شاء خَفض ومن شاء رَفع.

إنّ مُعاوية بن أبي

سُفيان كان حَبلاً من حبال اللّه مدّه اللّه ما شاء أن يَمُدّه ثم قَطعه حين شاء أن يقطعه فكان

دون مَن قَبله وخيراً ممن يأتي بعده ولا أزكيه وقد صار إلى ربّه فإن يَعفُ عنه فبِرَحْمته وإن

يُعذبه فبِذَنبه.

وقد وَليتُ بعده الأمرَ ولستُ أعتذر من جهل ولا أنِي عن طلب وعلى

خلافة يزيد بن معاوية ونسبه وصفته

هو يزيد بن مُعاوية بن أبي سُفيان بن حَرب بن أُمية بن عبد شَمس بن عبد مناف.

وأُمه

مَيْسون بنت بَحْدل بن أُنيف بنِ دلجة بنِ قُنافة أحد بني حارثة بن جَناب.

وكنيته أبو خالد

وكان آدمَ جعداً مَهْضوماً أحورَ العين بوجهه آثار جُدريّ حسنَ اللِّحية خَفِيفَها وَلي الخلافة في

رجب سنة ستين ومات في النِّصف من شهر ربيع الأول سنة أربع وستّين ودُفن بحُوَارين

خارجاً من المدينة.

وكانت ولايته أربع سنين وأياماً.

وكان على شرُطته حُميد بن حُرَيث بن

بَحْدل.

وكاتبه وصاحب أمره سرجون بن منصور.

وعلى القضاء أبو إدريس الخَوْلاني.

وعلى

الخراج مَسلمة بن حديدة الأزْدي.

أولاد يزيد: معاوية وخالد وأبو سُفيان وأمهم فاختةُ بنت بي هاشم بن عُتبة بن ربيعة وعبدُ

الله وعمرو أمهما أم كلثوم بنت عبد اللّه بن عبّاس.

وكان عبدُ اللّه ولدُه ناسكاً وولدُه خالد

عالماً لم يكن في بني أمية أزهدَ من هذا ولا أعلم من هذا.

الأصمعي عن أبي عمرو قال: أعرق

الناس في الخلافة عاتكة بنت يزيد ابن معاوية بن أبي سفيان أبوها خليفة وجدّها معاوية

خليفة وأخوها مُعاوية بن يزيد خليفة وزوجها عبدُ الملك بن مروان خليفة وأرِباؤها: الوليدُ

مقتل الحسين بن علي

علِيّ بن عبد العزيز قال: قرأ عليّ أبو عُبيد القاسم بن سلّام وأنا أسمع فسألتُه: نروي عنك كما

قُرىء عليك قال: نعم.

قال أبو عُبيد: لما مات مُعاوية بن أبي سفيان وجاءت وفاتُه إلى

المدينة وعليها يومئذ الوليدُ بن عُتبة فأرسل إلى الحُسين بن عليّ وعبدِ اللّه بن الزُّبير فدعاهما

إلى البيعة ليزيد فقالا: بالغد إن شاء الله على رؤوس الناس وخرجا من عنده.

فدعا الحسينُ

برواحله فركبها وتوجّه نحو مكة على المَنهج الأكبر وركب ابنُ الزبير بِرْذونا له وأخذ طريق

العَرْج حتى قدم مكة.

ومرّ حسينُ حتى أتى على عبد اللّه بن مُطيع وهو على بئر له فنزل

عليه فقال للحسين: يا أبا عبد اللّه لا سَقانا اللهّ بعدَك ماءً طيباً أين تريد قال: العراق.

قال:

سبحان اللّه! لمَ قال: مات معاويةُ وجاءني أكثرُ من حِمْل صُحف.

قال: لا تفعل أبا عبد اللهّ

فواللّه ما حَفظوا أباك وكان خيراً منك فكيف يِحفظونك ووالله لئن قُتلت لا بَقيتْ حُرْمة بعدك

إلا استُحّلت.

فخرج حسين حتى قَدِم مكة فأقام بها هو وابنُ الزبير.

قال: فقدم عمرو بنُ

سعيد في رمضان أميراً على المدينة والموسم وعُزل الوليد بن عُتبة.

فلما استوى على المنبر

رَعَف.

فقال أعرابيّ: مه! جاءنا واللهّ بالدم! قال: فتلقّاه رجل بعمامته.

فقال: مه! عَمّ الناسَ

والله! ثم قام فخطب فناولوه عصاً لها شُعبتان.

فقال: تشعَّب الناسُ واللّه! ثم خرج إلى مكة

فقَدِمها قبل يوم التَّروية بيوم ووفدت الناسُ للحُسين يقولون: يا أبا عبد اللّه لو تقدَّمت فصلّيت

بالناس فأنزلتَهم بدارك إذ جاء المؤذّن فأقام الصلاة فتقدّم عمرو بن سعيد فكَبّر فقيل

للحُسين: اخرج أبا عبد اللّه إذ أبيت أن تتقدّم.

فقال: الصلاة في الجماعة أفضل.

قال: فصلّى

ثم خرج.

فلما انصرف عمرو بنُ سعيد بلغه أن حُسيناً قد خرج.

فقال: اطلبوه اركبوا كل بعير

بين السماء والأرض فاطلُبوه.

قال: فعجب الناسُ من قوله هذا فطلبوه فلم يُدركوه.

وأرسل

عبدُ اللّه بن جعفر ابنيه عوناً ومحمداً ليردّا حُسينا.

فأبى حُسين أن يرجع.

وخرج ابنا عبد اللّه

بن جعفر معه.

ورجع عمرو بنُ سعيد إلى المدينة وأرسل إلى ابن الزبير ليأتيَه فأبى أن يأتيَه.

وامتنع ابنُ الزبير برجال من قُريشٍ وغيرهم من أهل مكة.

قال: فأرسلَ عمرو بنُ سعيد لهم

جيشاً من المدينة وأمَّر عليهم عمرو بنَ الزبير أخا عبد الله بن الزبير وضَرب على أهل الديوان

البَعْث إلى مكة وهم كارهون للخروج فقال: إما أنْ تأتوني بأدلاَء وإما أن تَخرجوا.

قال:

فبعثهم إلى مكة فقاتلوا ابن الزبير فانهزم عمرو بنُ الزبير وأسره أخوه عبدُ اللّه فحبَسه في

السجن.

وقد كان بَعَث الحُسين بن عليّ مسلمَ بن عَقيل بن أبي طالب إلى أهل الكوفة ليأخذ

بَيعتهم وكان على الكوفة حين مات معاوية فقال: يا أهل الكوفة ابن بنت رسول اللّه صلى

الله عليه وسلم أحبّ إلينا من ابن بنت بحَدل.

قال: فبلِغ ذلك يزيدَ فقال: يا أهل الشام أشيروا

عليّ مَن استعمل على الكوفة فقالوا: ترضى من رَضي به معاويةُ قال: نعم.

قيل له: فإنّ

الصكّ بإمارة عُبيد اللّه بن زياد على العراقين قد كُتب في الديوان فاستَعْمِلْه على الكوفة.

فقَدِمها قبل أن يَقْدم حُسين.

وبايع مُسلمَ بن عَقيل أكثرُ من ثلاثين ألفاً من أهل الكوفة وخرجوا

معه يريدون عُبيدَ اللّه بن زياد فجعلوا كلما انتهوا إلى زُقاق انسلّ منهم ناس حتى بقي في

شرذمة قليلة.

قال: فجعل الناسُ يَرْمونه بالآجُر من فوق البيوت.

فلما رأى ذلك دَخل دار

هانىء بن عُروة المُراديِّ وكان له شَرَف ورأي فقال له هانيء: إنَ لي من ابن زياد مكاناً وإني

سوف أتمارض فإذا جاء يَعودني فاضْرِب عنقه.

قال: فبلغ ابنَ زياد أن هانيء بن عُروة مريضٌ

يقيء الدم وكان شرَب المَغْرة فجعل يَقيؤها فجاءه ابنُ زياد يعوده.

وقال هانيء: لا قلت لكم:

اسقوني فاخرُج إليه فاضرب عنقه يقولها لمُسلم ابن عقيل.

فلما دخل ابنُ زياد وجلس قال

هانيء: اسقوني فَتثبّطوا عليه.

فقال: ويحكم! اسقوني ولو كان فيه نفسي.

قال: فخرج ابنُ

زياد ولم يَصنع الآخر شيئاً.

قال: وكان أشجعَ الناس ولكن أُخذ بقَلْبه.

وقيل لابن زياد ما

أراده هانيء فأرسل إليه.

فقال: إني شاكٍ لا أستطيع.

فقال: أئتوني به وإن كان شاكياً.

فأُسرجت له دابة فركب ومعه عصا وكان أعرج فجعل يسير قليلاً قليلاً ثم يقف ويقول: ما

أذهبُ إلى ابن زياد حتى دخل على ابن زياد فقال له: يا هانيء أما كانت يدُ زياد عندك

بيضاء قال: بلى.

قال: ويدي قال: بلى.

ثم قال له هانيء: قد كانت لك عندي ولأبيك

وقد أمنْتُك في نفسي ومالي.

قال: اخرج فخرج.

فتناول العصا من يده وضرب بها وجهه حتى

كَسرها ثم قَدّمه فضرب عُنقه.

وأُرسل إلى مُسلم بن عَقيل فخرج إليهم بسيفه فما زال

يقاتلهم حتى أثْخنوه بالجراح فأسروه.

وأُتي به ابنَ زياد فقدّمه ليضرب عنقَه فقالت له: دَعْني

حتى أُوصي فقال له: أَوْص.

فنظر في وجوه الناس فقالت لعمر بن سعد: ما أرى قرشيّاً هنا

غيرَك فادْن مني حتى أُكَلِّمَك.

فدنا منه فقال له: هل لك أن تكون سيّد قريش ما كانت

قريش إنّ حُسيناً ومَن معه وهم تِسْعون إنساناً ما بين رجل وامرأة في الطريق فاردُدهم

واكتب لهم ما أصابني ثم ضُرب عنقه.

فقال عمر لابن زياد: أتدري ما قال لي قال: اكتُم

على ابن عمك.

قال: هوِ أعظم من ذلك.

قال: وما هو قال: قال لي: إنّ حُسينا أقبل وهم

تسعون إنساناَ ما بين رجل وامرأة فاردُدهم واكتُب إليه بما أصابني.

فقال له ابنُ زياد: أما واللّه

إذ دَللتَ عليه لا يُقاتله أحد غيرك.

قال: فبعث معه جَيْشاً وقد جاء حسيناً الخبرُ وهم

بشَرَاف فهمّ بأن يرجعِ ومعه خمسةٌ من بني عَقيل فقالوا: تَرجع وقد قُتل أخونا وقد جاءك من

الكُتب ما نثق به! فقال الحسينُ لبعض أَصحابه: واللّه مالي على هؤلاء من صَبر.

قال: فلقيه

الجيشُ على خُيولهم وقد نزلوا بكَرْبلاء.

فقال حسين: أي أرض هذه قالوا: كَرْبلاء قال: أرض

كَرْب وبلاء.

وأحاطت بهم الخَيل.

فقال الحُسين لعمر بن سعد: يا عمر اختر منّي إحدى ثلاث

خِصال: إما أن تتركني أرجع كما جئتُ وإما أن تُسيِّرني إلى يزيد فأضع يدي في يده وإمّا أن

تسيرني إلى الترك أقاتلهم حتى أموت.

فأرسل إلى ابن زياد بذلك فهمّ أن يُسيره إلى يزيد.

فقال

له شَمِر بن ذي الجَوْشن: أمكنك اللّه من عدوّك فتسيّره! إلّا أن ينزل في حُكمك.

فأرسل إليه

بذلك.

فقال الحسين: أنا أنزل على حُكم ابن مَرْجانة! والله لا أفعل ذلك أبداً.

قال: وأبطأ عمر

عن قِتاله.

فأرسل ابنُ زياد إلى شَمِر بن ذي الجَوشن وقال له: إن تقدّم عمر وقاتَل وإلا فاتركه

وكُن مكانه.

قال: وكان مع عمر بن سعد ثلاثون رجلاً من أهل الكوفة فقالوا: يَعرض عليكم

ابنُ بنت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ثلاثَ خصال فلا تَقْبلون منها شيئاً! فتحَولوا مع

الحُسين فقاتلوا.

ورأى رجل من أهل الشام عبد الله بن حسن بن عليّ وكان من أجمل الناس

فقال: لأقتلن هذا الفتى.

فقال له رجل: ويحك! ما تصنع به دعه.

فأبى وحمل عليه فضرَبه

بالسيف فقتله فلما أصابته الضربة قال: يا عمّاه قال: لبّيك صوتاً قَل ناصرُه وكَثر واتره.

وحمل الحُسين على قاتله فقطع يَده ثم ضَربه ضربةً أخري فقَتله ثم اقتتلوا.

عليّ بن عبد العزيز

قال: حدّثني الزبير قال حدّثني محمد بن الحسن قال: لما نَزل عمر بنُ سعد بالحُسين وأيقن أنهم

قاتلوه قام في أصحابه خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قد نَزل بي ما تَرَوْن من الأمر

وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفُها واشمعلّت فلم يبق منها إلا صُبابة كصُبابة الإناء

الأخْنس عيش كالمرْعى الوبيل.

ألا تَرون الحقّ لا يُعمل به والباطلَ لا يُنهى عنه لِيرغب المؤمنُ

في لقاء اللّه فإني لا أرى الموتَ إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا ذُلا ونَدَما.

قُتل الحسينُ رضي

اللّه عنه يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بالطف من شاطىء الفرات بموضع

يدعى كَربلاء.

وولد لخمس ليالٍ من شعبان سن أربع من الهِجرة.

وقُتِل وهو ابن سِتٍّ وخمسين

سنة وهو صابغٌ بالسواد قَتله سِنان بن أبي أنس وأجهز عليه خولةُ بن يزيد الأصْبحِي من

حِمْير.

وحَز رأسه وأتى به عُبيد الله وهو يقول:

أوْقِر رِكابي فِضّةً وذَهبَا أنا قتلتُ المَلِك المُحجّبَا

خيرَ عباد اللهّ أمّا وأبَا

فقال له عبيدُ الله بن زياد: إذا كان خير الناس أمًّا وأبَا وخير عباد اللهّ فلِمَ قتلتَه قَدّموه

فاضربوا عنقه فضُربت عنقه.

رَوْح بن زِنْباع عن أبيه عن الغاز بن ربيع الجُرشي قال: إني

لعند يزيدَ ابن معاوية إذا أقبل زَحْر بن قيس الجُعفي حتى وقف بين يَدَي يزيد فقال: ما وراءك

يا زَحرِ! فقال: أبشرّك يا أمير المؤمنين بفَتح الله ونَصره قَدِم علينا الحُسين في سبعةَ عشرَ رجلاً

من أهل بيته وستين رجلاً من شيعته فبَرزنا إليهم وسألناهم أن يَسْتسلموا وينزلوا على حُكم

الأمير أو القتال فأبوا إلا القتال فغدونا عليهم مع شُروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية

حتى أخذت السيوفُ مأخَذَها من هام الرجال فجَعلوا يلوذون منّا بالآكام والحُفر كما يلوذ

الحَمام من الصَقر فلم يكنَ إِلا نَحر جَزور أو قَوم قائم حتى أتينا على أخرهم فهاتيك

أجسامَهم مُجزَّرة وهامَهم مُرمَلة وخدودَهم مُعفَّرة تَصهرُهمِ الشمس وتَسفي عليهم الريحُ

بقاع سَبْسب زوارهم العِقْبان والرخم.

قال: فَدمعت عينا يزيد وقال: لقد كنت أقنع من

طاعتكم بدون قتل الحُسين لعن اللهّ ابنَ سُمية! أما واللّه لو كنتُ صاحبَه لتركتُه رحم اللّه أبا

عبد اللّه وغَفر له.

عليّ بن عبد العزيز عن محمد بن الضحّاك بن عثمان الخُزاعي عن أبيه قال:

خرج الحسين إلى الكوفة ساخطاً لولاية يزيدَ بن معاوية.

فكتب يزيدُ إلى عُبيد اللهّ بن زياد وهو

واليه بالعراق: إنه بلغني أن حُسيناً سار إلى الكوفة وقد ابتُلي به زمانُك بين الأزمان وبلدُك بين

البلدان وابتليت به من بين العُمال وعنده تُعتق أو تعود عبدا.

فقتله عبيدُ اللّه وبعث برأسه

وثَقَله إلى يزيد.

فلما وُضع الرأسُ بين يديه تمثّل بقول حُصين بن الحُمام المُرِّي:

نُفلِّق هامًا من رجال أعزّةٍ علينا وهم كانوا أعق وأظْلمَا

فقال له عليّ بن الحُسين وكان في السبْي: كتابُ الله أولى بك من الشِّعر يقول اللّه: " ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نَبرأها إن ذلك على الله يسير. لكي لا تَأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كُل مختال فخور ".

فغضب

يزيدُ وجعل يَعبث بلِحْيته ثم قال: غيرُ هذا من كتاب اللّه أولى بك وبأبيك قال اللّه: " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ".

ما ترون يا أهل الشام في هؤلاء

فقال له رجل منهم: لا تَتخذ من كَلْب سَوْء جَرْوا.

قال النعمان بن بَشير الأنصاريّ: انظُر ما

كان يَصنعه رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم بهم لو رآهم في هذه الحالة فاصْنعه بهم.

قال:

صدقت خَلّوا عنهم واضربوا عليهم القِباب.

وأمال عليهمِ المَطبخ وكساهم وأخرج إليهم جوائزَ

كثيرة.

وقال: لو كان بين ابن مَرجانة وبينهم نسب ما قَتلهم.

ثم رَدّهم إلى المدينة.

الزِّياشي قال:

أخبرني محمّد بن أبي رَجاء قال: أخبرني أبو مَعشر عن يزيدَ ابن زياد عن محمد بن الحُسين بن

عليّ بن أبي طالب قال: أتي بنا يزيدُ بن معاوية بعدما قُتل الحسين ونحن اثنا عشر غُلاما

وكان أكبَرِنا يومئذ عليُّ ابن الحُسين فأدْخِلْنا عليه وكان كل واحد منا مَغلولةً يدُه إلى عُنقه

فقال لنا: أحرزتْ أنفسَكم عَبيدُ أهل العراق! وما علمتُ بخروج أبي عبد اللّه ولا بقَتْله.

أبو

الحسن المدائني عن إسحاق عن إسماعيل بن سُفيان عن أبي موسى عن الحَسن البصري قال:

قتِل مع الحسين ستةَ عشرَ من أهل بيته.

واللّه ما كان على الأرض يومئذ أهلُ بيت يُشبّهون بهم.

وحَمل أهلُ الشام بناتِ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم سبايَا على أحقاب الإبل.

فلما أدخلن

على يزيد قالت فاطمةُ بنت الحُسين: يا يزيد أبناتُ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم سبايا!

قال: بلى حرائر كرام ادخُلي على بنات عمك تجديهنّ قد فَعلن ما فعلتِ.

قالت فاطمة:

فدخلتُ إليهن فما وجدت فيهن سِفيانيّة إلا مُلْتدمة تبكي.

وقالت بنت عقيل بن أبي طالب

تَرثِي الحُسين ومن أصيب معه:

عَيْني ابكي بعَبْرةٍ وعَويل واندُبي إن ندبتِ آل الرَّسولِ

ستة كُلّهم لصُلْبِ علّي قد أصيبوا وخَمسة لعَقيل

ومن حديث أم سَلمة زوج صلى الله عليه وسلم قالت: كان عندي النبيّ على ومعي الحُسين

فدنا من النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخذتُه فبكى فتركتُه فدنا منه فأخذتُه فبكى فتركتُه.

فقال له جبريل: أتحبه يا محمد قال: نعم.

قال: أمَا إن أمتك ستَقتله وإن شئت أريتُك من تُربة

الأرض التي يُقتل بها.

فبسط جناحَه فأراه منها.

فبكى النبي صلى الله عليه وسلم.

محمدُ بن

خالد قال: قال إبراهيم النَخَعي: لو كنتُ فيمن قَتل الحسينَ ودخلتُ الجنة لاستحييتُ أن أنظُر إلى

وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ابن لَهيعة عن أبي الأسود قال: لقيتُ رأسَ الجالوت

فقال: إن بيني وبين داود سبعين أبا وإن اليهود إذا رأوني عظَموني وعَرفوا حقَي وأوجبوا

حِفْظي وإنه ليس بينكم وبين نبيّكم إلا أبٌ واحد قتلتم ابنه.

ابن عبد الوهاب عن يَسار بن

عبد الحكم قال: انتُهب عسكَرُ الحسين فوُجد فيه طِيب فما تطيّبت به امرأة إلا بَرِصت.

جعفر

بن محمد عن أبيه قال: بايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الحسنُ والحسين وعبد اللهّ بن جعفر

وهم صغار ولم يُبايع قطُّ صغيرٌ إلا هم.

عليُ بن عبد العزيزِ عن الزُّبير عن مُصعب بن عبد اللّه

قال: حَجِّ الحُسين خمسةً وعشرين حِجَّة مُلبِّياً ماشياً.

وقيل لعلّي بن الحسين: ما كان أقلَّ ولدِ

أبيك! قال: العَجب كيف وُلدتُ له كان يصلِّي في اليوم والليلة ألْفَ ركعة فمتى كان يتفرّغ

للنساء.

يحيى بن إسماعيل عن الشَعبي أنّ سالما قال: قيل لأبي: عبدِ اللّه بن عمر: إن الحُسين

توجه إلى العراق فلحقه على ثلاث مراحل من المدينة وكان غائباً عند خروجه فقال أين

تريد فقال: أريد العراق وأخرج إليه كُتب القوم ثم قال: هذه بيعتهم وكُتبهم.

فناشده اللّه أن

يرجع فأبى.

فقال: أحدثك بحديث ما حَدَّثتُ به أحداً قبلك: إنّ جبريل أتى النبيّ صلى الله

عليه وسلم يُخيّره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة وإنكم بِضعة منه فواللّه لا يليها أحد من

أهل بيته أبداً وما صَرفها اللّه عنكم إلا لما هو خيرٌ لكم فارجع فأنت تَعرف غدر أهل

العراق وما كان يَلقى أبوك منهم.

فأبى فاعتنقه وقال: استودعتك اللّهَ من قَتيل.

وقالت

الفرزذق: خرجتُ أريد مكةَ فإذا بقِباب مضروبة وفَساطيط فقلت: لمن هذه قالوا:

للحُسين فعدلتُ إليه فسلّمت عليه فقالت: من أين أقبلتَ قلت: من العراق.

قال: كيف

تركت الناس قلتُ: القلوب معك والسيوف عليك والنَصر من السماء.

تسمية من قتل مع الحسين بن علي

رضي الله عنهما من أهل بيته ومن أسر منهم قال أبو عبيد: حدَّثنا حجاج عن أبي مَعشر قال:

قتل الحُسين بن عليٍّ وقتل معه عثمان بن عليّ وأبو بكر بن عليّ وجعفر بن عليّ والعباس بن

علي وكانت أمهم أمُّ البنين بنت حَرام الكِلابيّة وإبراهيم بن عليّ لأم ولد له وعبدُ الله بن

حسن وخمسةٌ من بني عَقِيل بن أبي طالب وعَوْن ومحمد ابنا عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب

وثلاثة من بني هاشم.

فجميعهم سبعةَ عشر رجلاً.

وأسر اثنا عشر غُلاماً من بنى هاشم

فيهم: محمدُ بن الحُسين وعلي بن الحُسين وفاطمةُ بنت الحسين.

فلم تَقم لبني حَرب قائمة حتى

سَلَبهم الله مُلكَهم.

وكَتب عبدُ الملك بن مروان إلى الحجَّاج بن يوسف: جنِّبْني دماء أهل هذا

البيت فإني رأيت بني حَرب سُلبوا مُلْكهم لما قتلوا الحُسين.

حديث الزهري في قتل الحسين

رضي الله عنه حدَّثنا أبو محمد عبد الله بن مَيسرة قال: حدَثنا محمد بن مُوسى الحَرَشيّ قال:

حدَّثنا حمَاد بن عيسى الجُهني عن عمر بن قيس قال: سمعتُ ابن شهاب الزُهري يُحدِّث عن

سعيد بن المُسَيِّب عن أبي هُريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم.

قال حمَاد بن عيسى: وحدَّثني

به عبّاد بن بِشرْ عن عَقيل عن الزُّهري عن سَعيد بن المسيّب عن أبي هُريرة عن النبيّ صلى الله

عليه وسلم قال: لا يُلدغ المؤمن من جُحر مرّتين.

وقالا: قال الزهري: خرجتُ مع قُتيبة أريد

المَصيصة فقَدِمنا على أمير المُؤمنين عبد الملك بن مروان وإذا هو قاعد في إيوان له وإذا

سماطان من الناس على باب الإيوان فإذا أراد حاجةً قالها للذي يَليه حتى تَبْلغ المسألة بابَ

الإيوان ولا يمشي أحدٌ بين السماطين.

قال الزُّهري: فجئنا فقمنا على باب الإيوان فقال عبدُ

الملك للذي عن يمينه: هل بَلغكم أي شيء أصبحَ في بيت المقدس ليلة قُتل الحسين بن عليّ

قال: فسأل كل واحد منهما صاحبَه حتى بلغت المسألةُ البابَ فلم يَردّ أحدٌ فيها شيئاً.

قال

الزَّهري: فقلت: عندي في هذا عِلْم.

قال: فرجعت المسألةُ رجلاً عن رجل حتى انتهت إلى

عبد الملك.

قال: فدُعيتُ فمشيتُ بين السماطين فلما انتهيتُ إلى عبد الملك سَلّمت عليه.

فقال لي: من أنت قلت: أنا محمد بن مسلمٍ بن عُبيد اللّه بن شهاب الزُّهري.

قال: فعرِّفني

بالنَّسب وكان عبدُ الملك طلّابة للحديث فعرّفتُه.

فقال: ما أصبح ببيت المَقدس يوم قُتل

الحُسين بن عليّ بن أبي طالب - وفي رواية عليّ بن عبد العزيز عن إبراهيم بن عبد اللّه عن

أبي مَعشر عن محمد بن عبد اللّه ابن سعيد بن العاص عن الزُّهري أنه قال: الليلةَ التي قُتل في

صبيحتها الحُسين بن عليّ قال الزُّهري: نعم حدَّثني فلان - ولم يُسَمِّه لنا - أنه لم يُرفع تلك

الليلة التي صبيحتها قُتل الحسين بن علي بن أبي طالب حجرٌ في بيت المقدس إلا وُجد تحته دمٌ

عَبيط.

قال عبدُ الملك: صدقتَ حدَّثني الذي حدَّثك وإني وإياك في هذا الحديث لَغريبان.

ثم قال لي: ما جاء بك قلت: جئتُ مُرابطاً.

قال: الزم الباب فأقمتُ عنده فأعطاني مالاً

كثيراً.

قال: فاستأذنتُه في الخروج إلى المدينة فأذِن لي ومعي غلامٌ لي ومعي مالٌ كثير في عَيبة

ففقدتُ العَيبة فاتهمتُ الغلام فوعدتُه وتواعدتُه فلم يُقر لي بشيء.

قال: فصرعتُه وقعدتُ

عَلَى صَدْره ووضعتُ مِرْفقي على وجهه وغمزتُه غمزةً وأنا لا أريد قتلَه فمات تحتي وسُقط

في يدي.

وقَدِمتُ المدينة فسألت سعيدَ بن المُسيّب وأبا عبد الرحمن وعُروة بن الزُّبير والقاسمَ

بن محمد وسالِم بن عبد اللّه فكلُّهم قال: لا نعلم لك توبةً.

فبلغ ذلك عليَّ بن الحُسين فقال:

عليَ به.

فأتيتُه فقصصتُ عليه القِصة.

فقال: إن لذنبك توبةَ صُمْ شهرين مُتتابعين وأعتق رَقبة

مُؤْمنة وأطعم ستين مسكيناً ففعلتُ.

ثم خرجتُ أريد عبد الملك وقد بلغه أني أتلفتُ المال

فأقمتُ ببابه أياماً لا يُؤذن لي بالدُّخول فجلستُ إلى مُعلِّم لولده وقد حَذِق ابنَ لعبد الملك

عنده وهو يُعلمه ما

يتكلّم به بين يدي أمير المؤمنين إذا دخل عليه فقلت لمؤدّبه: ما تأمُل من أمير المؤمنين أن يَصلك

به فلك عندي ذلك على أن تُكلِّم الصبيّ إذا دخل عَلَى أمير المؤمنين فإذا قالَ له: سَل

حاجتكَ يقول له: حاجتي أن تَرضى عن الزهري.

ففَعل فضحك عبدُ الملك وقال: أين هو

قال: بالباب.

فأذن لي فدخلت حتى إذا صرتُ بين يديه قلت: يا أمير المؤمنين حَدَّثني سعيدُ

بن المسيّب عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا يُلدغ المؤمن من جُحر

مرتين.

وقعة الحرة

أبو اليقظان قال: لما حضرة معاويةَ الوفاةُ دعا يزيدَ فقال له: إن لك من أهل المدينة يوماً فإذا

فعلوا فارمهم بمُسلم بن عُقبة فإنه رجل قد عرَفْنا نصيحتَه.

فلما كانت سنة ثلاث وستين قدم

عثمانُ بن محمد بن أبي سُفيان المدينةَ عاملاً عليها ليزيدَ بن معاوية وأوفد على يزيد وفداً من

رجال المدينة فيهم عبدُ اللّه بن حَنْظلة غَسيل الملائكة معه ثمانيةُ بنين له فأعطاه مائةَ ألف

درهم وأعطى بنيه كل رجل منهم عشرةَ آلاف سوى كُسوتهم وحُملانهم.

فلما قدم عبدُ اللّه

بن حنظلة المدينة أتاه الناس فقالوا: ما وراءك قال: أتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا

بنيّ هؤلاء لجاهدته بهم.

قالوا: فإنه قد بلغنا أنه أكرمك وأجازك وأعطاك.

قال: قد فَعل وما

قبلتُ ذلك منه إلا أن أتقوّى به عليه أي عَلَى قتال يزيد - وحضَّ الناسَ عَلَى يزيدَ فأجابوه.

فكتب عثمانُ بن محمد إلى يزيد بما أجمع عليه أهلُ المدينة من الخلاف.

فكتب إليهم يزيد بن

معاوية: بسم اللهّ الرحمن الرحيمٍ أما بعد.

فإن اللّه لا يُغيرُ ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم وإذا

أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال.

وإني قد لَبستكم فأخلفتُكم

ورفعتكمِ عَلَى رأسي ثم عَلَى عَيني ثم على فَمي ثم عَلَى بطني واللّه لئن وضعتكم تحت

قدمي لأطانكم وطأة أقِلّ بها عددَكم وأترككم بها أحاديث تنتسخ أخبارُكم مع أخبار عاد

وثمود.

فلما أتاهم كتابُه حَمِي القوم فقدَّمت الأنصار عبدَ اللّه بن حنظلة عَلَى أنفسهم

وقدَّمت قُريش عبدَ اللهّ بن مُطيع ثم أخرجوا عثمانَ بن محمد بن أبي سفيان من المدينة

ومروانَ بن الحكم وكُل من كان بها من بني أمية.

وكان عبدُ اللّه بن عباس بالطائف فسأل

عنهم فقيل له: استعملوا عبدَ اللّه بن مُطيع عَلَى قريش وعبد اللّه بن حَنظلة عَلَى الأنصار.

فقال: أميران! هَلك القوم.

ولما بلغ يزيد ما فعلوا أمر بقُبة فضُربت له خارجاً عن قَصره وقَطع

البُعوث عَلَى أهل الشام فلم تمْض ثالثةٌ حتى توافت الحشود.

فقَدِم عليهم مُسلم بن عُقبة المُرِّي

فتوجّه إليهم.

وقد عَمد أهلُ المدينة فأخرجوا إلى كل ماء لهم بينهم وبين الشام فصبّوا فيه زِقّاً

من قَطران وغَوّروه فأرسل اللّه عليهم المطر فلم يَسْتقوا شيئاً حتى وردوا المدينة.

قال أبو

اليقظان وغيره: إنّ يزيدَ بن مُعاوية ولّى مسلمَ بن عُقبة وهو قد اشتكى فقال له: إن حَدث بك

حَدَث فاستعمل حُصين بن نمير.

فخرج حتى قدم المدينةَ فخرج إليه أهلُها في عُدة وهيئة

وجُموع كثيرة لم يُرَ مثلها.

فلما رآهم أهلُ الشام هابوهم وكرهوا قتالَهم.

فأمر مُسلم بن عقبة

بسَريره فوُضع بين الصَّفين وهو عليه مريض وأمر مُنادياً ينادي: قاتِلوا عن أميركم أو دَعوه.

فجدّ

الناس في القتال فَسمعوا التكبيرَ من خلفهم في جوف المدينة فإذا هم قد أقْحَم عليهم بنو

حارثة أهلَ الشام وهم عَلَى الجُدر فانهزم الناس.

وعبد الله بن حَنظلة متساند إلى بعض بَنيه

يَغُطُّ نوماً فلما فتحِ عينيه فرأى ما صَنعوا أمر أكبر بنيه فتقدَم حتى قُتل فلم يزل يقدِّم واحداً

وأحدا حتى أتي عَلَى آخرهم ثم كسر غِمْد سيفه وقاتل حتى قُتِل.

ودخل مسلمُ بن عقبة

المدينة وتغلّب عَلَى أهلها ثم دعاهم إلى البيعة على أنهم خوَلٌ ليزيد ابن معاوية يَحكم في

دمائهم وأموالهم وأهليهم فبايعوا حتى أتي بعبد اللّه ابن زَمعة فقال له: عَلَى أنك خَوَل لأمير

المؤمنين يحكم في مالك ودمك وأهلك.

قال: لن أبايع على أني بزعم أمير المؤمنين يحكم في دمي

ومالي وأهلي.

فقال مسلم بن عقبة: اضربوا عنقَه فوثب مروان بن الحكم فضمّه إِليه وقال:

نُبايعك على ما أحببت.

فقال: لا واللّه لا أقيلها إياه أبداً إن تَنح وإلا فاقتلوهما جميعاً.

فتركه

مروان وضُرب عنقه.

وهَرب عبدُ الله بن مطيع حتى لحق بمكة فكان بها حتى قُتل مع عبد

اللّه بن الزبير في أيام عبد الملك بن مروان وجعل يُقاتل أهلَ الشام وهو يقول:

أنا الذي فررتُ يوم الحَرّه والشيخُ لا يَفرُّ إلا مَرة

فاليومَ أجْزى كَرّة بقَرّة لا بأس بالكَرة بعد الفَرّة

أبو عَقيل الدوْرقيّ قال: سمعتُ أبا نَضرة يحدّث قال: دخل أبو سعيد الخدريّ يوم الحَرّة في

غار فدخل عليه رجل من أهل الشام وفي عُنق أبي سعيد السّيف فوضع أبو سَعيد السيفَ

وقال: بُؤ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين.

فقال: أبو سعيدٍ الخدري

أنت قال: نعم.

قال: فاستغفر لي قال: غَفر اللّه لك.

وأمر مُسلم بن عُقبة بقتل مَعقلِ بن

سِنان الأشجَعي صبراً ومحمد بن أبي الجهم بن حُذيقة العَدوي صبراً وكان جميعُ من قتل يوم

الحرة من قريش والأنصار ثلثَمائة رجل وستة رجال.

ومن الموالي وغيرهم أضعافُ هؤلاء.

وبعث مَسلم بن عُقبة برؤوس أهل المدينة إلى يزيد فلما ألقيت بين يديه جَعل يتمثل بقول ابن

الزِّبْعري يوم أحد:

ليت أشياخِي ببدرٍ شَهِدُوا جَزَع الخَزْرج من وَقْع الأسَل

لأهلّوا واستهلوا فرحاً ولقالوا ليزيدَ: لا فَشَل

فقال له رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارتددتَ عن الإسلام يا أمير

المؤمنين! قال: بلى نَستغفر الله.

قال: والله لا ساكنتُك أرضاً أبداً وخرج عنه.

ولما انقضى

أمرُ الحَرّة توجه مُسلم بن عُقبة بمن معه من أهل الشام إلى مكة يُريد ابنَ الزُبير وهو ثقيل فلما كان

بالأبواء حَضره أجلُه فدعا حُصين ابن نمير فقال له: إني أرسلتُ إليك فلا أدري أقدَمك على

هذا الجيش أم أقدَمك فأضرب عنقك قال: أصلحك اللّه أنا سهمُك فارم بي حيثُ شئت.

قال: إنك أعرابي جلْف جافٍ وإنّ هذا الحي من قريش لم يمكنهَم أحد قط من أذنه إلا غَلبوه

على رأيه فسِر بهذا الجيش فإذا لقيتَ القومَ فإياك أن تُمكنهم من أذنك لا يكن إلا على

الوِقاف ثم الثقاف ثم الانصراف.

ومات مُسلم بن عُقبة وليصل بالناس الضحّاك بن قيس حتى يختار الناس لأنفسهم فلمّا مات

صلى عليه الوليد بن عقبة لا رحمه الله.

ومضى حُصين بن نُمير بجَيشه ذلك.

فلم يزل محاصرًا

لأهل مكة حتى مات يزيدُ لا رحمه الله وذلك خمسون يوماً.

ونَصب المجانيق على الكعبة

وحَرَقها يوم الثلاثاء لخمس خلون من ربيع الأول سنة أربع وستين وفيها مات يزيد بن معاوية

بِحوارين.

وفاة يزيد بن معاوية

مات يزيد بن معاوية بحُوارين من بلاد حِمْص وصلى عليه ابنُه معاوية ابن يزيد بن مُعاوية ليلة

البدرِ في شهر ربيع الأول.

وأم يزيد ميسون بنت بَحْدل الكَلْبي ومات وهو ابنُ ثمانٍ وثلاثين

سنة وكانت ولايتُه ثلاثَ سنين وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوماً.

خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية

واستُخلف معاويةُ بن يزيد بن معاوية في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وهو ابنُ إحدى

وعشرين سنة ومات بعد أبيه بأربعين يوماً ولم يزل مريضاً طولَ ولايته لا يَخرج من بيته فلما

حضرتْه الوفاةُ قيل له: لو عهدتْ إلى رجل من أهل بيتك واستَخلفت خليفةً قال: لم أنتفع بها

حيا فلا أقلدها ميتا لا يذهب بنو أمية بحلاوتها وأتجرّع مرارتها ولكن إذا مِت فَلْيصل عليّ

الوليدُ بن عُقبة وليصلِّ بالناس الضحاك بن قيس حتى يختار الناس لأنفسهم.

فلما مات صلّى

عليه الوليد بن عقبة وصلّى بالناس الضَحاك بن قيس بدمشق حيث قامت دولة بني مروان.

فتنة ابن الزبير

قال عليّ بن عبد العزيز: حدّثنا أبو عُبيد عن حجَّاج عن أبي معشر قال: لما مات مُسلم بن

عُقبة سار حُصين بن نُمير حتى أتى مكة وابنُ الزبير بها فدعاهم إلى الطاعة فلم يُجيبوه

فقاتلهم وقاتله ابن الزبير.

فقُتل المُنذرُ بن الزُبير يومئذ ورجلاَن من إخوته ومُصعب بن عبد

الرحمن بن عوف والمسور بن مخرمة.

وكان حُصين بن نُمير قد نَصب المجانيق على أبي قُبيس

وعلى قُعيْقعان فلم يكن أحدٌ يقدر أن يطوف بالبيت.

فأسند ابنُ الزبير ألواحاً من ساجٍ على

البيت وألقى عليها الفُرشَ والقطائف فكان إذا وَقع عليها الحجر نبا عن البيت.

فكانوا يطوفون

تحت الألواح فإذا سمعوا صوتَ الحَجر حين يقع على الفرش والقطائف كَبَروا وكان ابن الزبير قد

ضَرب فُسطاطا في ناحية فكلما جُرح رجل من أصحابه أدخله ذلك الفسطاط فجاء رجل

من أهل الشام بنار في طرف سنانه فأشعلها في الفُسطاط وكان يوماً شديد الحر فتمزّق

الفُسطاط فوقعت النار على الكَعبة فاحترق الخشب والسقف وانصدعِ الرُّكن واحترقت

الأستار وتساقطت إلى الأرض.

قال: ثم اقتتلوا مع أهل الشام أياماً بعد حريق الكعبة.

قال أبو

عبيد: احترقت الكعبة يوم السبت لست خَلون من ربيع الأول سنة أربع وستين فجلس أهلُ

مكة في جانب الحِجْر ومعهم ابنُ الزبير وأهل الشام يَرمونهم بالنَّبل والحجارة فوقعت نَبلة بين

يدي ابن الزبير فقال: في هذه خبر.

فأخذها فوجد فيها مكتوباً: مات يزيدُ بن معاوية يوم

الخميس لأربعَ عشرةَ خلت من ربيع الأول.

فلما قرأ ذلك قال: يا أهل الشام يا أعداء الله

ومُحرِّقي بيت اللّه علامَ تُقاتلون وقد مات طاغيتُكم! فقالت حُصين بن نمير: موعدُك البطحاء

الليلة أبا بكر.

فلما كان الليل خَرج ابنُ الزَّبير بأصحابه وخَرج حُصين بأصحابه إلى البطحاء.

ثم

ترك كُلّ واحد منهما أصحابه وانفردا فنزلا.

فقال حُصين: يا أبا بكر أنا سيّد أهل الشام لا

أدافَع وأرى أهلَ الحجاز قد رَضُوا بك فتعالَ أُبايعْك الساعةَ ويهدر كل شيء أصبناه يومَ

الحَرّة وتَخرج معي إلى الشام فإني لا أحب أن يكون المُلك بالحجاز.

فقال: لا واللّه لا أفعل ولا

أمنُ مَن أخافَ الناسَ وأحرق بيتَ اللّه وانتهك حُرمته.

قال: بل فافعل على أن لا يَختلف عليك

اثنان.

فأبي ابنُ الزبير.

فقال له حُصين: لَعنك اللّه ولَعن مَن زعم أنك سيّد! واللهّ لا تُفلح أبداً!

اركبوا يا أهل الشام.

فركبوا وٱنصرفوا.

أبو عُبيد عن الحجّاج عن أبي مَعشر قال: حَدّثنا بعضُ

المَشيخة الذين حَضروا قِتَالَ ابن الزبير قال: غَلب حُصين بن نُمير على مكّة كُلها إلا الحِجْر.

قال: فواللّه إني لجالس عنده معه نفر من القُرشيين: عبدُ اللّه بن مطيع والمختار بن أبي عُبيد

والمِسْور بن مَخْرمة والمُنذر بن الزُبير: إذ هَبّت رُويحة فقال المختار: واللّه إني لأرى في هذه

الرُّويحة النَّصر فاحملوا عليهم.

فحملوا عليهم حتى أَخرجوهم من مكة وقَتل المختارُ رجلاً

وقَتل ابنُ مطيع رجلاً ثم جاءنا على إثر ذلك موتُ يزيدَ بعد حريق الكعبة بإحدى عشرةَ ليلة

وانصرف حُصين بن نُمير وأصحابه إلى الشام فوجدوا مُعاويةَ بن يزيد قد مات ولم يَستخلف

وقال: لا أتحمّلها حيّا وميتا.

فلما مات معاوية بن يزيد بايع أهلَ الشام كلّهم ابنَ الزبير إلا أهلَ

الأرْدُنّ وبايع أهلُ مصر أيضاً ابنَ الزبير.

واستخلف ابنُ الزبير الضحّاكَ بن قيس الفِهريّ على

أهل الشام.

فلما رأى ذلك رجالُ بني أمية وناسٌ من أشراف أهل الشام ووجوههم منهم رَوحُ

بن زِنْباع وغيره قال بعضهم لبعض: إنّ المُلك كان فينا أهلَ الشام فانتقل عنّا إلى الحجاز لا

نرضى بذلك هل لكم أنْ تأخذوا رجلاً منّا فينظرَ في هذا الأمر فقال: استخيروا اللّه.

قال:

فرأى القومُ أنه غلامٌ حَدث السن فخرجوا من عنده وقالوا: هذا حَدث.

فأتوا عمرَو بنَ سعيد

بن العاص فقالوا له: ارفع رأسك لهذا الأمر فرأوه حَدثاً فجاءوا إلى خالد بن يزيد بن معاوية

فقالوا له: ارفع رأسَك لهذا الأمر فرأوه حَدثا حريصاً على هذا الأمر.

فلما خرجوا من عنده

قالوا: هذا حدث.

فأتوا مروانَ ابن الحكم فإذا عنده مصباح وإذا هم يَسمعون صوته بالقُرآن

فاستأذنوا ودخلوا عليه قالوا: يا أبا عبد ٱلملك ارفع رأسَك لهذا الأمر.

فقال: استخيروا اللهّ

واسألوا أن يختار لأمة محمد صلى الله عليه وسلم خيرها وأعدلها.

فقال له روحُ ابن زِنباع: إنّ

معي أربعَمائة من جُذام فأنا أمرهم أن يتقدّموا في المسجد غداً ومُر أنت ابنك عبدَ العزيز أن

يخطب الناسَ ويَدْعوهم إليه فإذا فعل ذلك تنادَوْا من جانب المسجد: صدقتَ صدقتَ

فيظنّ الناسُ أن أمرَهم واحد.

فلما اجتمع الناسُ قام عبدُ العزيز فحَمِد اللّه وأثنى عليه ثم قال:

ما أحدٌ أولى بهذا الأمر من مَروان كبير قُريش وسيّدها والذي نفسي بيده لقد شابت ذراعاه

من الكِبَر.

فقال الجُذاميون: صدقتَ صدقتَ.

فقال خالدُ بن يزيد: أمر دبِّر بليل.

فبايعوا مروانَ

بن الحكم.

ثم كان من أمره مع الضّحاك بن قيس بمَرْج راهط ما سيأتي ذكرُه بعد هذا في دولة

بني مروان.

أبو الحسن قال: لما مات معاوية بن يزيد اختلف الناسُ بالشام فكان أوّلَ من خالف من أمراء

الأجناد النعمانُ بن بَشير الأنصاري وكان على حِمْص فدعا لابن الزُبير فبلغ خبرُه زفرَ بن

الحارث الكِلابيّ وهو بقِنَسْرين فدعا إلى ابن الزبير أيضاً بدمشق سراً ولم يُظهر ذلك لمن بها

من بني أمية وكلب.

وبلغ ذلك حسان بن مالك بن بَحْدل الكَلْبي وهو بفِلسطين فقال لرَوْح بن

زنباع: إني أرى أمراء الأجناد يبايعون لْابن الزبير وأبناء قيس بالأردن كثير وهم قومي فأنا

خارج إليها وأقم أنت بفلسطين فإنّ جُل أهلها قومك من لَخْم وجُذام فإن خالفك أحدٌ فقاتلْه

بهم.

فأقام رَوْحٌ بفلسطين وخرج حسان إلى الأردُن.

فقام ناتل بن قيس الْجُذاميّ فدعا إلى

ابن الزُبير وأخرج روحَ بن زِنْباع من فلسطين ولحق بحسّان بالأردن.

فقال حسانُ: يأهل

الأردن قد علمتم أن ابن الزبير في شِقاق ونفاق وعصيان لخلفاء اللّه ومفارقةٍ لجماعة المسلمين

فانظُروا رجلاً من بني حَرب فبايعوه.

فقالوِا: اختر لنا من شئتَ من بني حَرب وجَنِّبنا هذين

الرجلين الغلامين: عبدَ اللّه وخالداً ابني يزيد بن معاوية فإنّا نكره أن يدعوَ الناسُ إلى شيخ

ونحن ندعو إلى صبيٍّ.

وكان هَوَى حسّانَ في خالد بن يزيد وكان ابنَ أخته.

فلما رَموه بهذا

الكلام أمسك وكتب إلى الضحاك بن قيس كتاباً يُعظّم فيه بني أمية وبلاءهم عنده ويذُم ابن

الزبير ويذكر خِلافَه للجماعة وقال لرسوله: اقرأ الكتاب على الضحّاك بمَحضر بني أمية وجماعة

الناس.

فلما قرأ كتابَ حسان تكلّم الناسُ فصاروا فِرْقتين فصارت اليمانية مع بني أمية

والقَيْسيةُ زُبيريّةً ثم اجتلدوا بالنّعال ومَشى بعضَهم إلى بعض بالسيوف حتى حَجز بينهم خالدُ

بن يزيد ودخل الضحاك دارَ الإمارة فلم يخرُج ثلاثةَ أيام.

وقدِم عُبيدُ الله بن زياد فكان مع

بني أمية بدمشق.

فخرج الضحاكُ بن قيس إلى المَرْج - مرج راهط - فعسكر فيه وأرسل إلى

أمراء الأجناد فأتوه إلّا ما كان من كَلْب.

ودعا مروانُ إلى نفسه فبايعته بنو أمية وكَلب وغسان

والسكاسك وطَيىء فعسكر في خَمسة آلاف.

وأقبل عَبَّاد بن يزيد من حُوران في ألفين من

مواليه وغيرهم من بني كلب فلحق بمروان.

وغلب يزيدُ بن أبي أنيس على دمشق فأخرج منها

عاملَ الضحاك وأمد مروان برجالٍ وسلاح كثير.

وكتب الضحاك إلىِ أمراء الأجناد فقدم

عليه زفر بن الحارث من قِنَسرين وأمده النُّعمان بن بشير بشرَحبْيل بن ذي الكَلاع في أهل

حِمْص فتوافَوا عند الضحَّاك بمرْج راهط فكان الضحاك في ستين ألفاً ومروان في ثلاثةَ عشر

ألفاً أكثرهم رجّالة وأكثرُ أصحاب الضحاك رُكبان.

فاقتتلوا بالمَرْج عشرين يوماً وصَبر

الفريقان.

وكان على مَيمنة الضحاك زيادُ بن عمرو بن معاوية العُقيلي وعلى مسيرته بَكْر بن

أبي بشير الهلالي.

فقال عُبيد اللّه بن زياد لمروان: إنك على حق وابن الزبير ومن دعا إليه على

الباطل وهم أكثر منا عَدداً وعُدداً ومع الضحاك فُرسان قيس واعلم أنك لا تنال منهم ما

تريد إلا بمكيدة وإنما الحرب خدعة فادعهم إلى الموادعة فإذا أمنوا وكَفَوا عن القتال فكُرّ

عليهم.

فأرسل مروانُ السُّفَراء إلى الضحَاك يدعوه إلى الموادعة ووَضْع الحرب حتى يَنْظر.

فأصبح الضحَاك والقَيسية قد أمسكوا عن القتال وهم يطمعون أن يُبايع مروان لابن الزّبير وقد

أعد مروانُ أصحابَه فلم يشعر الضحاك وأصحابُه إلا والخيل قد شدَّت عليهم ففزع الناس إلى

راياتهم من غير استعداد وقد غشيتهم الخيلُ فنادى الناسُ: أبا أنيس أعَجْز بعد كَيْس -

وكُنية الضحاك: أبو أنيس - فاقتتل الناسُ ولزم الناسُ راياتهم فترجل مروان وقال: قَبّح اللّه من

ولأهم اليومَ ظهرَه حتى يكون الأمر لإحدى الطائفتين.

فقُتل الضحاكً بن قيس وصَبرت قيسُ

عند راياتِها يقاتلون فنظر رجل من بني عُقيل إلى ما تَلْقى قيس عند راياتها من القَتل فقال:

اللهم العنها من رايات! واعترضَها بسيفه فجعل يَقْطعها فإذا سقطت الرايةً تفرق أهلها.

ثم

انهزم الناس فنادى مُنادِي مروان: لا تَتبعوا من ولّاكم اليوم ظهره.

فزعموا أن رجالاً من ليس لم

يَضحكوا بعد يوم المَرج حتى ماتوا جَزعا على من أصيب من فُرسان قيس يومئذ.

فقتل مِن

قَيس يومئذ ممن كان يأخذ شَرف العطاء ثمانون رجلاً وقُتل من بني سليم سِتّمائة وقُتل لمروان

ابنٌ يقال له عبدُ العزيز.

وشَهد مع الضحَّاك يوم مَرْج راهط عبدُ اللهّ بن معاوية بن أبي سُفيان.

فلما انهزم الناسُ قال له عُبيد اللّه بن زياد: ارتدف خَلْفي فارتدف فأراد عمرو بن سَعيد

أن يقتلَه.

فقال له عبيدُ اللّه بن زياد: ألا تكُفّ يا لَطِيمَ الشيطان! وقال زفر بن الحارث وقد

قُتل ابناه يوم المَرْج:

لَعمري لقد أبقتْ وقيعة راهطٍ بمَروان صَدْعاً بيّنا مَّتنائيا

فلم يُزَ مِنّي زَلةٌ قبلَ هذه فِراري وتَركي صاحبي ورائيا

أيذهبُ يومٌ واحدٌ إن أسأتُه بصالح أيامي وحُسْن بلائيا

أنترك كلْباً لم تَنَلها رماحُنا وتَذهب قَتْلى راهطٍ وهي ما هيا

وقد تَنْبُت الخَضراء في دِمَن الثرى وتَبقى حَزازاتُ النفوس كما هيا

فلا صُلْع حتى نَدْعس الخَيلَ بالقَنا وتثأر من أبناء كَلْب نسائيا

فلما قتل الضحاك وانهزم الناس نادى مروانُ أن لا يُتبع أَحد.

ثم أقبل إلى دمشق فدخلها ونَزل

دارَ مُعاوية بن أبي سفيان دارَ الإِمارة ثم جاءته بَيعة الأجناد فقال له أصحابه: إنا لا نتخوّف

عليك إلا خالدَ بن يزيد فتزوّجْ أمه فإنك تَكْسره بذلك وأمه ابنة أبي هاشم بن عُتبة بن

ربيعة.

فتزوّجها مروان فلما أراد الخروجَ إلى مصر قال لخالد: أعرْني سلاحاً إن كان عندك

فأعاره سلاحاً وخَرج إلى مصر فقاتل أهلَها وسَبى بها ناساً كثيراً فافتدوا منه.

ثم قَدم

الشام فقال له خالدُ.

بن يزيد: رُدّ عليّ سلاحي.

فأبى عليه.

فألحّ عليه خالد.

فقال له

مَروان وكان فَحّاشا: يا بن رَطْبة الإست.

قال: فدخل إلى أمه فبكى عندها وشكا إليها ما

قاله مروانُ على رؤوس أهل الشام.

فقالت له: لا عليك فإنه لا يعود إليك بمثلها.

فلبث مروان

بعد ما قال لخالد ما قال أياماً ثم جاء إلى أم خالد فرقد عندها فأمرت جواريها فطَرحْن عليه

الوسائد ثم غَطّته حتى قتلته ثم خَرجن فصِحْن وشَقَقنَ ثيابهن: يا أمير المؤمنين! يا أمير

المؤمنين! ثم قام عبدُ الملك بالأمر بعده فقال لفاخر أم خالد: والله لولا أن يقول الناس إني قتلتُ

بأبي امرأةً لقتلتُكِ بأمير المؤمنين.

ووُلد مروانُ بن الحكم بن العاصي بن أمية بن عبد شمس بن

عبد مناف بمكة.

ومات بالشام لثلاث خلون من رَمضان سنة خمس وستين وهو ابن ثلاث

وستين سنة.

وصلى عليه ابنُه عبد الملك بن مروان.

وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر

يوماً.

وكان على شرُطته يحيى بن قيس الشّيباني.

وكاتبه سَرجون بن منصور الرُّومي.

وحاجبه أبو سَهل الأسود مولاه.

ولاية عبد الملك بن مروان

هو عبدُ الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية.

ويكنى: أبا الوليد.

ويقال له: أبو

الأملاك وذلك أنه ولى الخلافةَ أربع من ولده: الوليدُ وسليمان ويزيد وهشام.

وكان تَدْمى لَثته

فيقع عليها الذُّباب فكان يُلقّب: أبا الذُّباب.

أمه عائشة بنت معاوية بن المُغيرة بن أبي العاص بن

أمية.

وله يقول ابن قيس الرقيات:

أنت ابنُ عائشة التي فَضَلت أروم نسائها

لم تَلْتفت لِداتها ومَشَت على غُلَوائها

وَلدت أغر مباركاً كالشَّمْس وَسْط سمائها

وبُويع عبدُ الملك بدمشق لثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين ومات بدمشق للنصف

من شوال سنة ستّ وثمانين وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنة فصلّى عليه الوليدُ بن عبد الملك.

ووُلد عبدُ الملك بالمدينة سنة ثلاثٍ وعشرين ويقال سنة ستٍّ وعشرين.

ويقال وُلد لسَبعة

أشهر.

وكان على شرُطته ابنُ أبي كَبْشة السَّكْسَكي ثم أبو نائل بن رِياح بن عُبيدة الغَسّاني ثم

عبدُ الله بن يزيد الحَكميّ.

وعلى حَرسه الرَّيَّان.

وكاتبه على الخراج والجُند سرَجون ابن منصور

الرُّومي.

وكتبه على الرسائل أبو زُرعة مولاه.

وعلى الختم قَبيصة ابن ذُؤيب.

وعلى بُيوت

الأموال والخزائن رَجاء بن حَيْوَة.

وحاجبُه أبو يوسف مولاه.

ومات عبد الملك سنة ستٍّ

وثمانين وهو ابن ثلاثٍ وستين سنة.

وصلّى عليه الوليد ابنُه.

وكانت ولايتُه منذ اجتُمع عليه

ثلاثَ عشرةَ سنة وثلاثة أشهر ودُفن خارجَ باب المدينة.

وفي أيام عبد الملك حُوّلت الدواوينُ

إلى العربيّة عن الرومية والفارسية حَوّلها عن الرُّومية سليمان بن سَعْد مولى حُشين.

وحولها

عن الفارسية صالحُ بن عبد الرحمن مولى عتبة امرأة من بني مُرة.

ويقال: حُولت في زمن

الوليد.

ابنُ وَهب عن ابن لَهِيعة قال: كان معاوية فَرض للموالي خَمسة عشر فبلَّغهم عبدُ الملك

عشرين ثم بلّغهم سليمانُ خمسة وعشرين ثم قام هشام فأتم للأبناء منهم ثلاثين.

وكتب عبدُ

اللّه بن عمر إلى عبد الملك بن مروان بَيعتَه لما قُتل ابنُ الزبير وكان كتابه إليه يقول: لعبد الملك بن

مروان من عبد الله بن عُمر: سلام عليك فإني أقررتُ لك بالسَّمع والطاعة على سُنة اللّه

وسُنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وبيعةُ نافع مولاي على مثل ما بايعتُك عليه.

وكتب محمدُ بن الحنفيّة ببيعته لما قتل ابن الزبير وكان في كتابه: إني اعتزلتُ الأمة عند

اختلافها فقعدتُ في البلد الحرام الذي مَن دخله كان آمناً لأحْرزَ ديني وأمنعَ دمي وتركتُ

الناسَ " قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبِيلا ".

وقد رأيتُ الناسَ قد

اجتمعوا عليك ونحن عصابة من أمتنا لا نُفارق الجماعة وقد بعثتُ إليك منّا رسولا ليأخذ لنا

منك ميثاقا ونحن أحق بذلك منك.

فإن أبيتَ فأرضُ اللّه واسعة والعاقبة للمتقين.

فكتب إليه

عبدُ الملك: قد بلغني كتابُك بما سألتَه منِ المِيثاق لك وللعصابة التي معك.

فلك عهدَ اللهّ

وميثاقه أن لا تُهاج في سلطاننا غائباً ولا شاهداً ولا أحد من أصحابك ما وَفَوْا ببيعتهم فإن

أحببتَ المُقام بالحجاز فأقم فلن نَدع صِلتك وبِرَّك وإن أحببتَ المُقام عندنا فاشخَص إلينا

فلن نَدع مواساتِك.

ولعمري لئن ألجأتُك إلى الذهاب في الأرض خائفاً لقد ظَلمناك وقَطعنا

رَحِمك.

فاخرُج إلى الحَجاج فبايع.

فإنك أنت المحمود عندنا ديناً ورأيا وخيرٌ من ابن الزبير

وأرضى وأتقى.

وكتب إِلى الحجاج بن يوسف: لا تَعْرِض لمحمد ولا لأحد من أصحابه وكان في

كتابه: جنّبني دماء بني عبد المطلب فليس فيها شِفاء من الحَرَب وإني رأيتُ بني حَرْب سُلبوا

ملكهم لما قَتلوا الْحُسين بن علي.

فلم يتعرض الحجاج لأحد من الطالبيّين في أيامه.

أبو الحسن

المدائني قال: كان يقال: معاوية أحلم وعبدُ الملك أحزم.

وخطب الناسَ عبدُ الملك فقال: أيها

الناس ما أنا بالخليفة المُستضعف - يريد عثمان بن عفان - ولا بالخليفة المُداهن - يريد معاوية

بن أبي سفيان - ولا بالخليفة المأفون - يريد يزيدَ بن معاوية فمن قال برأسه كذا قُلنا بسيفنا

كذا ثم نزل.

وخطب عبد الملك على المنبر فقال: أيها الناس إن الله حدَ حُدوداً وفَرض

فروضاً فما زِلتم تَزْدادون في الذُنب ونزداد في العقوبة حتى اجتمعنا نحن وأنتم عند السيف.

أبو الحسن المدائني قال: قَدِم عمرُ بن علي بن أبي طالب على عبد الملك فسأله أن يُصير إليه

صدقةَ علي.

فقال عبدُ اِلملك متمثلاً بأبيات ابن أبي الحقْيق:

إني إذا مالتْ دَواعي الهَوَى وأنصتَ السامعُ للقائل

لا نَجعل الباطلَ حقًّا ولا نَرْضى بدُون الحقّ للباطل

لا لعمري لا نُخرجها من ولد الحسين إليك.

وأمر له بصلة ورجع.

وقال عبد الملك بن مروان

لأيْمن بن خُريم: إن أباك وعمك كانت لهما صحبة فخذ هذا المال فقاتل ابن الزبير.

فأبى فشتمه

عبد الملك.

فخرج وهو يقول:

فلستُ بقاتل رجلاً يُصلِّي على سلطان آخرَ من قُريش

له سلطانُه وعليَّ إثمِي معاذَ اللهّ من سَفَه وطَيْش

وقال أيمن بن خُريم أيضاً:

إنّ للفتنة هَيْطا بينا فرُويدَ المَيلَ منها يَعْتدِلْ

فإذا كان عطاءٌ فانتهز وإذا كان قِتال فاعتزل

إنما يُوقدها فُرْساننا حَطبَ النار فَدَعْها تشتعل

وقال زُفر بن الحارث لعبد الملك بن مَروان: الحمد لله الذي نَصرك على كُره من المؤمنين.

فقال

أبو زعيزعة: ما كره ذلك إلا كافر.

فقال زُفَر: كذبت قال الله لنبيّه: " كما أخرجك ربك من

بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ".

وبعث عبد الملك بن مروان إلى المدينة حبيش بن

دلجة القيسي في سبعة آلاف.

فدخل المدينةَ وجلس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فدعا بخبز ولحم فأكل ثم دعا بماء فتوضأ على المنبر ثم دعا جابر بن عبد الله صاحبَ النبي

صلى الله عليه وسلم فقال: تُبايع لعبد الملك بن مروان أمير المؤمنين بعَهد الله عليك وميثاقه

وأعظم ما أخذ الله على أحد من خَلقه في الوفاء فإن خُنتنا فَهَراق اللّه دَمك على ضلال.

قال: أنت أطوقُ لذلك مني ولكن أبايعه على ما بايعتُ عليه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

يوم الحُديبية على السمع والطاعة.

ثم خرج ابنُ دُلْجة من يومه ذلك إلى الربذة وقدم على أثره

من الشام رجلاًن مع كل واحد منهما جَيش ثم اجتمعوا جميعاَ في الربذة وذلك في رمضان

سنة خمس وستين.

وأميرُهم ابن دلجة.

وكتب ابنُ الزبير إلى العبّاس بن سَهل الساعديّ بالمدينة

أن يَسير إلى حُبيش بن دُلجة.

فسار حتى لَقِيه بالربذة.

وبعث الحارث بن عبد اللّه بن أبي ربيعة

- وهو عامل ابن الزبير على البصرة - مدداً إلى العباس بن سهل حُنيفَ بن السَّجف في

تسعمائة من أهل البصرة.

فساروا حتى انتهوا إلى الربذة.

فبات أهلُ البصرة وأهل المدينة يقرأون

القرآن ويُصلون.

وبات أهل الشام في المَعازف والخمور فلما أصبحوا غَدوا على القِتال فقُتل

حُبيش بن دُلجة ومن معه.

فتحصّن منهم خمسمائة رجل من أهل الشام على عمود الربذة وهو

الجبل الذي عليها وفيهم يوسف أبو الحجَّاج فأحاط بهم عباس بن سهل فطلبوا الأمان فقال:

انزلوا على حُكمي فنزلوا عَلى حكمه فضرب أَعناقَهم أجمعين.

ثم رجع عبّاس بن سهل إلى

المدينة وبعث عبدُ اللّه بن الزُّبير ابنَه حمزة عاملاً عَلَى البصرة فاستضعفه القومُ فبعث أخاه

مُصعب بن الزُّبير فقدم عليهم فقال: يا أهل البصرة بلغني أنه لا يَقْدَم عليكم أمير إلا لَقّبتموه

إني ألقَب لكم نفسي: أنا القصَّاب.

خبر المختار بن أبي عبيد

ثم أرسل عبدُ اللّه بن الزبير إبراهيمَ بن محمد بن طلحة أميراً عَلَى الكوفة ثم عزله وأرسل

المختار بن أبي عُبيد.

وأرسل عبدَ الملك عبيدَ اللّه بن زياد إلى الكوفة.

فبلغ المختارَ إقبالُ

عبيد الله بن زياد فوجّه إليهم إبراهيم بن الأشتر في جيش فالتقوا بالجازِر وقَتل عبيدَ اللّه بن

زياد وحُصين بن نمير وذا الكَلاع وعامة من كان معهم.

وبعث برؤوسهم إلى عبد اللّه بن الزبير.

أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدّثنا شرَيك بن عبد اللّه عن أبي الجُويرية الجَرْمي قال: كنتُ فيمن

سار إلى أهل الشام يوم الجازِر مع إبراهيم بن الأشتر فلقيناهم بالزَّاب فهبت الريحُ لنا عليهم

فأدبروا فقتلناهم عَشِيّتنا وليلتنا حتى أصبحوا: فقال إبراهيم: إني قتلت البارحة رجلاً

فوجدتُ عليه ريح طِيب فالْتَمِسوه فما أراه إلا ابن مَرْجانة.

فانطلقنا فإذا هو والله مَعْكوس

في بطن الوادي.

ولما التقى عُبيد الله بن زياد وإبراهيم بن الأشتر بالزاب قال: مَن هذا الذي يُقاتلني قيل له:

إبراهيم بن الأشتر.

قال: لقد تركته أمس صبيّا يلعب بالحَمام.

قال: ولما قُتل ابن زياد بَعث

المختارُ برأسه إلى عليّ بن الحسين بالمدينة.

قال الرسول: فقدمتُ به عليه انتصافَ النهار وهو

يتغدّى قال: فلما رآه قال: سبحان اللّه! ما اغتر بالدَّنيا إلا مَن ليس للّه في عُنقه نِعْمة! لقد

أدخل رأس أبي عبدِ اللّه على ابن زياد وهو يتغدّى.

وقال يزيد بن مُفَرّغ:

إنَّ الذي عاش ختّاراً بذمَّته وماتَ عَبداً قتيلُ الله بالزَّابِ

ثم إن المختار كتب كتاباً إلى ابن الزبير وقال لرسوله: إذا جئت مكة فدفَعتَ كتابي إلى ابن

الزبير فأتِ المهديّ - يعني محمدَ بن الحفنية - فاقرأ عليه السلام وقل له: يقول لك أبو إسحاق:

إني أحبك وأحب أهل بيتك.

قال: فأتاه فقال له ذلك.

فقال: كذبتَ وكذب أبو إسحاق

وكيف يُحبني ويُحب أهل بيتي وهو يُجلس عمر بن سعد عَلَى وسائده وقد قتل الحُسين! فلما

قدم عليه رسولُه وأخبره.

قال المختار لأبي عمرو صاحب حرسه: استأجر لي نوائح يَبكين

الحُسين على باب عمر بن سَعد ففَعل.

فلما بكيَن قال عمر لابنه حَفْص: يا بني ايت الأمير

فقل له: ما بالَ النوائح يبكين الحسين على بابي فأتاه فقال له ذلك.

فقال: إنه أهلٌ أن يُبكى

عليه.

فقال: أصلحك اللهّ انههن عن ذلك.

قال: نعم تم دعا أبا عمرو صاحبَ حَرسه قال

له: اذهب إلى عمر بن سعد فأتني برأسه.

فأتاه فَقَام له: قم إليّ أبا حفص.

فقام إليه وهو

مُلتحف بملحفة فجلّله بالسيف فقتله وجاء برأسه إلى المختار.

ثم قال: ائتوني بابن عمر.

فلما

حضره قال: أتعرف هذا قال: نعم رحمه اللهّ.

قال: أتحب أن نُلحقك به قال: لا خير في

العَيش بعده.

فأمر به فضُرب عنقه.

ثم إن المختار لما قَتل ابنَ مَرْجانة وعمر بن سعد جعل يَتْبع

قتلة الحسين بن علي ومن خَذله فقتلهم أجمعين وأمر الحُسينية وهم الشيعة أن يطوفوا في أزقَّة

المدينة بالليل ويقولوا: يا ثارات الحسين! فلما أفناهم ودانت له العراق ولم يكن صادق النيَّة ولا

صحيحَ المذهب وإنما أراد أن يَستأصل الناس فلما أدرك بُغيته أظهر قُبح نيّته للناس فادّعى

أنّ جبريل ينزل عليه ويَأتيه بالوحي من اللّه.

وكتب إلى أهل البصرة: بلغني أنكم تُكَذبونني

وتكذبون رُسلي وقد كُذبت الأنبياء من قبلي ولست بخير من كثير منهم.

فلما انتشر ذلك

عنه كَتَب أهلُ الكوفة إلى ابن الزبير وهو بالبَصَرة فخرج إليه.

وبَرز إليه المختار فأسلمه

إبراهيمُ بن الأشتر ووُجوه أهل الكوفة فقتله مُصعب وقَتل أصحابَه.

أبو بكر بنُ أبي شَيبة قال:

قيل لعبد الله بن عمر: إن المختار ليزعم أنه يوحَى إليه.

قال: صَدق الشياطين يوحون إلى

أوليائهم.

وقَتل مصعبٌ من أصحاب المختار ثلاثةَ آلاف.

ثم حج سنة إحدى وسبعين

فقَدِم على أخيه عبد اللّه بن الزبير ومعه وجوه أهل العراق فقال: يا أمير المؤمنين قد جئتُك

بوجوه أهل العراق ولم أدعْ لهم بها نظيراً فأعطهم من المال.

قال جِئتني بعبيد أهل العراق

لأعطيَهم من مال اللّه وددتُ أنّ لي بكل عشرْة منهم رجلاً من أهل الشام صَرْفَ الدينار

بالدرهم.

فلما انصرف مُصعب ومعه الوفدُ من أهل العراق وقد حِرمهم عبدُ الله بن الزبير ما

عنده فسدت قلوبهم فراسلوا عبد الملك بن مروان حتى خرج إلى مصعب فقتله.

فيُ بن عبد

العزيز عن حجاج عن أبي معشر قال: لما بَعث مُصعبٌ برأس المختار إلى عبد اللّه بن الزُّبير

فوُضع بين يديه قال: ما مِن شيء حَدَثنيه كعبُ الأحبار إلا قد رأيتُه غيرَ هذا فإنه قال لي:

يَقتلك شاب من ثقيف فأراني قد قتلتُه.

وقال محمد بن سيرين لما بلغه هذا الحديث: لم يعلم

ابنُ الزبير أنّ أبا محمد قد خُبىء له.

ولما قتل مصعب المختارَ بن أبي عُبيد ودانت له العراق

كلها: الكوفة والبصرة

قال فيه عبيدُ اللهّ بن قيس الرّقيات:

كيف نَوْمي على الفِراش ولما تَشْمَل الشامَ غارةٌ شَعْوَاءُ

تُذْهلُ الشيخَ عن بنيه وتُبْدِي عن خِدام العَقِيلةُ العَذْرَاء

إنما مصعبٌ شهاب من الل ه تجلّت عن وَجْهه الظلْماء

وتزوج مُصعب - لما ملك العراقَ - عائشة بنت طلحة وسُكينة بنت الحُسين ولم يكن لهما

نظير في زمانهما.

وقَتل مصعب امرأةَ المختار وهي ابنة النُّعمان بن بَشير الأنصاري فقال فيها

عمرُ بن أبي ربيعة المَخزومي:

إنَّ من أعظمِ المَصائب عندي قَتْل حَوْراءَ غادةٍ عَيْطَبول

قُتلت باطلاً على غير ذَنْب إن للّه دَرَّها مَن قَتيل

كُتب القَتل والقِتال علينا وعلى الغَانيات جَرُ الذيول

مقتل عمرو بن سعيد الأشدق

أبو عُبيد عن حجّاج عن أبي مَعشرِ قال: لما قَدم مُصعب بوجوه أهل العراق على أخيه عبد

اللهّ بن الزُبير فلم يُعطهم شيئاً أبغضوا ابنَ الزُّبير وكاتَبوا عبد الملك بن مروان فخرج يُريد

مصعبَ بن الزبير فلما لِم أخذ في جَهازه وأراد الخُروج أقبلت عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية في

جَواريها وقد تزينت بالحُلى فقالت: يا أمير المؤمنين لو قعدت في ظلال مُلكك ووجهت إليه

كلْباً من كلابك لكَفاك أمرَه.

فقال: هيهات! أما سمعت قولَ الأول:

قَوْمٌ إذا ما غَزَوْا شَدوا مآزرَهم دون النِّساء ولو باتت بأطْهارِ.

فلما أبى عليها وعَزم بكت وبكى معها جواريها.

فقال عبدُ الملك: قاتل اللّه ابنَ أبي جُمعة

كأنه ينظر إلينا حيث يقول:

نهته فلما لم تَر النّهي عاقَه بَكت فَبكى مما دهاها قَطِينُها

ثم خرج يُريد مصعب فلما كان من دِمشق على ثلاث مراحل أغلق عمرو بن سعيد دمشقَ

وخالف عليه فقيل له: ما تصنعِ أتريد العراق وتَدع دمشق أهلُ الشام أشدّ عليك من أهل

العراق فرجع مكانه فحاصر أهلٍ دمشق حتى صالح عمرو بن سَعيد على أنه الخليفةُ بعدَه

وأن له مع كل عامل عاملا.

ففَتح له دمشق وكان بيت المال بيد عمرو بن سَعيد فأرسل إليه

عبدُ الملك: أن أخْرِج للحَرس أرزاقهم.

فقال: إذا كان لك حَرس فإنِّ لنا حَرساً أيضاً.

فقال

عبد الملك: أخرج لحرسك أيضاً أرزاقَهم.

فلما كان يوم من الأيام أرسل عبدُ الملك إلى عمرو بن

سعيد نِصف النهارَ أن ائتني أبا أمية حتى أدبِّر معك أموراً.

فقالت له امرأته: يا أبا أمية لا

تذهب إليه فإنني أتخوّف عليك منه.

فقال: أبو الذباب! واللّه لو كنت نائماً ما أيقظنِي.

قالت:

واللّه ما آمنُه عليك وإني لأجد ريح دم مَسْفوح.

فما زالت به حتى ضربها بقائم سيفه

فشجَّها.

فخرج وخرج مه أربعة آلاف من أبطال أهل الشام الذين لا يُقدر على مثلهم مسلّحين

فأحدقوا بخَضراء دِمشق وفيها عبدُ الملك فقالوا: يا أبا أُمية إن رابك رَيب فأسمعنا صوتَك.

قال: فدخل فجعلوا يصيحون: أبا أمية! أسمعنا صوتك وكان معه غلام أسحم شُجاع فقال

له: اذهب إلى الناس! فقل لهم: ليس عليه بأس.

فقال له عبد الملك: أمكراً عند الموت أبا

أمية! خُذوه فأخذوه.

فقال له عبد الملك: إني أقسمتُ إن أمكنتني منك يدٌ أن أجعل في

عُنقك جامعة وهذه جامعة من فِضَّة أريد أن أبِرّ بها قَسمي.

قال: فطَرح في رقبته الجامعة ثم

طَرحه إلى الأرض بيده.

فانكسرت ثنيَته فجعل عبدُ الملك ينظر إليه.

فقال عمرو: لا عليك يا

أمير المؤمنين عَظْم انكسر.

قال: وجاء المُؤذنون فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين لصلاة الظهر

فقال لعبد العزيز بن مروان: اقتله حتى أرجع إليك من الصلاة.

فلما أراد عبدُ العزيز أن يَضرب

عُنقه قال له عمرو: نشدتُك بالرِّحم يا عبد العزيز أن لا تَقْتلني من بينهم فجاء عبدُ الملك فراه

جالساً فقال: مالك لم تقتله! لَعنك اللهّ ولعن أمَّا ولدتك.

ثم قال: قَدِّموه إليّ فأخذ الحَرْبة

بيده فقال عمرو: فعلتها يا بن الزَرقاء! فقال له عبدُ الملك: إني لو علمتُ أنك تَبقى ويَصْلح لي

ملكي لفديتُك بدم النَّاظر.

ولكن قلّما اجتمع فَحلان في ذَوْد إلا عدا أحدُهما على الآخر ثم

رفع إليه الحربة فقتله.

وقعد عبدُ الملك يُرْعَد ثم أمر به فأدرج في بساط وأدخل تحت السَرير.

وأرُسل إلى قَبيصة بن ذُؤيب الخُزاعيّ فدخل عليه فقال: كيف رأيك في عَمرو بن سعيد

الأشدق قال: وأبصر قبيصةُ رجلَ عمرو تحت السرير فقال: اضرب عنقه يا أمير المؤمنين.

قال: جَزاك اللّه خيراً أما علمتُ إنك لموفّق.

قال قبيصة: اطْرح رأسه وانثُر على الناس الدَّنانير

يَتشاغلون بها.

ففعل وافترق الناس وهَرب يحيى بن سَعيد بن العاص حتى لحق بعبد اللهّ بن

الزُبير بمكة فكان معه.

وأرسل عبدُ الملك بن مروان بعد قتله عمرو بن سعيد إلى رجل كان

يَستشيره وُيصْدر عن رأيه إذا ضاق عليه الأمر فقال له: ما ترى ما كان من فِعلي بعَمرو ابن

سعيد قال: أمرٌ قد فات دَرَكه.

قال: لتقولن.

قال: حَزْم لو قتلتَه وحَييت أنت.

قالت: أو

لستُ بحيّ قال: هيهات! ليس بحيّ من أوقف نفسَه موقفاً لا يُوثق منه بعهد ولا عَقد.

قال:

كلام لو تقدَّم سماعُه فِعلي لأمسكتُ.

ولما بلغ عبد اللّه بن الزبير قتلُ عمرو بن سعيد صَعد

المنبرِ فحمد اللّه وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن عبد الملك بن مروان قتل لَطِيم الشيطان

كذلك نُولِّي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون.

مقتل مصعب بن الزبير

فلما استقرت البيعةُ لعبد الملك بن مروان أراد الخُروج إلى مُصعب بن الزبير فجعل يَستنفر أهل

الشام فيُبطئون عليه فقال له الحجاجُ بن يوسف: سَلطني عليهم فوالله لأخرجنَّهم معك.

قال

له: قد سَلطتك عليهم.

فكان الحجَّاج لا يَمر على باب رجل منِ أهل الشام قد تخّلف عن

الخروج إلا أحرق عليه دارَه.

فلما رأى ذلك أهلُ الشام خرجوا وسار عبدُ الملك حتى دنا من

العراق.

وخرج مصعب بأهل البصرة والكوفة فالتقوا بين الشام والعراق.

وقد كان عبد الملك

كتب كُتباً إلى رجاله من وجوه أهل العراق يدعوهم فيها إلى نَفسه ويَجعل لهم الأموال وكتب

إلى إبراهيم بن الأشتر بمثل ذلك على أن يَخْذلوا مُصعبا إذا التقَوْا.

فقال إِبراهيم بن الأشتر

لمُصعب: إن عبد الملك قد كتب إليّ هذا الكتاب وقد كتب إلى أصحابي بمثل ذلك فادعُهم

الساعةَ فاضرب أعناقَهم قال: ما كنت لأفعل ذلك حتى يَستبين لي أمرهم.

قال: فأخرى.

قال:

ما هي قال: احبِسْهم حتى يَستبين لك ذلك.

قال: ما كُنت لأفعل.

قال: فعليك السلام وِالله

لا تَراني بعدُ في مجلسك هذا أبداً.

وقد كان قال له: دَعْني أدعو أهلَ الكوفة بما شرطه الله

فقال: لا واللّه قتلتهُم أمس وأستنصر بهم اليوم! قال: فما هو إلا أن التَقوا فحولوا وُجوههم

وصاروا إلى عبد الملك.

وبقي مُصعب في شِرْذمة قليلة.

فجاءه عُبيد الله بن زياد بن ظَبيان

وكان مع مُصعب فقال: أين الناس أيها الأمير فقال: قد غدرتم يا أهل العراق! فرفع عُبيد اللّه

السيفَ ليضرب مُصعبا فبدره مُصعب فضربه بالسيف على البَيضة فنَشِب السيفُ في

البَيضة فجاء غلامُ لعُبيد اللّه ابن زياد بن ظَبيان فضرب مُصعبا بالسيف فقَتله.

ثم جاء عُبيدُ

اللّه برأسه إلى عبد الملك بن مروان وهو يقول:

نُطيع مُلوك الأرض ما أقْسَطوا لنا وليس علينا.

قَتْلُهم بمُحَرم

قال: فلما نظر عبدُ الملك إلى رأس مُصعب خَر ساجداً.

فقال عُبيد الله بن زياد بن ظَبيان

وكان من فُتّاك العرب: ما ندمتُ على شيء قطُّ ندَمي على عبد الملك بن مروان إذ أتيتُه برأس

مُصعب فخر ساجداً أن لا أكون ضربت عنقه فأكون قد قَتلت مَلِكي العرب في يوم واحد.

وقال في ذلك عُبيد اللهّ ابن زياد بن ظَبيان:

هَممتُ ولم أفعل وكِدْتُ ولَيتني فعلتُ فأدْمنت البُكا لأقارِبه

فأوردتُها في النّار بكرَ بنَ وائلٍ وألحقتُ مَن قد خَرَّ شُكْراً بصاحبِه

الرياشي عن الأصمعي قال: لما أُتي عبدُ الملك برأس مُصعب بن الزبير نظر إليه مليّاً ثم قال:

متى تَلد قُريش مثلَك! وقال: هذا سيّد شَباب قُريش.

وقيل لعبد الملك: أكان مُصعب يَشرب الطَلاء فقال: لو علم مُصعب أن الماء يُفسد مروءتُه ما

شرَبه.

ولما قُتل مُصعب دخل الناسُ على عبد الملك يُهنَئونه ودَخل معهم شاعرٌ فأنشده:

اللّه أعطاك التي لا فَوقَها وقد أراد المُلْحِدون عَوْقَها

عنك ويَأبَى اللَّهُ سَوْقَها إليك حتى قَلّدُوكَ طَوْقها

فأمر له بعشرة آلاف درهم.

وقالوا: كان مُصعب أجلَ الناس وأسخى الناس وأشجع الناس.

وكان تحته عَقيلتا قُريش: عائشة بنت طلحة وسكَينةُ بنت الحسين.

ولما قُتل مُصعب خرجت

سُكينة بنت الحسين تُريد المدينة فأطاف بها أهل العراق وقالوا: أحسنَ اللهُ صحابتَك يا ابنةَ

رسول الله.

فقالت: لا جزاكم الله عني خيراً ولا أخلف عليكم بخير من أهل بلد قتلتم أبي

وجدي وعمّي وزَوْجي أيتمتموني صغيرةً وأرملتموني كبيرة.

ولما بلغ عبد اللّه بن الزبير قتلُ

مصعب صَعِد المنبر فجلس عليه ثم سكت فجعل لونُه يحمر مرة ويصفرّ مرة فقال رجل من

قُريش لرجل إلى جنبه: ماله لا يتكلم! فوالله إنه لَلخطيب اللَّبيب.

فقال له الرجل: لعلّه يريد أن

يَذْكر مَقتل سيّد العرب فيشتدِّ ذلك عليه وغير ملوم.

ثم تكلَم فقال: الحمدُ لله الذي له الخَلقُ

والأمر والدنيا والآخرة يُؤتي المُلك مَن يشاء ويَنزع الملك ممن يشاء ويُعز من يشاء ويُذل مَن

يشاء أما بعد.

فإنه لم يَعِزّ مَن كان الباطل معه ولو كان معه الأنام طُراً ولم يَذِل من كان الحقّ

معه ولو كان فرداً.

ألا وإنّ خبراً من العراق أتانا فأحزننا وأفرحنا فأما الذي أحزننا فإنّ لفراق

الحميم لوعةً يجدها حميمهُ ثم يَرْعوى ذوو الألباب إلى الصبر وكريم الأجر وأما الذي أفرحنا

فإن قَتل مصعب له شهادةٌ ولنا ذَخيرة.

أسلمه الطغام والصلْم الآذان أهلُ العراق وباعوه بأقل

من الثمن الذي كانوا يأخذون منه فإن يُقتَل فقد قُتل أخوه وأبوه وابنُ عمه وكانوا الخيارَ

الصالحين.

أما والله لا نموت حتف أُنوفنا كما يموت بنو مروان ولكن قَعْصاً بالرماح وموتاً تحت

ظلالِ السيوف فإن تقبل الدنيا علي لم آخذها مأخذَ الأشرِ البَطِر وإن تدْبر عني لم أبْك عليها

بُكاء الخَرِف الزائل العَقْل.

ولما توطَّد لابن الزُبير أمرُه ومَلك الحرمين والعراقين أظهر بعضُ بني

هاشم الطعنَ عليه وذلك بعد موت الحسن والحسين فدعا عبدَ الله بن عبّاس ومحمدَ بن الحنفية

وجماعةً من بني هاشم إلى بيعته فأبَوْا عليه فجعل يَشْتمهم ويَتناولهم على المِنبر وأسقط ذكرَ

النبيّ صلى الله عليه وسلم من خُطبته فعُوتب على ذلك فقال: واللّه ما يمنعني أني لا أذكره

علانية من ذِكْره سرّاً وأُصلّي عليه ولكن رأيتُ هذا الحي من بني هاشم إذا سمعوا ذِكرَه

اشرأبت أعناقُهم وأبغض الأشياء إلي ما يسرهم.

ثم قال: لتبايعُنَ أو لأحرقنكم بالنار.

فأبوا

عليه فحبَس محمدَ بن الحنفية في خمسةَ عشر من بني هاشم في السجن وكان السجنُ الذي

حَبسهم فيه يقال له سِجن عارم.

فقال في ذلك كُثير عَزَّة وكان ابنُ الزُبير يُدعى العائذ لأنه عاذ

بالبيت:

تخبَرُ مَن لاقيتَ أنك عائذ بل العائذ المَظلوم يفي سِجْن عارِم

سَميُّ النبيّ المصطفى وابنُ عمه وفَكّاكُ أغلالٍ وقاضي مَغارم

وكان أيضاً يُدعى المحِلّ لإحلاله القِتال في الحَرم.

وفي ذلك يقول رجل من الشعراء في رَملة بنت

الزُّبير:

ألا مَن لِقَلْب مُعنَى غَزِلْ بذِكْر المُحِلّة أُخت المُحلّ

ثم إن المختارَ بن أبي عُبيد وجّه رجالاً يثق بهم من الشِّيعة يَكْمنون النهارَ ويسيرون الليل

وخطب عبدُ اللّه بن الزبير بعد موت الحَسن والحُسين فقال: أيها الناس إن فيكم رجلاً قد

أعمى اللّه قلبَه كما أعمى بصرَه قاتل أُمّ المؤمنين وحواريّ رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم

وأفتى بزواج المُتعة.

وعبدُ اللّه بن عباس في المسجد فقام وقال لعِكرمة: أقِم وَجْهي نحوه يا

عكرمة ثم قال هذا البيت:

إن يأخذ اللّهُ من عَيْنَيّ نورَهما ففي فُؤادِي وعَقْلي منهما نُورُ

وأما قولُك يا بن الزبير إني قاتلت أُمّ المؤمنين فأنت أخرجتها وأبوك وخالُك وبنا سُمِّيت أم

المؤمنين فكُنّا لها خيرَ بنين فتجاوزَ اللّه عنها.

وقاتلتَ أنت وأبوك عليّا فإن كان عليّ مؤمناً

فقد ضللتم بقتالكم المؤمنين وإن كان كافراً فقد بؤُتم بسُخط من اللّه بفراركم من الزَّحف.

وأما

المُتعة فإني سمعتُ عليّ بن أبي طالب يقول: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم رخّص

فيها فأفتيتُ بها ثم سمعتهُ يَنهي عنها وأول مِجْمر سطَع في المُتعة مجمر آل الزبير.

مقتل عبد اللّه بن الزبير

أبو عُبيد عن حجّاج عن أبي مَعْشر قال: لما بايع الناسُ عبدَ الملك بن مروان بعد قَتْل مُصعب

بن الزبير ودخل الكوفة قال له الحجّاج: إني رأيتُ في المَنام كأني أسْلُخ ابنَ الزُّبير من رأسه إلى

قَدميه.

فقال له عبدُ الملك: أنت له فاخرج إليه.

فخرج إليه الحجاج لا ألف وخمسمائة حتى

نزل الطائفَ.

وجعل عبدً الملك يُرسل إليه الجيوش رَسَلا بعد رَسَل حتى تَوافي إليه الناسُ

قدرَ ما يظن أنه يَقْوى على قتال ابن الزبيرِ وكان ذلك في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين.

فسار

الحجاجُ من الطائف حتى نزل مِنَى فحجَّ بالناس وابنُ الزبير مَحصور ثم نَصب الحجاجُ المجانيق

على أبي قُبيس وعلى قُعيْقان ونواحي مكة كُلِّها يرمي أهلَ مكة بالحجارة.

فلما كانت الليلةُ

التي قُتل يا صبيحتها ابنُ الزبير جمع ابنُ الزبير مَن كان معه من القرشيين فقال: ما ترون فقال

رجلٍ من بني مخزوم مِن آل بني ربيعة: واللّه لقد قاتلنا معك حتى لا نَجد مقيلًا ولئن صبرنا

معك ما نزيد على أن نموت وإنما هي إحدى خَصْلتين: إما أن تأذن لنا فنأخذ الأمان لأنفسنا

وإما أن تأذن لنا فَنخرج.

فقالت ابن الزبير: لقد كنتُ عاهدتُ الله أن لا يبايعني أحدٌ فأُقيله

بيعتَه إلا ابن صفوان.

فقال ابن صفوان: أما أنا فإني أقاتل معك حتى أموت بموتك وإنها

لتأخذني الحَفيظة أن أسلمك في مثل هذه الحالة.

وقال له رجل آخر: اكتب إلي عبد الملك بن

مروان.

فقال له: كيف أكتب: من عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الملك بن مروان فواللّه لا يَقبل

هذا أبداً أم أكتب: لعبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من عبد الله بن الزبير فواللّه لأن تقع

الخَصْراء على الغبراء أحبّ إليّ من ذلك.

فقال عُروة بن الزُّبير وهو جالس معه على السرير: يا

أمير المؤمنين قد جعل الله لك أُسوة.

قال: من هو قال: حسن بن عليّ خَلع نفسه وبايع

مُعاوية.

فرفع ابنُ الزبير رِجْلَه فضرب بها عُروة حتى ألقاه عن السرِير وقال: يا عروة قلبي إذا

مثلُ قَلبك! واللّه لو قبلتُ ما تقولون ما عِشْت إلا قليلا وقد أخذت الدَنيَّة وإن ضربة بسيف

في عِزّ خيرٌ من لَطْمَة في ذُلّ.

فلما أصبح دخل عليه بعضُ نسائه وهي أُم هاشم بنت منصور

بن زياد القَزارية فقال لها: اصنعي لنا طعاماً فصنعت له كبداً وسَناماً.

فأخذ منه لُقمة

فلاكها ثم لفَظها ثم قال: اسقوني لَبناً.

فأُتي بلبن فشرب منه.

ثم قال: هَيِّئوا لي غُسلا فاغتسل

ثم تحنط وتَطيَّب ثم نام نومة وخَرج ودَخل على أمه أسماء بنت أبي بكر ذات.

النِّطاقين

وهي عمياء وقد بلغت مائة سنة فقال: يا أماه ما ترين قد خَذلني الناس وِخَذلني أهلُ

بيتي فقالت: لا يلعبن بِك صِبيان بني أُمية عِشْ كريماً ومُت كريماً.

فخرج فأسند ظهرَه إلى

الكعبة ومعه نفرٌ يسير فجعل يُقاتلهم ويَهْزِمهم وهو يقول: ويله! يا له فتْحا لو كان له رجال!

فناداه الحجاج: قد كان لك رجال فضيّعتَهم.

وجعل ينظر إلى أبواب المسجد والناس يَهْجُمون

عليه فيقول: مَن هؤلاء فيقال له أهلُ مصر.

قال: قَتلة عثمان! فحمل عليهم وكان فيهم رجل

من أهل الشام يقال له خَلبوب فقال لأهل الشام: أما تستطيعون إذا ولَّى ابنُ الزبير أن لأخذوه

بأيديكم قالوا: وُيمكنك أنت أن تأخذَه بيدك قال نعم.

قالوا: فشأنَك.

فاقبل وهو يريد أن

يَحتضنه وابنُ الزبير يَرتجز ويقول:

لو كان قِرْني واحداً كفيتُه

فضربه ابنُ الزبير بالسيف فقطع يده.

فقال خَلبوب: حَس قال ابن الزبير: اصبر خَلبوب.

قال:

وجاءه حجر من حِجارة المَنجنيق فأصاب قَفاه فسقط.

فاقتحم أهلُ الشام عليه.

فما فهموا

قتلَه حتى سمعوا جارية تَبكي وتقول: وا أمير المؤمنيناه! فحزّوا رأسه وذهبوا به إلى الحجّاج.

وقُتل معه عبد اللّه بن صَفوان وعُمارة بن حَزم وعبد الله بن مُطيع.

قال أبو معشر: وبعث الحجاجُ برؤوسهم إلى المدينة.

فنَصبوها للناس فجعلوا يُقرّبون رأسَ ابن

صفوان إلى ابن الزبير كأنه يسارّه ويَلعبون بذلك.

ثم بعث برؤوسهم إلى عبد الملك بن مَروان.

فخرجت أسماء إلى الحجاج فقالت له: أتأذن لي أن أدفنه فقد قضيتَ أربك منه قال: لا.

ثم

قال لها: ما ظنّك برجل قَتل عبدَ اللّه بن الزبير قالت: حَسِيبُه اللهّ.

فلما منعها أن تدفنه

قالت: أما إنّي سمعتُ رسول الله يقول: يَخرج من ثقيف رجلاًن: الكذاب والمُبير فأما الكَذاب

فالمُختار وأما المُبير فأنت.

فقال الحجاج: اللهم مُبيرٌ لا كذّاب.

ومن غير رواية أبي عُبيد قال:

لما نَصب الحجاج المجانيق لقتال عبد الله بن الزُبير أظلتهم سحابة فأرعدت وأبرقت وأرسلت

الصواعق ففزع الناس وامسكوا عن القتال.

فقام فيهم الحجاجُ فقال: أيها الناس لا يهولنكم

هذا فإني أنا الحجاج بن يوسف وقد أصحرتُ لربِّي فلو ركبنا عظيماً لحال بيننا وبينه.

ولكنها جبال تهامة لم تزل الصواعقُ تنزل بها.

ثم أمر بكُرسيّ فطُرح له ثم قال: يا أهل الشام

قاتلوا على أعطيات أمير المؤمنين.

فكان أهلُ الشام إذا رَموا الكعبة يَرْتَجزون ويقولون هذا:

خَطّارة مثل الفَتِيق المُزْبِد يُرمى بها عُوّاذ أهل المَسجد

ويقولون أيضاً: دِري عُقاب بلبن وأشخاب.

فلما رأى ذلك ابن الزُّبير خرج إليهم بسيفه فقاتلهم

حيناً.

فناداه الحجِّاج: ويلك يا بن ذات النَطاقين! اقْبل الأمان وادْخل في طاعة أمير المؤمنين.

فدخل على أمه أسماء فقال لها: سمعتِ - رحمك اللّه - ما يقول القومُ وما يَدْعونني إليه من

الأمان قالت: سمعتُهم لعنهم الله! فما أجهلهم وأعجب منهم إذ يُعيرُونك بذات النّطاقين! ولو

علموا ذلك لكان ذلك أعظَم فَخرك عندهم.

قالت: وما ذاك يا أماه قالت: خرج رسولُ اللهّ

صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره مع أبي بكر فهيأت لهما سُفرة فطلبا شيئاً يَرْبطانها بها

فما وجداه فقطعتُ من مِئْزري لذلك ما احتاجا إليه فقال رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم:

أمَا إن لك به نِطاقين في الجنَة.

فقال عبد اللّه: الحمد للّه حمداً كثيراً فما تأمريني به فإنهم قد

أعْطوني الأمان قالت: أرى أن تموت كريماً ولا تتَّبع فاسقاً لئيماً وأن يكون آخر نهارك أكرمَ من

أوله.

فَقبَّل رأسها وودّعها وضمّته إلى نفسها.

ثم خرج من عندها فَصعد المنبر فحمد الله

وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنّ الموت قد تغشَاكم سحابُه وأحْدف بكم رَبابُه واجتمع بعد

تَفرّق وارجحنّ بعد تَمشّق ورَجَس نحوكم رعدُه وهو مُفْرغ عليكم وَدْقه وقاد إليكم البلايا

تَتْبعها المنايا فاجعلوا السيوفَ لها غرضاً واستعينوا عليها بِالصبر.

وتمثَّل بأبيات ثم اقتحم

يُقاتل وهو يقول:

قد جَدّ أصحابُك ضرْبَ الأعْناقْ وقامت الحربُ لها على ساقْ

ثم جعل يُقاتل وحده ولا يَهُدّه شيء كلما اجتمع عليه القومُ فرقهم وذادهم حتى أثخن

بالجراحات ولم يستطع النُّهوض.

فدخل عليه الحجّاج فدعا بالنَطع فحزّ رأسه هو بنفسه في

داخل مسجد الكعبة - لا رَحم اللّه الحجّاج - ثم بعث برأسه إلى عبد الملك بن مَروان وقَتَل

من أصحابه مَن ظَفِر به.

ثم أقبل فاستأذن على أمه أسماء بنت أبي بكر ليعزّيها فأذنت له

فقالت له: يا حجّاج قتلتَ عبد الله قال: يا ابنة أبي بكر إني لقاتلُ الملحدين.

قالت: بل

أنت قاتل المُؤمنين الموحَدين.

قال لها: كيف رأيتِ ما صنعتُ بابنك قالت: رأيتك أفسدت

عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك ولا ضَير أنْ أكرمه اللّه على يَديك فقد أهدي رأس يحيى بن

زكريا إلى بَغيّ من بغايا بني إسرائيل.

هشامُ بن عُروة عن أبيه قال: كان عُثمان استخلف عبد

اللّه بن الزُّبير على الدار يوم الدار فبذلك ادّعى ابنُ الزبير الخلافَة.

محمد بن سعيد قال: لما

نَصب الحجاج رايةَ الأمان وتصرّم الناسُ عن ابن الزبير قال لعبد الله بن صَفْوان: قد أقلتُك بيعتي

وجعلتُك في سَعة فخُذ لنفسك أماناً.

فقال: مه والله ما أعطيتُك إياها حتى رأيتُك أهلاً لها

وما رأيتُ أحداً أولى بها منك فلا تَضربُ هذه الصلعةَ فتيانُ بني أمية أبداً وأشار إلى رأسه.

قال: فحدثت سليمان بن عبد الملك حديثَه فقال: إني كنت لأراه أعرجَ جباناً.

فلما كانت

الليلة التي قُتل في صباحها ابنُ الزُّبير أقبل عبدُ اللّه بن صفوان وقد دنا أهلُ الشام من المسجد

فاستأذن.

فقالت الجاريةُ: هو نائم.

فقال: أو ليلةُ نوم هذه أيْقظيه فلم تَفعل.

فأقام ثم

استأذن.

فقالت: هو نائم فانصرف.

ثم رجع آخرَ الليل وقد هجم القومُ على المَسجد.

فخرج

إليه فقال: واللّه ما نِمْتُ منذُ عَقلت الصلاة نومي هذه الليلةَ وليلةَ الجمل ثم دعا بالسّواك

فاستاك متمكَناً ثم توضَّأ متمكناً ولبس ثيابَه ثم قال: أنظرني حتى أودِّع أمَّ عبد اللّه فلم يَبقَ

شيء وكان يكره أن يأتيَها فتعزمَ عليه أن يأخذ الأمان فدخل عليها وقد كُفّ بصرُها فسلّم

فقالت: مَن هذا فقال: عبد الله فشمّته ثم قالت: يا بُني مُت كريماً.

فقال لها: إن هذا قد

أمّنني - يعني الحجاج - قالت: يا بني لا تَرضَ الدنيَّة فإن الموت لا بُدّ منه.

قال: إني أخاف

أن يُمثِّلِ بي.

قالت: إن الكَبْش إذا ذُبح لم يأمن السلخ.

قال: فخَرج فقاتل قتالاً شديداً.

فجعل

يَهْزِمهم ثم يَرجع ويقول: يا له فتحاً لو كان له رجال! أو كان المُصعب أخي حَيّاً! فلما حَضرت

الصلاة صلّى صلاته ثم قال: أين باب أهل مصر حَنقاً لعثمان.

فقاتل حتى قتل وقُتل معه

عبدُ اللّه بن صفوان.

وأتي برأسه الحجاجُ وهو فاتح عَينيه وفاه فقال: هذا رجل لم يكن يعرف

القَتل ولا ما يَصير إليه المقتول لذلك فتح عَينيه وفاه.

هشام بن عُروة عن أبيه: إن عبد اللّه بن

الزُّبير كان أولَ مولود وُلد في الإسلام فلما وُلد كبّر النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولما

قُتل كبَر الحجاج ابن يوسف وأهلُ الشام معه.

فقال ابن عمر: ما هذا قالوا: كَبّر أهل الشام

لقتل عبد اللّه بن الزُّبير.

قال: الذين كَبَروا لمولده خيرٌ من الذين كبَروا لقتله.

أيوب عن أبي قُلابة:

شهدتُ ابنةَ أبي بكر غَسّلت ابنها ابنَ الزُّبير بعد شهر وقد تقطعت أوصاله وذُهب برأسه

وكَفّنته وصلّت عليه.

هشام بن عُروة قال: عبدُ اللّه بن عبَّاس للجائز به: جَنِّبني خَشبة ابن

الزُّبير.

فلم يَشعر ليلة حتى عَثر فيها فقال: ما هذا فقال: خَشبة ابن الزبير.

فوقف ودعا له

وقال: لئن عَلثْك رجلاك لطالما وقفتَ عليهما في صَلاتك.

ثم قال لأصحابه: أما واللّه ما عرفتهُ

إلا صَوّاماً قَوّاماً ولكنني ما زلتُ أخاف عليه منذ رأيتهُ أن تُعجبه بَغلاتُ معاوية الشُهب.

قال: وكان معاوية قد حَجّ فدخل المدينة وخلفه خمسَ عشرةَ بغلة شهباء عليها رحائل

الأرجوان فيها الجواري عليهن الجَلابيبُ والمُعَصفرات ففُتن الناس.

أولاد عبد الملك بن مروان

الوليد وسليمان من العَبْسية ويزيد وهشام وأبو بكر ومَسْلمة وسَعيد الخير وعبدُ اللّه

وعَنْبسة والحجاج والمُنذر ومَرْوان الأكبر ومَروان الأصغر - ولم يُعقب مروان الأكبر -

ومحمد ومُعاوية دَرَج.

وفاة عبد الملك بن مروان

توفّي عبد الملك بن مروان بدمشق للنِّصف من شوال سنة ست وثمانين وهو ابن ثلاث وستين

وصلّى عليه الوليد بن عبد الملك.

ووُلد عبدُ الملك في المدينة في دار مَروان سنة ثلاث

وعشرين وكتب عبدُ الملك إلى هشام بن إسماعيل المَخزوميّ وكان عاملَه على المدينة أن

يدعو الناسَ إلى البيعة لابنيه الوليد وسليمان.

فبايع الناسُ غيرَ سعيد بن المُسيِّب فإنه أبى

وقال: لا أبايع وعبدُ الملك حيّ.

فضربه هشام ضرباً مُبرَحاً وألبسه المَسوح وأرسله إلى ثنيَّة

بالمدينة يَقتلونه عندها ويَصْلُبونه فلما انتهوا به إلى الموضع ردّوه.

فقال سَعيد: لو علمتُ أنهم لا

يَصْلبونني ما لبستُ لهم التُّبّان.

وبلغ عبدَ الملك خبرهُ فقال: قَبح اللّه هشاماً مِثل سعيد بن

المُسيِّب يُضرب بالسياط! إنما كان ينبغي له أن يدعوَه إلى البَيعة فإن أب يَضْرب عنقه.

وقال

للوليد: إذا أنا مِتُّ فَضعْني في قبري ولا تَعْصر في عَيْنيك عَصْر الأمة ولكن شَمِّر وائتزر

والبَس للناس جِلْد النمر فمن قال برأسه كذا فقُل بسَيْفك كذا.

ولاية الوليد بن عبد الملك

ثم بُويع للوليد بن عبد الملك في النِّصف من شوال سنة ست وثمانين.

وأم الوليد ولّادة بنت

العباس بن جَزْء بن الحارث بن زُهير بن جَذيمة العَبْسي.

وكان على شُرطته كَعْب بن حمّاد ثم

عَزله وولى أبا نائل بن رِياح ابن عَبدة الغساني.

ومات الوليد يوم السبت في النِّصف من شهر

ربيع الأول سنة ست وتسعين وهو ابن أربع وأربعين.

وصلّى عليه سليمان.

وكانت ولايته

عشرَ سنين غيرَ شهور.

ولد الوليد بن عبد الملك

عبد العزيز ومحمد وعَنْبسة ولم يُعْقِبوا - وأمهم أم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان -

والعباس وبه كان يُكنى ويقال: إنه كان أكبرهم وعمر وبشر ورَوْح وتمّام ومبشر وحَزْم

وخالد ويزيد ويحيى وإبراهيم وأبو عُبيدة ومَسرور ومَنْصور ومَرْوان وصَدقة لأمهات

أولاد.

وأم أبي عُبيدة فَزارية.

وكان أبو عُبيدة ضَعيفاً.

وولي الخلافة من ولد الوليد إبراهيم

شهرين ثم خُلع.

وولي يزيد الكامل شهراً ثم مات.

وكان تمام ضعيفاً هجاه رجل فقال:

بنو الوليد كرامٌ في أرومتهمِ نالوا المكارمَ طُرًّا غيرَ تَمّام

ومَسرور بن الوليد وكان ناسكاً وكانت عنده بنتُ الحجاج.

وكان بِشْر من فتيانهم ورَوْح

من غلمانهم والعباس من فُرسانهم وفيه يقول الفرزدق:

إنَ أبا الحارث العباس نائله مثلُ السماك الذي لا يُخلِف المَطَرَا

وكانت تحته بنتُ قُطَريّ بن الفجاءة سباها وتزوجها.

وله منها: المُؤمّل والحارث وكان عمر

من رجالهم كان له تسعون ولداً ستون منهم كانوا يركبون معه إذا ركب.

وقال رجل من أهل

الشام: ليس من ولد الوليد أحدٌ إلا ومَن رآه يَحسب أنه من أفضل أهل بيته ولو وُزن بهم

أجمعين عبدُ العزيز لرجحهم.

وفيهم يقول جرير:

وبنو الوليد مِن الوليد بمنزلٍ كالبدر حُفّ بواضحاتِ الأنجُم

وعبد العزيز بن الوليد أراد أبوه أن يُبايع له بعد سُليمان فأي عليه سليمان.

وحدّث الهيثم بن

عدي عن ابنٍ عياش قال: لما أراد الوليدُ أن يبايع لابنه عبد العزيز بعد سُليمان أبى ذلك سليمان

وشنِّع عليه فقيل للوليد: لو أمرت الشعراء أن يقولوا في ذلك لعلّه كان يَسكت فتُشهد عليه

بذلك.

فدعا الأقبيل القَيني فقال له: ارتجز بذلك وهو يَسمع.

فدعا سليمان فسايره والأقبيل

خلفه فرفع صوته وقال:

إنَ وليّ العَهد لابن أمه ثم ابنهُ وليّ عهد عمّه

يا ليتها قد خرجت من فمّه

فالتفت إليه سليمان وقال: يا بن الخبيثة من رضي بهذا!

أخبار الوليد

أبو الحسين المدائني قال: كان الوليد أسنَّ ولد عبد الملك وكان يُحبه فتراخَى في تأديبه لشدَة

حُبه إياه فكان لحّاناً.

وقال عبدُ الملك: أضرَنا في الوليد حُبَّنا له.

فلم يُوجِّهه إلى البادية.

وقال

الوليد يوماً وعنده عُمر بن عبد العزيز: يا غلام ادع لي صالح.

فقال الغلام: يا صالحاً.

فقال له

الوليد: انقص ألفاً.

فقال عمر بن عبد العزيز: وأنت يا أمير المؤمنين فزِدْ ألفاً.

وكان الوليد عند

أهل الشام أفضلَ خلفائهم وأكثرَهم فُتوحا وأعظمَهم نفقة في سبيل اللّه بنى مسجدَ دمشق

ومسجدَ المدينة وَوضع المنابر وأعطيِ المجْذومين حتى أغناهم عن سُؤال الناس وأعطى كلَّ

مُقعد خادماً وكل ضرير قائداَ.

وكان يَمر بالبقَّال فيتناول قَبْضة فيقول: بكمْ هذه فيقول:

بفَلْس فيقول: زِدْ فيها فإنك تَربح.

ومَرَّ الوليدُ بمعلّم كُتَّاب فوجد عنده صَبيَّة فقال: ما تَصنع

هذه عندك فقال: أُعلّمها الكتابة والقرآن.

قال: فاجعل الذي يُعلّمها أصغرٍ منها سناً.

وشكا

رجل من بني مخزوم دَيْناً لَزِمه فقال: نَقْضيه عنك إن كُنت لذلك مُستحقّا.

قال: يا أمير

المؤمنين وكيف لا أكوِن مُستحقًّا في مَنزلتي وقَرابتي قال: قرأتَ القرآن قال: لا.

ادْن مني فدنا

منه فنزع العِمامة عن رأسه بقَضيب في يده ثم قَرعه به قَرْعة وقال لرجل من جلسائه: ضُمّ

إليك هذا العِلْج ولا تُفارقه حتى يَقرأ القرآن.

فقام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين اقض دَيْني

فقال له: أتقرأ القرآن قال: نعم.

فاستقرأه عَشْراً من الأنفال وعَشْرا من براءة فقرأ.

فقال نعم

نَقضي دَينك وأنت أهلٌ لذلك.

وركب الوليدُ بعيراً وحادٍ يحدُو بين يديه والوليد يقول:

يا أيها البَكْر الذي أراكا ويحك تَعْلمُ الذي عَلاكا

خليفة الله الذي امتطاكا لم يُحْبَ بكْر مثلَ ما حباكا

ولاية سليمان بن عبد الملك

أبو الحسن المدائني: ثم بويع سُليمان بن عبد الملك في ربيع الأول سنة ست وتسعين.

ومات سنة

تِسع وتسعين بدابِق يوم الجمعة لعشر خلون من صفر وهو ابنُ ثلاثٍ وأربعين.

وصلّى عليه عمرُ

بن عبد العزيز.

وكانت ولايتُه سنتين وعشرةَ أشهر ونصفاً.

وُلد سليمان فصيحاً جميلاً وسيماً

نشأ بالبادية عند أخواله بني عَبْس.

وكانت وِلايتُه يُمناً وبركة افتتحها بخير وختمها بخير.

أما

افتتاحه فيها بخير فردّ المظالم وأخرج المسجونين وبغَزاة مَسلمة بن عبد الملك الصائفة حتى بلغ

القُسطنطينية.

وأما ختمها بخير فاستخلافُه عمرَ بن عبد العزيز.

ولبس يوماً واعتمّ بعمامة

وكانت عنده جارية حجازيّة فقال لها: كيف تَرين الهيئة فقالت: أنت أجملُ العرب لولا!

قال: على ذلك لتقولِنّ.

قالت:

أنت نِعْم المتاعُ لو كنتَ تَبْقى غيرَ أن لا بقاءَ للإنسانِ

أنت خِلو من العُيوب ومما يكره الناسُ غير أنك فاني

قال: فتنغّص عليه ما كان فيه فما لبث بعدها إلا أياماً حتى تُوفي رحمه اللّه.

وتفاخر ولدُ

لعمر بن عبد العزيز وولدٌ لسليمان بن عبد الملك فذكر ولدُ عُمَر فضلَ أبيه وخالِه.

فقال له ولدُ

سُليمان: إن شئتَ فأقْللْ وإن شِئتَ فأكثر فما كان أبوك إلا حسنةٌ من حسنات أبي.

محمد بن

سليمانَ قال: فعل سُليمان في يوم واحد ما لم يَفعله عمرُ بن عبد العزيز في طول عمره: أعتق

سبعين ألفاً ما بين مملوك ومملوكة وبتّتَهم أي كساهم.

والبَتُّ: الكسوة.

ولد سليمان

أيوب وأمه أم أبان بنت الحَكم بن العاص وهو أكبر وَلد سليمان ووليّ عهده فمات في حياة

سليمان وله يقول جرير:

إنّ الإمام الذي ترجى فواضله بعد الإمام ولي العهد أيوبُ

وعبد الواحد وعبدُ العزيز أمهما أمُّ عامر بنت عبدا لله بن خالد بن أسيد.

وفي عبد الواحد

يقول القَضاميّ:

أهل المدينة لا يَحزُنْك حالهم إذا تَخطَأ عبدَ الواحد الأجلُ

قد يُدرك المتأنِّي بعضَ حاجته وقد يكون مع المُستعجل الزَّلل

ولما مات أيوب وليُّ عهد سليمان بن عبد الملك قال ابن عبد الأعلى يَرثيه وكان من خواصه:

ولقد أقولُ لذي الشَماتة إذ رَأى جَزَعي ومَن يَذُق الحوادثَ يَجزع

أبشرِ فقد قَرع الحوادثُ مروتي وأفْرَح بمَرْوتك التي لم تُقْرَع

أيوبُ مَن يَشْمَت بموتك لم يُطق عن نَفسه دَفْعاً وهل مِن مَدْفع

أخبار سليمان بن عبد الملك

أبو الحسن المدائني قال: لما بلغ قُتَيبَةَ بنَ مسلم أنّ سليمان بن عبد الملك عَزله عن خُراسان

واستعمل يزيدَ بن المهلب كتب إليه ثلاث صُحف وقال للرسول: ادفع إليه هذه فإن دَفعها إلى

يزيد فادفع إليه هذه فإن شَتمني فادفع إليه هذه.

فلما سار الرسولُ إليه دفع الكتابَ إليه

وفيه: يا أمير المؤمنين إنّ من بلائي في طاعة أبيك وأخيك كَيْتَ وكَيت.

فدفع كتابَه إلى يزيد.

فأعطاه الرسولُ الكتابَ الثاني وفيه: يا أمير المؤمنين كيف تأمن ابنَ دَحْمة على أسرارك وأبوه

لم يَأْمنه على أمهات أولاده فلما قرأ الكتاب شَتمه وناوله ليزيد.

فأعطاه الثالثَ وفيه: من قُتيبة

بن مُسلم إلى سليمان بن عبد الملك.

سلامٌ على من اتبع الهدى.

أما بعد.

فواللهّ لأوثقنَّ له أخيّةَ

لا ينزِعها المَهر الأرِن.

فلما قرأها قال سُليمان: عَجّلنا على قُتيبة يا غلام جدِّد له عهداَ على

خُراسان.

ودخل يزيدُ بن أبي مُسلم كاتبُ الحجاج على سليمان.

فقال له سليمان: أترى

الحجاج استقر في قَعْرِ جهنم أم هوِ يَهْوى فيها قال: يا أمير المؤمنين إن الحجاج يأتي يوم القيامة

بين أبيك وأخيك فضَعه من النار حيث شئت.

قال: فأمر به إلى الحَبس فكان فيه طولَ

ولايته.

قال محمد بن يزيد الأنصاريّ: فلما وَلي عمرُ بن عبد العزيز بعثني.

فأخرجتُ

مِن السجن مَن حَبسَ سليمان ما خلا يزيدَ بن أبي مُسلم فقد رُدِّ.

فلما مات عمرُ بن عبد

العزيز ولّاه يزيدُ بن عبد الملك إفريقية وأنا فيها فأخِذتُ فأتي بي إليه في شهر رمضان عند

الليل فقال: محمد بن يزيد قلت: نعم.

قال: الحمد للّه الذي مَكّنني منك بلا عَهد ولا عَقْد

فطالما سألتُ الله أن يُمكنني منك.

قلت: وأنا واللّه طالما استعذت باللهّ منك.

قال: فواللهّ ما

أعاذك اللّه منّي ولو أنَّ ملك الموت سابَقني إليك لسبقته.

قال: فأقيمت صلاةُ المغرب فصلّى

ركعة فثارت عليه الجُند فقتلوه وقالوا لي: خُذ أيّ طريق شئت.

وأراد سُليمان بن عبد الملك

أن يَحْجر على يزيد بن عبد الملك وذلك أنه تزوَج سُعدى بنت عبد اللّه بن عمرو بن عثمان

فأصدقها عشرين ألف دينار واشترى جارية بأربعة آلاف دينار.

فقال سليمان: لقد هَممتُ

أن أضربَ على يد هذا السفيه ولكن كيف أصنع بوصيَّة أمير المؤمنين بابني عاتكة: يزيد

ومروان! وحبس سليمانُ بنُ عبد الملك موسى بنَ نُصير وأوحى إليه: اغرم ديتك خمسين مرة.

فقال موسى: ما عندي ما أغرمه.

فقال.

واللّه لتغرمنّها مائةَ مرة.

فحملها عنه يزيدُ بنِ المهلّب

وشكر ما كان من موسى إلى أبيه المهلّب أيامَ بشْر بن مروان وذلك أن بشراَ هَمّ بالمهلّب فكتب

إليه مولى يُحذّره فتمارض المهلَب ولم يأته حين أرسل إليه.

وكان خالد بن عبد اللّه القَسريّ

والياً على المدينة للوليد ثم أقرّه سليمان وكان قاضي مكة طَلحةُ بن هَرم فاختصم إليه رجلٌ

من بني شَيبة الذين إليهم مفتاح الكعبة يقال له الأعجم مع ابن أخ له في أرض لهما فقضى

للشيخ على ابن أخيه وكان متَّصلاً بخالد بن عبد اللّه فأقبل إلى خالد فأخبره فحال خالد بين

الشيخ وبين ما قضى له القاضي.

فكتب القاضي كتاباً إلى سُليمان يشكو له خالداً ووجه

الكتاب إليه معِ محمد بن طلحة.

فكتب سُليمان إلى خالد: لا سبيلَ لك على الأعجم ولا ولده.

فقدِم محمد بن طلحة بالكتاب على خالد وقال: لا سبيلَ لك علينا هذا كتابُ أمير المؤمنين.

فأمر به خالد فضرب مائة سوط قبل أن يُقرأ كتابُ سليمان.

فبعث القاضي ابنَه المضروب إلى

سليمان وبعث ثيابه التي ضُرب فيها بدمائها.

فأمر سليمان بقَطْع يد خالد.

فكلَّمه يزيدُ ابن

المهلب وقال: إن كان ضربَه يا أمير المؤمنين بعد ما قرأ الكتاب تُقطع يده وإن كان ضَربه قبل

ذلك فَعفْو أمير المؤمنين أولى بذلك.

فكتب سُليمان إلى داود بن طلحة بن هرم: إن كان ضَرب

الشيخَ بعدما قرأ الكتاب الذي أرسلته فاقطع يده وإن كان ضَرِبه قبل أن يَقرأ كتابي فاضربه

مائة سوط.

فأخذ داودُ بن طلحة لمّا قرأ الكتاب خالداً فضربه مائة سوط.

فَجزع خالد من

الضَّرب فجَعل يَرفع يديه.

فقال له الفرزدق: ضُم إليك يديك يا بن النّصرانية.

فقال: ليهنأ

الفرزدق وضَمّ يديه.

وقال الفرزدق:

لعمري لقد صُبّت على مَتن خالد شآبيبُ لم يُصْببن من صَبَب القطْرِ

فلولا يزيدُ بن المهلَب حلَقت بكفك فَتْخاء الجَناح إلى الوَكْر

لعمري لقد باع الفرزدقُ عِرضَه بخَسْف وصَلّى وجهَه حامِي الجَمرِ

فكيف يُساوي خالداً أو يَشينُه خَميصٌ من التقوى بَطين من الخَمر

وقال الفرِزدق أيضاً في خالد القَسريّ:

سلوا خالداً لا قدّس اللهّ خالداً متى مَلكت قَسْرٌ قريشاً تدينُها

أقبلَ رسول الله أو بعدَ عَهده فتلك قريش قد أغثَّ سَمينها

رَجَوْنا هُداه لا هَدى اللّه قلبَه وما أمه بالأمِّ يُهْدَى جَنينها

فلم يزل خالد محبوساً بمكة حتى حَج سليمان وكلمه فيه المُفضّلُ بن المهلَّب.

فقال سليمان:

لاطت بك الرحم أبا عثمان إنَ خالداً جَرعني غيظاً.

قال: يا أمير المؤمنين هبني ما كان من

ذنبه.

قال: قد فعلتُ ولا بد أن يَمشي إلى الشام راجلًا.

فمشى خالدٌ إلى الشام راجلًا.

وقال

الفرزدق يمدحُ سليمان ابن عبد الملك.

سُليمان غَيّث المُمْحِلين ومَن به عن البائس المِسْكين حلَتْ سَلاسِلُه

وما قام من بَعد النبيّ محمدٍ وعُثْمانَ فوق الأرض راعٍ يماثلُه

جعلت مكان الجَوْر في الأرض مثلَه من العَدْل إذ صارت إليك محامله

وقد عَلموا أنْ لن يَميل بك الهَوى وما قلتَ منِ شيءٍ فإنك فاعله

زياد عن مالك: إن سليمان بن عبد الملك قال يوماً لعمرَ بن العزيز: كذبتَ! قال: واللّه ما

كذبتُ منذ شَدَدْتُ عليّ إزاري وإنّ في غير هذا المجلس لسَعة وقام مُغضباً فتجهّز يريد

مصر.

فأرسل إليه سليمان فدخل عليه فقال له: يا بن عمّي.

إن المعاتبة تَشق عليّ ولكن

واللهّ ما أهمّني أمرٌ قط من دِيني ودنياي إلا كنتَ أولَ من أذْكره لك.

وفاة سليمان بن عبد الملك

قال رجاء بن حَيْوة: قال لي سُليمان: إلى من تَرى أن أعهد فقلتُ: إلى عمر بن عبد العزيز.

قالت: كيف نصنع بوصية أمير المؤِمنين بابني عاتكة مَن كان منهما حيا قلتُ: تجعل الأمرَ

بعده ليزيد.

قالت: صدقت.

قال: فكتب عهدَه لعمر ثم ليزيد بعده.

ولما ثَقُل سليمانُ قال:

ائتوني بقُمُص بَني أنظر إليها.

فأتي بها فنَشرها فرآها قصاراً فقال:

إن بَني صِبْيَةٌ صِغَار أفلح مَن كان له كِبار

فقال لَه عمر: أفلحَ مَنْ تَزَكَى.

وذَكَر اسم ربّه فصَلّى.

وكان سببُ موت سليمان بن عبد الملك أنَّ نصرانياً أتاه وهو بدابق بزِنْبيل مملوء بَيضاً وآخر

مَملوء تِيناً.

قال: قشَروا فقَشرّوا.

فجعل يأكل بَيضة وتينة حتى أتى على الزِّنبيلين.

ثم أتوه

بقَصْعة مملوءة مُخا بسُكر فأكله فأتخم فَمرض فمات.

ولما حَجَّ سليمانُ تأذَى بحرّ مكة فقال له

عمرُ بن عبد العزيز: لو أتيتَ الطائف.

فأتاها فلما كان بسَحقْ لَقِيه ابنُ أبي الزُّهير فقال: يا

أميرَ المؤمنين

اجعل بعض منزلك عليّ.

قال: كُل مَنزلي فرمى بنفسه على الرمل.

فقِيل له: يُساق إليك

الوِطاء فقال: الرمل أحدث إلي وأعجبه برده فألزق بالرَّمل بطنَه.

قال: فأتي إليه بخَمْس

رُمَّانات فأكلها ثم قال: أعندكم غيرُ هذه فجعلوا يأتونه بخَمْس بعد خَمس حتى أكل سَبْعين

رُمَّانة.

ثم أتوْه بجَدْي وستْ دجاجات فأكلهن.

وأتوه بزَبيب من زَبيب الطائف فنُثر بين يديه

فأكل عامَّته ونَعس.

فلما انتبه أتَوْه بالغداء فأكل كما أكل الناس.

فأقام يومَه ومن غد قال

لعمر: أرانا قد أضرْرنا بالقوم.

وقال لابن أبي الزُّهير: اتْبعني إلى مكة فلم يَفعل.

فقالوا له: لو

أتيتَه فقال: أقول ماذا: أعْطِني ثمن قِراي الذي قريتُكه! العُتبي عن أبيه عن الشَّمردل وكيل آل

عمرو بن العاص قال: لما قَدِمٍ سليمان بن عبد الملك الطائفَ دَخل هو وعمر بن عبد العزيز

وأيوب ابنه بستانا لعمرو.

قال: فجال في البستان ساعةً ثم قال: ناهيك بمالِكم هذا مالاً! ثم

أَلْقى صدرَه على غُصن وقال: ويلك يا شَمَرْدل! ما عندك شيء تُطعمني قلت: بلى والله

عندي جَدْي كانت تَغدو عليه بقرة وتروح أخرى.

قال: عجِّل به ويحك! فأتيتُه بن كأنه عُكُّة

سَمْن فأكله وما دعا عُمَرَ ولا ابنه حتى إذا بَقي الفَخِذ قال: هلم أبا حَفْص.

قال: أنا صائم

فأتى عليه.

ثم قال: ويلك يا شَمَرْدل! ما عندك شيء تُطعمني قلت: بلى واللّه دَجاجتان

هِنْديتان كأنهما رَألا النعام فأتيتُه بهما فكان يأخذ برجل الدجاجة فيُلقى عظامَها نقية حتى

أتى عليهما.

ثم رفع رأسَه فقال: وبلك يا شَمَرْدل! ما عندك شيء تُطعمني قلت: بلى

عندي حَريرة كأنها قُراضة ذهب.

قال: عَجِّل بها ويلك! فأتيتُه بعُس يَغيب فيه الرأس فجعل

يَتَلَقَّمها بيده ويَشرب.

فلما فرغ تجشَّأ فكأنما صاح في جُب.

ثم قال: يا غلام أفرغِتَ من

غَدائي قال نعم.

قال: وما هو قال: ثمانون قِدْراً.

قال: ائتني بها قِدْراً قدراً.

قال: فأكثرُ ما

أكل مِن كل قدر ثلاث لُقم وأقل ما أكل لقمة.

ثم مسح يده واستلقى على فِراشه ثم أذن

للناس ووُضعت الخِوانات وقَعد يأكل فما أنكرتُ شيئاً من أكْله.

خلافة عمر بن عبد العزيز

المدائني قال: هو عمرُ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم وكُنيته أبو حَفْص.

وأمه أم عاصم

بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

وولي الخلافةَ يوم الجُمعة لعشر خَلْون من صَفر سنة تسع

وتسعين.

ومات يومَ الجمعة لستٍّ بقين من رَجب بدَيْرِ سِمْعان من أرض دِمَشق سنة إحدى

ومائة وصَلّى عليه يزيدُ بن عبد الملك.

علي بن زيد قال: سمعتُ عمرَ بن عبد العزيز يقوله:

تمَت حُجّة اللّه على ابن الأربعين.

ومات لها.

وكان على شرطته يزيدُ بن بَشير الكِنانيّ.

وعلى

حرسه عمرو بن المُهاجر ويقال! أبو العباس الهِلالي.

وكان كاتبَه على الرسائل ابنُ أبي رُقَيَّة

وكاتبه أيضاً إسماعيل بن أبي حَكيم.

وعلى خاتَم الخلافة نُعيم ابن أبي سَلامة.

وعلى الخراج

والجُند صالحُ بن أبي جُبير.

وعلى إذْنه أبو عُبيدة الأسود مولاه.

يعقوب بن داود الثَّقفي عن

أشياخ من ثَقيف قال: قُرىء عهدُ عُمر بالخلافة وعُمر من ناحية فقام رجلٌ من ثقيف يقال له:

سالم من أخوال عمر فأخذ بضَبْعيه فأقامه.

فمال عمر: أما والله ما الله أردتَ بهذا ولن

تُصيب بها مني ديناً.

أبو بِشر الخُراساني قال: خَطب عمرُ بن عبد العزيز الناسَ حين استُخلف

فقال: أيها الناس والله ما سألتُ الله هذا الأمرَ قَط في سر ولا علانية فمن كان كارهاً لشيء

مما وليتُه فالآن.

فقال سعيدُ بن عبد الملك: ذلك أسرعُ فيما تَكره أتريد أن نَخْتَلف ويضرب

بعضُنا بعضاً قال رجل: سبحان اللّه! وليها أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ولم يقولوا هذا ويقوله

عُمر!

أخبار عمر بن عبد العزيز

بِشر بن عبد اللّه بن عمر قال: كان عمر يخلو بنفسه ويَبْكي فنَسمع نَحيبَه بالبكاء وهو يقول:

أبعدَ الثلاثة الذين واريتهم بيدي: عبدِ الملك والوليد وسليمان! وقدم رجلٌ من خراسان على

عمرَ بن العزيز حين استُخلف فقال: يا أمير المؤمنين إني رأيتُ في منامي قائلًا يقول: إذا ولي

الأشجّ من بني أمية يملأ الأرضَ عدلًا كما مُلئت جَوراً.

فولي الوليدُ فسألتُ عنه فقيل لي:

ليس بأشجّ ثم ولي سليمان فسألتُ عنه فقيل: ليس بأشجّ.

ووليتَ أنت فكنت الأشجّ.

فقال عمر: تقرأ كتابَ الله قال: نعم.

قال: فبالذي أنعم به عليك أحق ما أخبرتني قال:

نعم.

فأمره أن يُقيم في دار الضِّيافة.

فمكث نحواً من شهرين ثم أرسل إليه عمر فقال: هل

تَدري لم احتبسناك قال: لا.

قال: أرسلتُ إلى بلدك لنسألَ عنك فإذا ثناءُ صديقك وعدوّك

عليك سواء فانصرفْ راشداً.

وكان عمرُ بن عبد العزيز لا يأخذ من بيت المال شيئاً ولا

يُجري على نفسه من الفيء درهماً.

وكان عمرُ بن الخطاب يُجري على نفسه من ذلك دِرْهمين

في كلّ يوم.

فقيل لعمر بن عبد العزيز: لو أخذتَ ما كان يأخذ عمرُ بن الخطاب فقال: إنّ عمر

بن الخطاب لم يكن له مال وأنا مالي يُغنيني.

ولما ولي عمرُ بن عبد العزيز قام إليه رجل فقال: يا

أمير المؤمنين أعدِني على هذا وأشار إلى رجل.

قال فيم قال: أخذ مالي وضرب ظهري.

فدعا به عمر فقال: ما يقول هذا قال صَدق إنه كتب إليّ الوليدُ بن عبد الملك وطاعتُكم

فريضة.

قال: كذبتَ لا طاعة لنا عليكم إلا في طاعة الله وأمر بالأرض فرُدتْ إلى صاحبها.

عبدُ اللّه بن المُبارك عن رجل أخبره قال: كنتُ مع خالد بن يزيد بن معاوية في صَحن بيت

المَقدس فلقينا عمرُ بن عبد العزيز ولا أعرفه فاخذ بيد خالد وقال: يا خالد أعلينا عَين

قلتُ: عليكما من الله عينٌ بَصيرة وأذن سميعة.

قال: فاستلّ يدَه من يد خالد وأرعد ودَمعت

عيناه ومَضى.

فقلت لخالد: مَن هذا قال: هذا عمرُ بن عبد العزيز إن عاش فيُوشك أن

يكون إماماً عدلًا.

وقال رياح بن عُبيدة: اشتريتُ لعمر قبل الخلافة مُطرَفا بخمسمائة

فاستخشنه وقال: لقد اشتريتَه خَشناً جداً واشتريت له بعد الخلافة كِساء بثمانية دراهم

فاستلانه وقال: اشتريتَه ليِّناً جداً.

ودخل مسلمةُ بن عبد الملك على عمر وعليه رَيْطة من

رياط مصر فقال: بكم أخذت هذه يا أبا سعيد قال: بكذا وكذا.

قال: فلو نقصتَ من ثمنها

ما كان ناقصاً من شرَفك.

فقال مسلمة: إنّ الاقتصاد ما كان بعد الجدَة وأفضلَ العَفو ما كان

بعد القُدْرة وأفضلَ اللِّين ما كان بعد الولاية.

وكان لعمرَ غلامٌ يقال له دِرْهم يحتطب له فقال

له يوماً: ما يقول الناس يا دِرْهم قال: وما يقولون الناسُ كلهم بخير وأنا وأنت بشرّ.

قال:

وكيف ذلك قال: إني عهدتُك قبل الخلافة عَطِراً لبّاساً فاره المَرْكب طَيّب الطعام فلما

وليتَ رجوتُ أن أستريح وأتخلّص فزاد عملي شدّة وصِرْتَ أنت في بلاء.

قال: فأنت حُر

فاذهب عني ودعني وما أنا فيه حتى يجعلَ اللّه لي منه مخرجاً.

ميمون بن مهران قال: كنتُ

عند عمرِ فكثُر بكاؤه ومسألتُه ربَّه الموت فقلت: لمَ تسأل الموت! وقد صَنع اللّه على يديك

خيراً كثيراً أحْيا بك سُننا وأمات بك بِدَعا.

قال: أفلا أكون مثل العَبد الصالح حين أقرّ الله عينَه

وجَمع له أمره قال: " رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ".

ولما وَلي عمرُ بن عبد

العزيز قال: إن فَدك كانت مما أفاء الله على رسوله فسألتها فاطمةُ رسولَ اللهّ.

فقال لها: ما

لَكِ أن تَسأليني ولا لي أن أعطيك.

فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يصطنع فيها حيث

أمره اللهّ.

ثم وَلي أبو بكر وعمر وعثمان فكانوا يضعونها المواضعَ التي وَضعها رسولُ اللهّ صلى

الله عليه وسلم.

ثم وَلي معاوية فأقطعها مروانَ ووَهبها مروانُ لعبد الملك وعبدِ العزيز

فقسمناها بيننا أثلاثاً أنا والوليد وسليمان.

فلما ولي الوليدُ سألتُه نصيبَه فوهبه لي وما كان لي

مالٌ أحب إلي منها وأنا أشهدكم أني قد رددتُها إلى ما كانت عليه على عهد رسول اللّه صلى

الله عليه وسلم.

وقال عمر: الأمور ثلاثة أمر استبان رُشدُه فاتبِعْه وأمر استبان ضره

فاجتنبْه وأمر أشكل أمرهُ عليك فرُدّه إلى اللّه.

وكتب عمر إلى بعض عُماله: المَوالي ثلاثة: مَولى

رَحِم ومولى عَتاقة ومولى عَقد فمولى الرحم يَرث ويُورَث ومولى العَتاقة يُورَث ولا يَرِث

ومولى العقد لا يَرث ولا يُورث وميراثه لعصبته.

وكتب عمر إلى عُمَّالة: مُرُوا مَن كان على غير

الإسلام أن يَضعوا العمائم ويَلبسوا الأكسية ولا يَتشبهوا بشيء من الإسلام ولا تتركوا أحداً من

الكُفار يستخدم أحداً من المسلمين.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عَدِيّ بن أرطاة عامِله علِي

العراق: إذا أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرةَ الخالق القادر عليك واعلم أن مالَكَ عند

الله أكثرُ مما لك عند الناس.

وكتب عمرُ بن عبد العزِيز إلى عُمَّاِله: مُروا من كان قِبَلكم فلا

يبقى أحد من أحرارهم ولا مماليكهم صغيراً ولا كبيراً وذكراً ولا أنثى إلا أخرج عنه صدقَة

فِطر رمضان: مُدين من قمح أو صاعاً من تمر أو قيمة ذلك نصفَ درهم.

فأما أهل العطاء

فيُؤخذ ذلك من أعطياتهم عن أنفسهم وعيالاتهم.

واستعملوا على ذلك رجلين من أهل الأمانة

يَقْبضان ما اجتمع من ذلك ثم يُقسّمانه في مَساكين أهل الحاضرة.

ولا يُقسّم على أهل البادية.

وكتب عبدُ الحميد بن عبد الرحمن إلى عمر: إنّ رجلاً شَتمك فأردتُ أن أقتله.

فكتب إليه: لو

قَتلته لأقدتك به فإنه لا يُقتل أحد بشتم أحد إلا رجل شَتم نبيًّا.

وكتب رجل من عُمَّال عمر

إلى عمر: إنا أتينا بساحرة فألقيناها في الماء فطفت على الماء فما تَرى فيها فكتب إليه:

لسنا من الماء في شيء إن قامت عليها بيّنة وإلا خَلَ سبيلها.

كان عمرُ بن عبد العزيز يكتب

إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامِله علىِ المدينة في المظالم فيُرادّه فيها.

فكتب إليه: إنه يُخيل

لي أني لو كتبتُ لك أن تُعطِيَ رجلاً شاة لكتبت إلى: أذكر أم أنثى ولو كتبتُ إليك بأحدهما

لكتبت إلي: أصغيرة أم كبيرة ولو كتبتُ بأحدهما لكتبتَ: ضائنة أم معز فإذا كتبت إليك

فنفّذ ولا تَردّ عليّ.

والسلام.

وخطب عمرُ فقال: أيها الناس لا تستصغروا الذنوب والتمسوا

تمحيص ما سَلف منها بالتوبة منها.

إنَّ الحسنات يُذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين.

وقال

عز وجل: " وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ".

وقال عمر لبني مَروان: أدُوا ما في أيديكم

من حُقوق الناس ولا تُلْجِئوني إلى ما أكره فأحْمِلَكم على ما تكرهون.

فلم يُجبه أحد منهم.

فقال: أجيبوني.

فقال رجل منهم: والله لا نُخرج من أموالنا التي صارت إلينا من آبائنا فنُفقِرَ

أبناءنا ونُكَفِّرَ آباءنا حتى تُزايلَ رؤوسنا أجسادَنا.

فقال عمر: أما واللهّ لولا أن تَستعينوا عليَّ

بمن أطلب هذا الحق له لأضرعتُ خُدودكم عاجلاً ولكنني أخاف الفتنة ولئن أبقاني الله

لأردّن إلى كل ذي حق حقه إن شاء الله.

وكان عمر إذا نظر إلى بعض بني أمية قال: إني أرى

رقاباً ستُرد إلى أربابها.

ولما مات عمر بن عبد العزيز قَعد مسلمة على قبره فقال: أما واللّه ما

أمِنْتُ الرِّق حتى رأيتُ هذا القبر.

العُتبي قال: لما انصرف عمر بن عبد العزيز من دَفن سُليمان

بن عبد الملك تَبعه الأمويون فما دَخلوا إلى منزله قال له الحاجب: الأمويون بالباب.

قال وما

يريدون قال: ما عَوَّدتْهم الخلفاءُ قبلك.

قال ابنُه عبدُ الملك وهو إذ ذاك ابنُ أربعَ عشرة سنة:

ائذن لي في إبلاغهم عنك.

قال: وما تُبلغهم قال: أقول: أبي يُقرئكم السلام ويقول لكم: إني

أخافُ إن عصيت ربي عذابَ يوم عَظيم.

زياد عن مالك قال: قال عبدُ الملك بن عمرَ بن عبد العزيز لأبيه: يا أبتِ مالك لا تُنفذ الأمور

فوالله ما أبالي لو أن القُدور غَلت بي وبك في الحق.

قال له عمر: لا تَعجل يا بنيّ فإن الله ذَم

الخمر في القرآن مرتين وحَرَّمها في الثالثة وأنا أخاف أن أحمل الحقّ على الناس جملةً فيدفعونه

جُمْلة ويكونَ من ذلك فتنة.

ولما نزل بعبد الملك بن عمر بن عبد العزيز الموت قال له عمر:

كيف تجدك يا بُني قال: أجدني في الموت فاحتسبني فثوابُ اللّه خيرٌ لك مني.

فقال: يا بني

ولله لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكونَ في ميزانك.

قال: أما والله لأن يكونَ ما تحب

أحب إلي من أن يكون ما أحب ثم مات.

فلما فَرغٍ من دفنه وقف على قبره وقال: يَرحمك الله

يا بني فلقد كنت سارًّا مولوداً وبارًّا ناشئاً وما أحب أني دعوتُك فأجبتَني فرحم الله كل

عبد من حُر أو عبد ذكر أو أنثى دعا له برحمة وكان الناس يترحّمون على عبد الملك ليدخلوا

في دَعوة عمرِ - ثم انصرف.

فدخل الناسُ يُعزّونه فقال: إن الذي نزل بعبد الملك أمر لم نزل

نعْرفه فلما وَقع لم نُنكره.

وتُوفِّيت أختٌ لعمر بن عبد العزيز فلما فَرغ من دَفنها دنا إليه رجل

فعزّاه فلم يردّ عليه ثم آخر فلم يردّ عليه.

فلما رأى الناس ذلك أمسكوا ومشوا معه.

فلما

دخل الباب أقبل على الناس بوجهه فقال: أدركتُ الناسَ وهم لا يُعزَّون في المرأة إلا أن تكون

أمًّا.

وفاة عمر بن عبد العزيز

مَرض عمرُ بن عبد العزيز بأرض حِمْص ومات بدير سِمعان فيرى الناس أنّ يزيدَ بن عبد

الملك سمّه دسّ إلى خادم كان يخدُمه فوضع السمّ على ظِفْر إبهامه فلما استسقى عمر غَمس

إبهامَه في الماء ثم سَقاه فمرض مرضَه الذي مات فيه.

فدخل عليه مَسلمةُ بن عبد الملك فوقف

عند رأسه فقال: جزاك الله يا أمير المُؤمنين عنّا خيراً فلقد عطفتَ علينا قلوباً كانت عنّا نافرة:

وجعلتَ لنا في الصالحين ذكراً.

زياد عن مالك قال: دَخل مسلمةُ بن عبد الملك على عمر بن

عبد العزيز في المَرْضة التي مات فيها فقال له: يا أمير المؤمنين إنك فطمتَ أفواه ولدك عن هذا

المال وتركتَهم عالة ولا بدّ لهم من شيء يُصلحهم فلو أوصيتَ بهم إليّ أو إلى نظرائك من أهل

بيتك لكفيتُك مؤونتهم إن شاء اللّه.

فقال عمر: أجلسوني فأَجلسوه فقال: الحمدُ للّه أبالفَقْر

تُخوفني يا مَسلمة أما ما ذكرت أني فطمتً أفواه ولدي عن هذا المال وتركتُهم عالة فإني لم

أمنعهم حقًا هو لهم ولم أعطُهم حقّا هو لغيرهم وأما ما سألتَ من الوَصاة إليك أو إلى نُظرائك

من أهل بيتي فإن وصيّتي بهم إلى الله الذي نزّل الكتابَ وهو يتولى الصالحين وإنما بنو عمر أحد

رجلين: رجل اتقى الله فجعل اللهّ له من أمره يُسراً ورَزقه من حيثُ لا يحتسب ورجل غيّر

وفَجر فلا يكون عُمَرُ أوّلَ من أعانه على ارتكابه ادعوا إلى بَنيّ.

فدَعوهم وهم يومئذ اثنا

عشرَ غلاماً فجعل يُصَعّد بصره فيهم ويصوِّبه حتى اغرورقت عيناه بالدمع ثم قال: بنَفسي

فِتْيةً تركتهم ولا مالَ لهم.

يا بَنيّ إني قد تركتكم من اللهّ بخير إنكم لا تمرون على مُسلم ولا

مُعاهد إلا ولكم عليه حقّ واجب إن شاء اللهّ يا بَني: مَثَّلت رأي بين أن تَفتقروا في الدنيا وبين

أن يَدخل أبوكم النار فكان أن تَفتقروا إلى آخر الأبد خيراً من دُخول أبيكم يوماً واحداً في

النار قُوموا يا بني عصمكم اللهّ ورَزقكم.

قال: فما احتاج أحد من أولاد عمر ولا افتقر.

واشترى عمرُ بن عبد العزيز من صاحب دَيْر سمعان موضعَ قبْره بأربعين درهماً.

ومرض تسعةَ

أيام.

ومات رضى اللّه عنه يومَ الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة.

وصلى عليه

يزيدُ بن عبد الملك.

وقال جريرُ بن الحَطفى يرثى عمرَ بن عبد العزيز:

يَنْعَى النُّعاةُ أميرَ المؤمنين لنا يا خير مَن حَج بيت اللّه واعتمرَا

حُمَلت أمراً عظيماً فاصطبرتَ له وسرْت فينا بحكم اللّه يا عمرا

فالشمسُ طالعة ليست بكاسفةٍ تَبكي عليك نجومَ الليل والقمرا

وأنشد أبو عُبيد الأعرابيّ في عُمَر بن عبد العزيز.

مُقابَل الأعواق في الطِّيب الطابْ بين أبي العاص وآل الخَطَاب

خلافة يزيد بن عبد الملك

ثم ولي يزيدُ بن عبد الملك بِن مَروان بنِ الحَكم.

وأمه عاتكةُ بنت يزيدَ ابن معاوية يومَ الجمعة

لخمسٍ بقين من رجب سنة إحدى ومائة.

ومات ببلاد البَلْقاء يومَ الجمعة لخمس بقين من شعبان

سنة خمس ومائة وهو ابنُ أربع وثلاثين سنة.

صلّى عليه أخوه هشامُ بن عبد الملك.

وكانت

ولايتُه أربعَ سنين وشهراً.

وفيه يقول جرير:

سُرْبلتَ سِرْبالَ مُلكٍ غير مُعْتَصب قبلَ الثلاثين إنّ المُلك مُؤْتَشَبُ

وكان على شرُطته كعب بن مالكَ العَبْسي.

وعلى الحَرَس غيلانُ أبو سعيد مولاه.

وعلى خاتم

الخلافة مطرٌ مولاه وكان فاسقاً.

وعلى الخاتم الصغير بُكيّر أبو الحجَّاج.

وعلى الرسائل والجند

والخراج صالحُ بن جُبير الهَمداني ثم عَزله واستعمل أسامة بن زَيد مولى كَلب.

وعلى الخَزائن

وبُيوت الأموال هشام ابن مَصاد.

وحاجبه خالدٌ مولاه.

وكان يزيدُ بن عبد الملك صاحبَ لَهو ولذّات وهو صاحبُ حَبَابة وسلاّمة.

وفي ولايته خَرج يزيدُ بن المُهّلب.

أسماء ولد يزيد الوليدُ ويحيى وعبد الله والغَمْر وعبدُ الجبّار وسُليمان وأبو سفيان وهاشم وداود ولا عقب

ألا أبلغ معاوية بن حرب فقد ضاقت بما يأتي اليدان أتغضب أن يقال أبوك عفٌ وترضى أن يقال أبوك زان وأشهد أن قربك من زياد كقرب الفيل من ولد الأتان وقال زياد: ما هجيت ببيت قط أشد علي من قول يزيد بن مفرغ الحميري: فكرا ففي ذاك إن فكرت معتبر هل نلت مكرمة إلا بتأمير عاشت سمية ما عاشت وما علمت أن ابنها من قريش في الجماهير سبحان من ملك عباد بقدرته لا يدفع الناس محتوم المقادير وكان ولد سمية ثلاثا: زياداً وأبا بكرة ونافعا.

فكان زياد ينسب في قريش وأبو بكرة في العرب ونافع في الموالي.

فقال فيهم يزيد بن مفرغ: إن زياداً ونافعاً وأبا بكرة عندي من أعجب العجب إن رجالاً ثلاثةً خلقوا من رحم أنثى محالفي النسب ذا قرشي فيما يقول وذا مولىً وهذا ابن عمه عربي فدع عنك الكتابة لست منها ولو غرقت ثوبك بالمداد وقال آخر في دعي: لعينٌ يورث الأبناء لعناً ويلطخ كل ذي نسب صحيح ولما طالت خصومة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ونصر بن حجاج عند معاوية في عبد الله بن حجاج مولى خالد بن الوليد أمر معاوية حاجبه أن يؤخر أمرهما حتى يحتفل مجلسه.

فجلس معاوية وقد تلفع بمطرف خزٍ أخضر وأمر بحجر فأدني منه وألقى عليه طرف المطرف ثم أذن لهما وقد احتفل المجلس.

فقال نصر بن حجاج: أخي وابن أبي عهد إلي أنه منه.

وقال عبد الرحمن: مولاي وابن عبد أبي وأمته ولد على فراشه.

قال معاوية: يا حرسي خذ هذا الحجر - وكشف عنه - فادفعه إلى نصر بن حجاج.

وقال: يا نصر هذا مالك في حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإنه قال: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

فقال نصر: أفلا أجريت هذا الحكم في زياد أمير المؤمنين قال: ذاك حكم معاوية وهذا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في الأرض أحمى من الأدعياء لتستحق بذلك العروبية.

قال الشاعر: دعي واحدٌ أجدى عليهم من آلفي عالم مثل ابن داب وقال الأصمعي: استمشى رجل من الأدعياء فدخل عليه رجل من أصحابه فوجد عنده شيحاً وقيصوماً فقال له: ما هذا فقال ورفع صوته: الطبيعة تتوق إليه.

يريد أن طبيعته من طباع العرب.

فقال فيه الشاعر: يشم الشيح والقيصو م كي يستوجب النسبا وليس ضميره في الصد ر إلا التين والعنبا وعن إسماعيل بن أحمد قال: رأيت على أبي سعيد الشاعر المخزومي كردوانياً مصبوغاً بتوريد فقلت: أبا سعيد هذا خز قال: لا.

ولكنه دعي على دعي.

وكان أبو سعيد دعياً في بني مخزوم.

وفيه قال الشاعر: لم يته قط على النا س شريف يا أبا سعيد فته ما شئت إذ كن ت بلا أب ولا جد وإذ حظك في النس بة بين الحر والعبد وإذ قاذفك المفح ش في أمن من الحد وعن أحمد بن عبد العزيز قال: نزلت في دار رجل من بني عبد القيس بالبحرين فقال لي: بلغني أنك خاطب قلت: نعم.

قال: فأنا أزوجك.

قلت له: إني مولى.

قال: اسكت وأنا أفعل.

أمن قلةً صرتم إلى أن قبلتم دعاوة زراع وآخر تاجر وأصهب رومي وأسود فاحم وأبيض جعد من سراة الأحامر شكولهم شتى وكل نسيبكم لقد جئتم

في الناس إحدى المناكر متى قال إني منكم فمصدق وإن كان زنجياً غليظ المشافر أكلهم وافى النساء جدوده وكلهم أوفى بصدق المعاذر وكلكم قد كان في أولية له نسبة معروفة في العشائر على علمكم أن سوف ينكح فيكم فجدعاً ورغماً للأنوف الصواغر فهلا أبيتم عفةً وتكرما وهلا وجلتم من مقالة شاعر تعيبون أمراً ظاهراً في بناتكم وفخركم قد جاز كل المفاخر متى شاء منكم مفرج كان جده عمارة عبس خير تلك العمائر وحصن بن بدر أو زرارة دارم وزبان زبان الرئيس ابن جابر فقد صرت لا أدري وإن كنت ناسياً لعل نجاراً من هلال بن عامر وديلم من نسل ابن ضبة ناسل وبرجان من أولاد عمرو بن عامر بنو الأصفر الأملاك أكرم منكم وأولى بقربانا ملوك الأكاسر أأطمع في صهري دعيا مجاهراً ولم نر شراً من دعي مجاهر ويشتم لؤماً عرضه وعشيره ويمدح جهلاً طاهراً وابن طاهر وقال زرارة بن ثروان أحد بني عامر بن ربيعة بن عامر: قد اختلط الأسافل بالأعالي وماج الناس واختلط النجار وصار العبد مثل أبي قبيس وسيق مع المعلهجة العشار وإنك لن يضيرك بعد حول أطرف كان أمك أم حمار وقال عقيل بن علفة: وكنا بني غليظ رجالاً فأصبحت بنو مالك غيظاً وصرنا لمالك لحا الله دهراً زعزع المال كله وسود أستاه الإماء الفوارك وذكر جعفر بن سليمان بن علي يوماً ولده وأنهم ليسوا كما يحب.

فقال له ولده أحمد بن جعفر.

عمدت إلى فاسقات المدينة ومكة وإماء الحجاز فأوعيت فيهم نطفك ثم تريد أن ودخل الأشعث بن قيس على علي بن أبي طالب فوجد بين يديه صبية تدرج فقال: من هذه يا أمير المؤمنين قال: هذه زينب بنت أمير المؤمنين.

قال: زوجنيها يا أمير المؤمنين.

قال: اغرب بفيك الكثكث ولك الأثلب أغرك ابن أبي قحافة حين زوجك أم فروة إنها لم تكن من الفواطم ولا العواتك من سليم.

فقال: قد زوجتم أخمل مني حسبا وأوضع مني نسباً: المقداد بن عمرو وإن شئت فالمقداد بن الأسود.

قال علي: ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله وهو أعلم بما فعل ولئن عدت إلى مثلها لأسوأنك.

وفي هذا المعنى قال الكميت بن زيد: وما وجدت بنات بني نزار حلائل أسودين وأحمرينا وما حملوا الحمير على عتاق مطهمة فيلفوا مبغلينا بني الأعمام أنكحنا الأيامى وبالآباء سمينا البنينا أراد تزويج أبرهة الحبشي في كندة.

عن العتبي قال: أنشدني أبو إسحاق إبراهيم بن خداش لخالد النجار.

اليوم من هاشم بخ وأنت غداً مولى وبعد غد حلف من العرب إن صح هذا فأنت الناس كلهم يا هاشمي ويا مولى ويا عربي قال: وكان الهيثم بن عدي فيما زعموا دعياً.

فقال فيه الشاعر: إذا اجتدى معشراً من فضل نسبتهم فلم ينيلوه عداهم إلى نسب فما يزال له حلٌ ومرتحل إلى النصارى وأحياناً إلى العرب إذا نسب عدياً في بني ثعل فقدم الدال قبل العين في النسب وقال بشار العقيلي: إن عمراً فاعرفوه عربي من زجاج مظلم النسبة لا يع رف إلا بالسراج وقال فيه: ارفق بنسبة عمرو حين تنسبه فإنه عربي من قوارير ما زال في كير حداد يردده حتى بدا عربياً مظلم النور وقال أيضا في أدعياء: هم قعدوا فانتقوا لهم حسباً يدخل بعد العشاء في العرب حتى إذا ما الصباح لاح لهم بين ستوقهم من الذهب والناس قد أصبحوا صيارفةً أعلم شيءٍ بزائف الحسب إنما أنت من سليم كواوٍ ألحقت في الهجاء ظلماً بعمرو وقال فيه: أيا متحيراً فيه لمن يتعجب العجبً لأسماء تعلمهن أشجع حين ينتسب ولأحمد بن أبي الحارث الخراز في حبيب الطائي: لو أنك إذ جعلت أباك أوساً جعلت الجد حارثة بن لام وسميت التي ولدتك سعدى فكنت مقابلاً بين الكرام وله فيه: أنت عندي عربي ليس في ذاك كلام شعر فخذيك وساقي ك خزامى وثمام وضلوع الصدر من جسمك نبع وبشام وقذى عينيك صمغ ونواصيك ثغام لو تحركت كذا لان جفلت منك نعام أنا ما ذنبي إن ك ذبني فيك الكرام القفا يشهد إذ ما عرفت فيك الأنام كذبوا ما أنت إلا عربي والسلام وقال في المعلى الطائي: معلى لست من طي فإن قبلتك فارهنها وابنك فارمٍ في أجإٍ فلا ترغب به عنها كأن دماملاً جمعت فصور وجهه منها ولآخر: تعلمًها وإخوته فكلهم بها درب لقد ربوا عجوزهم ولو زينتها غضبوا فيا لك عصبة إن ح دثوا عن أصلهم كذبوا لهم في بيتهم نسب وفي وسط الملا نسب كما لم تخف سافرة وتخفى حين تنتقب آآخر مرتين سبيتمونا وفي الإسلام ما كره السباء إذا استحللتم هذا وهذا فليس لنا على ذاكم بقاء فلا تأمن على حال دعياً فليس له على حالٍ وفاء وكيف يفي لأبعد من أبيه ونسبته إذا اتصل الدعاء الباه وما قيل فيه ذكر عند مالك بن أنس الباه فقال: هو نور وجهك ومخ ساقك فأقل منه أو أكثر.

وقال معاوية: ما رأيت نهما في النساء إلا عرفت ذلك في وجهه.

وقال الحجاج لابن شماخ العكلي: ما عندك للنساء قال: أطيل الظماء وأرد فلا أشرب.

وقيل للمدائني: ما عندك يا أبا الجحاف قال: يمتد ولا يشتد ويرد ولا يشرب.

وقيل لآخر: ما عندك لهن قال: ما يقطع حجتها ويشفي غلمتها.

وقال كسرى كنت أراني إذا كبرت أنهن لا يحببنني فإذا أنا لا أحبهن.

وأنشد الرياشي لأعرابي من بني أسد: تمنيت لو عاد شرخ الشباب ومن ذا على الدهر يعطى المنى وكنت مكيناً لدى الغانيات فلا شيء عندي لها ممكنا فأما الحسان فيأبيننني وأما القباح فآبى أنا ودخل عيسى بن موسى على جارية فلم يقدر على شيء فقال: النفس تطمع والأسباب عاجزةٌ والنفس تهلك بين اليأس والطمع أنت الفداء لمن قد كان يملؤه ويشتكي الضيق منه حين يلقاه وقال آخر لجاريته: ويعجبني منك عند الجماع حياة الكلام وموت النظر وقال آخر: شفاء الحب تقبيل ولمسٌ وسبح بالبطون على البطون ورهز تذرف العينان منه وأخذ بالذوائب والقرون وقالت امرأة كوفية: دخلت

على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هي مع زوجها في القيطون فسمعت زفيراً ونخيراً لم يسمع قط مثله ثم خرجت وجبينها يتفصد عرقاً فقلت لها: ما ظننت أن حرة تفعل مثل هذا فقالت: إن الخيل العتاق تشرب بالصفير.

وقيل لأعرابي: ما عندك للنساء فأشار إلى متاعه وقال: وتراه بعد ثلاث عشرة قائماً نظر المؤذن شكّ يوم سحاب وقال الفرزدق: أنا شيخٌ ولي امرأةٌ عجوز تراودني على ما لا يجوز وقالت رق أيرك مذ كبرنا فقلت لها بل اتسع القفيز لا يعقب التقبيل إلا زبي ولا يداوي من صميم الحب إلا احتضان الركب الأزب ينزع منه الأير نزع الضب روى زياد عن مالك عن محمد بن يحيى بن حبان أن جدته عاتبت جده في قلة إتيانه إياها فقال لها: أنا وأنت على قضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قالت: وما قضاء عمر قال: قضى أن الرجل إذا أتى امرأته عند كل طهر فقد أدى حقها.

قالت: أفترك الناس كلهم قضاء عمر وأقمت أنا وأنت عليه.

فقال: أنا شيخ ولي امرأة عجوز تراودني على ما لا يجوز تريدني أنيكها في كل يوم وذلك عند أمثالي عزيز وقالت رق أيرك مذ كبرنا فقلت لها: بل اتسع القفيز وقال أعرابي حين كبر وعجز: عجبت من أيري وكيف يصنع أدفعه بإصبعي ويرجع يقوم بعد النشر ثم يصرع ودخلت عزة صاحبة كثير على أم البنين زوج عبد الملك بن مروان فقالت لها: أخبريني عن قول كثير: ما هذا الدين الذي طلبك به قالت: وعدته بقبلة فخرجت منها.

قالت: وعدته بقبلة فخرجت منها.

قالت أنجزيها وعلي إثمها.

علي بن عبد العزيز قال: كان أبو البيداء رجلاً عنينا وكان يتجلد ويقول لقومه: زوجوني امرأتين.

فقالوا له: إن في واحدة كفاية.

قال: أما لي فلا.

فقالوا: نزوجك واحدة فإن كفتك وإلا نزوجك أخرى فزوجوه أعرابية فلما دخل بها أقام معها أسبوعاً فلما كان في اليوم السابع أتوه فقالوا له: ما كان من أمرك في اليوم الأول قال: عظيم جداً.

فقالوا: ففي اليوم الثالث قال: لا تسلوني.

فاستجابت امرأته من وراء الستر فقالت: كان أبو البيداء ينزو في الوهق حتى إذا أدخل في بيتٍ أنق فيه غزالٌ حسن الدل خرق مارسه حتى إذا ارفض العرق انكسر المفتاح وانسد الغلق أهديت جاريةٌ إلى حماد عجرد وهو

جالس مع أصحابه على لذة فتركهم وقام بها إلى مجلس له فافتضها وكتب إليهم: قد فتحت الحصن بعد امتناع بسنانٍ فاتحٍ للقلاع ظفرت كفي بتفريق جمع جاءنا تفريقه باجتماع آخر: لم يوافقْ طباعٌ هذا طباعي فأنا وهي دهرنا في صراع وتحريت أن أنال رضاها فأبت غير جفوة وامتناع فتفكرت لم بليت بهذا فإذا أن ذا لضعف المتاع وقع بين رجل وامرأته شر فجعل يحيل عليها بالجماع فقالت: فعل الله بك كلما وقع بيننا شيء جئتني بشفيع لا أقدر على رده.

وأقبل رجلٌ إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: إن لي امرأةً كلما غشيتها تقول: قتلتني قتلتني.

قال: اقتلها وعلي اثمها.

وقال هشام بن عبد الملك للأبرش الكلبي: زوجني امرأةً من كلب.

ففعل وصارت عنده.

فقال له هشام ودخل عليه: لقد وجدنا في نساء كلب سعة.

فقال له الأبرش: إن نساء كلب خلقن لرجال كلب.

وقالوا: من ناك لنفسه لم يضعف أبداً ولم ينقطع ومن فعل ذلك لغيره فذاك الذي يصفي وينقطع.

يعنون من فعل ذلك ليبلغ أقصى شهوة المرأة ويطلب الذكر عندها.

وقال الشاعر: من ناك للذكر أصفى قبل مدته لا يقطع النيك إلا كل منهوم وقالوا: من قل جماعه فهو أصح بدناً وأطول عمراً ويعتبرون ذلك بذكور الحيوان.

وذلك أنه ليس في الحيوان أطول عمراً من البغل ولا أقصر عمراً من العصافير وهي أكثر سفاداً.

والله أعلم